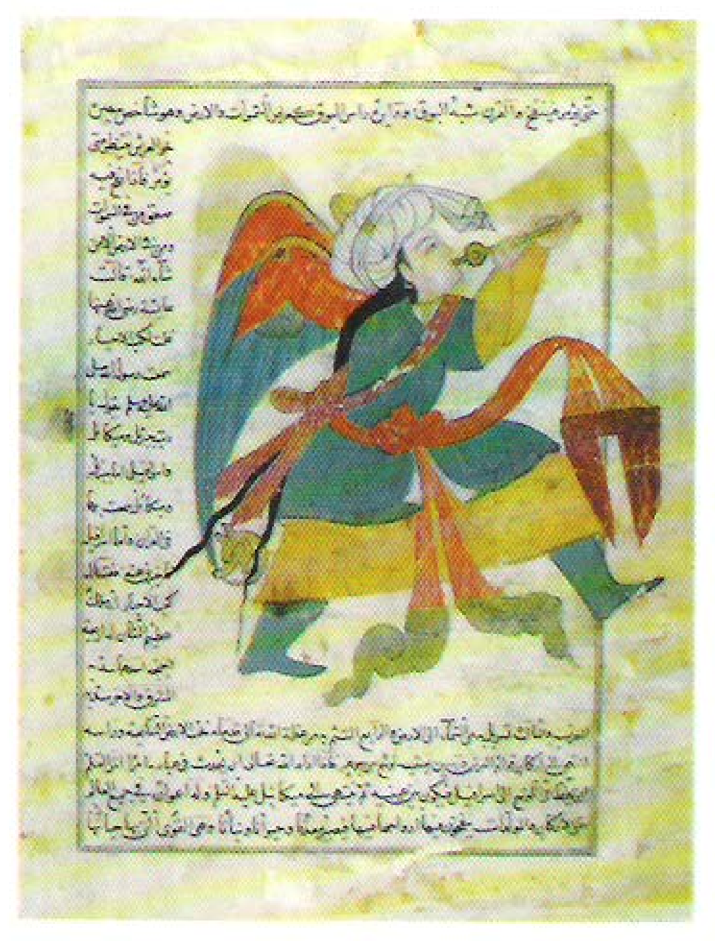
رسائل ابن عربي

الكوكب الدّرّي في
مناقب ذي النون المصري

(٣)



تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح



تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

رسائل ابن عربي

الكوكب الدري في
مناقب ذي النون المصري



Arab Diffusion Company

رسائل ابن عربي

الكوكب الدري في
مناقب ذي النون المصري

تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح

المجلد الثالث



ص. ب. 113/5752 ر. ب. 2070 1103

Email: arabdiffusion@hotmail.com

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

المحتويات

نصُّ كتاب الكوكب الدُّرِّي في مناقب ذي النون المصري

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي هَيَّم قلوب العارفين في أودية محبته، وأنطقهم خطباء بألسنة المعارف على منابر هدايته، فزّع عن قلوبهم فرأوه، ثم ردَّهم إلى وجودهم فأبوه، فاختطفهم إليه منهم حين آثروه، وأشهدهم مشاهد للغيب فسارّوه، فهم الصُم البُكم العُمي الذين لا يرجعون إلى سواه، ولا يعقلون موجوداً إلا إيَّاه.

هم الذين افتقروا إليه فأغناهم، وهربوا إليه فآواهم، ونزلوا عليه فأكرم نُزُلَهم ومَثْواهم، تَحقّق ودَّهم فاصطنعهم لنفسه واصطفاهم، وصافوه في سرائرهم فصافاهم.

فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والصلاة على سيد المحبين ورسول رب العالمين المخصوص من هذه المقامات بأسناها محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله تسليماً كثيراً.

أما بعد

فإنه جاء في الآثار: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. وذلك أن ذكر الصالحين من ذكر الله، تعالى، وهم الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله كما صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم)[1]. فهم لا يُذكرون إلاّ به، ولا يُضافون إلاّ إليه. إذ هم عبيد الاختصاص الذين عبدوا الله على الصدق والإخلاص، فأصبحوا لا يُعرفون إلاّ به، ولا يُقصدون إلاّ من أجله، وهم الغياث للخلق، والقائمون بأمر الحق.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في **الزهد**، (٤)، وأبو نعيم في **حلية الأولياء**، ٦/١ عن سعيد رضي الله عنه، وكذا رواية عن أسماء بنت يزيد.

كما قال ذو النون المصري:

مُرَادُونَ قَدْ خُصُّوا وَصُفُّوا وطُيِّبُوا ... فَعَاشُوا بِرَوْحِ اللّهِ فِي أَعْظَمِ الْقَدْرِ

وهو الذي يقول فيهم أيضاً:

رِجَالٌ أَطَاعُوا اللّه فِي السِّرِّ والجَهْرِ ... فَمَا شَرَوْا اللَّذَّاتِ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ

أُنَاسٌ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللّه أُنْزِلَتْ ... فَظَلُّوا سُكُوناً فِي الكُهُوفِ وَفِي القَفْرِ

يُرَاعُونَ نَجْمَ اللَّيْلِ لاَ يَرْقُدُونَهُ ... فَبَاتُوا بِإِدْمَانِ التَّهَجُّدِ والصَّبْرِ

فأمّا الرحمة التي تنزل عند ذكرهم فهي مشهودة في المواطن تظهر آثارها على الظواهر، وهي تلك الرِّقَّة والانكسار الذي يجده الإنسان من نفسه عندما يقع ذكرهم، وتُسْرَدُ أخبارهم، وتُنص أحوالهم مع الله من الانقطاع إليه، والأنس به، والتفرّد معه؛ بخروجهم عن الأهل والأوطان، وملازمتهم السواحل والبراري والشِّعاب وبُطون الأودية والجبال والآكام، وعزوف أنفسهم الشريفة عن الدنيا وأبنائها. فتحنُّ نفوس السامعين عند ذلك الذكر إلى ربها، وتجد حلاوة الانقطاع إليه عندها، ولذّة التفرّد به على بساط الأنس، فتذرف أعينهم بالبكاء، وترتاح قلوبهم إلى التجلي بتلك الأوصاف المقدسة النزيهة، رغبة في نيل هذه الأحوال الشريفة، التي خصّهم الله بها. وهذا كُلُّه من الرحمة المنزلة من الله تعالى، عند ذكرهم على القلوب. فمن نزلت الرحمة في ذكر المجلس على نفسه زالت عنه بزوال الذكر، ومن نزلت الرحمة على قلبه ثبتت واستقرت ولحق بهم، رضي الله عنهم.

نعم. وكان بين أيدينا في هذا الوقت كتاب سميناه: «أُنس المنقطعين إلى الله تعالى»[1]. انتقيته لنفسي من كتب مترجمة مثل «حلية الأولياء»[2] لأبي نعيم الحافظ[3]، «وصفة

(١) لم يطبع بعد، ولا يزال مخطوطاً. انظر مؤلفات **ابن عربي**؛ د. عثمان يحيى ٢٠٦/٩٧.

(٢) كتاب **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصفهاني، أحد الكتب الهامة والتي تترجم للسادة الصالحين ابتداء من أهل الصُّفَّة وهم رجالها المعروفون وحتى عصر أبي نعيم سنة ٤٣٠ هـ وترجم أبو نعيم حوالي (٧٠٠) سبعمائة شيخ من المشايخ العظام، وولي من أولياء الله حشرنا الله معهم وفي زمرتهم مع حبيبنا الأكبر ونبينا الأعظم سيدنا، سيد الخلق أجمعين قرة عيني، وحبيب قلبي محمد بن عبد الله (دوام الصلاة والسلام عليه من الله الكريم وتسليماته).

يقع الكتاب في عشر مجلدات، تتكرر الطبعة الأولى تصويراً وهي الوحيدة فيما نعلم التي يتم تصويرها وطبعها مرات.

(٣) أبو نعيم الحافظ: هو الشيخ الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني رحمه الله ترك بصمة واضحة في التأليف وخاصة بكتابه **حلية الأولياء**، وله بعض الكتب منها: **دلائل النبوة ـ معرفة الصحابة ـ صفة الجنة ـ الضعفاء ـ الطب النبوي**، وغيرها كثير. توفي رضي الله عنه سنة ٤٣٠هـ وكلها مطبوع.

انظر ترجمته في: ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٥/١٢، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٧٥/٣، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٤٥/٣، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٨٢/١، د/محمد عيسى صالحية: **المعجم الشامل للتراث المطبوع**، ٢٥١/١٥. مقدمة كتاب **حلية الأولياء**، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، بروكلمان: **تاريخ التراث العربي**، (النسخة العربية) ترجمة د/محمود فهمي حجازي، ٥٩٥/٣.

الصفوة»[1] لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي[2]. وكتاب: «بهجة الأسرار ولوامع الأنوار»[3] لأبي الحسن علي بن جهضم الهمذاني[4]. وكتاب: «تهذيب الأسرار»[5] لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان النيسابوري[6]، وكتاب الرسالة لأبي القاسم القشيري[7]، وكتاب «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار»[8] لتاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس[9].

---

(١) **صفة الصفوة**، لابن الجوزي مطبوع ومتداول.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي، التيمي، البكري، البغدادي المعروف بابن الجوزي واعظ وفقيه وحافظ من كبار الحفّاظ ومشارك في أنواع من العلوم ولد ببغداد سنة ٥١٠هـ وتوفي بها ودفن بباب حرب سنة ٥٩٧هـ. ترك عدداً كبيراً جداً من المؤلفات في كثير من أبواب العلوم منها: **المغني في علوم القرآن**، وجامع المسانيد، و**المنتظم في تاريخ الأمم**، و**صفة الصفوة** وغيرها كثير، ومن كتبه ما طبع عدة مرات.

انظر ترجمته في: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٣١/١٤، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ١٧٤/٦، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٢٨/١٣، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٥٧/٥، البغدادي: **هدية العارفين**، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣٢٩/٤.

(٣) **بهجة الأسرار ولوامع الأنوار**، لأبي الحسن علي بن جهضم الهمذاني، وهو في مناقب السادة الأخيار من المشايخ الأبرار أولهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وآخرهم الإمام أحمد بن حنبل. وقد طبع هذا الكتاب طبعات ومتداول وفيه أسرار كبيرة.

(٤) هو: أبو الحسن بن عبد الله بن جَهْضَم، عاش بمكة وكان يعد كبير الصوفية بها، توفي سنة ٤١٤هـ. له كتاب (**بهجة الأسرار**...) الذي تحدث عنه ابن عربي وهذا الكتاب له اسم آخر هو أخبار الصالحين وحكاياتهم. انظر ترجمته في: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٠٥٧/٣، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٦/١٢، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٠٠/٣، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٣٤/٧، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، طبعة القاهرة، ٥٠٥/٢.

(٥) **تهذيب الأسرار**، لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان النيسابوري الخركوشي. هذا الكتاب طبع مؤخراً بتحقيق الأستاذ بسام محمد بارود في السلسلة التي يصدرها المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٩٩، بالإمارات العربية المتحدة وهو كتاب قيّم.

(٦) عبد الملك بن محمد بن ابراهيم بن يعقوب، أبو سعد بن أبي عثمان الواعظ النيسابوري، المعروف بالخركوشي. نسبة إلى خركوش توفي رحمه الله سنة ٤٠٧هـ ترك عدداً من الكتب منها: **تهذيب الأسرار**، وكتاب **البشارة والنذارة**، **شرف المصطفى**، (صلى الله عليه وسلم). انظر ترجمته في: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٠٦٦/٣، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١٨٤/٣، الزركلي: **الأعلام**، ٣١٠/٤، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٨٨/٦، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٤٩٥/٢، (طبعة القاهرة)، مقدمة الطبعة الأولى لكتاب تهذيب الأسرار طبعة المجمع الثقافي بتحقيق بسام محمد بارود.

(٧) (**الرسالة القشيرية**) تحدّث فيها عن فضل التصوف وأهله وما اختصهم الله به من الأنوار والمشاهدات والتصفيات فتحدث أولاً عن مشايخهم وأقوالهم ثم جعل الجزء الأخير منها في الحديث عن الألفاظ التي تدور بين أهل الطائفة الصوفية مثل القبض والبسط، والصحو والسكر، والمقام والحال وغير ذلك. انظر: **الرسالة القشيرية**، **لأبي القاسم القشيري**، طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٩م.

(٨) كتاب **مناقب الأبرار**، لابن خميس الموصلي. نعده الآن للتحقيق ونرجو أن ننتهي منه قريباً ـ إن شاء الله عزّ وجل ـ.

(٩) هو: تاج الإسلام مجد الدين الحسين بن نصر بن محمد الكعبي بن خميس الموصلي الجهني. ولد في ٢٠ محرم ٤٦٠هـ بالقرب من الموصل بقرية جهنة وتوفي رحمه الله في شهر ربيع الثاني سنة ٥٥٢هـ. ترك مؤلفات منها هذا الكتاب تحدث فيه عن مشايخ السادة الصوفية سمّاه (**مناقب الأبرار**) قدّم فيه جديداً عن **طبقات الصوفية** للسلمي، ونرجو أن ننتهي منها قريباً إن شاء الله. انظر ترجمته في: بروكلمان: ٣٣٨/٤، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٦٦/٤، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٨٣/١.

وكتاب: «المنقطعين»[1] لابن مُغيث[2]. وكتاب «الذخائر والأعلاق»[3] لابن سلام الشلبي[4]. وغير ذلك مما شاهدته بنفسي، أو حدثني به شيخ من شيوخي عما شاهده من أخبار الصالحين وحكاياتهم، ولم أرَ في الجماعة أكثر سياحة واجتماعاً بأولياء الله من ذي النون المصري، رضي الله عنه. فجرَّدْتُ منه هذا الكتاب وسميته:

«الكوكب الدُّرِّي في مَناقِب ذي النون المِصْري»

وعدلت إليه من بين الجماعة لكثرة اجتماعاته بالصالحين من الرجال والنساء. ففي ذكرنا إيّاه ذكر جماعة كبيرة تُرجى بركتهم. وذكرت في هذا أكثر ما رُويته من أخباره، رضي الله عنهم،

من اسمه، ونسبه، وبلده، ونعته، وتاريخ وفاته، وثقته، وفضله، وعلمه، وروايته الحديث، وسبب توبته، ومحنته، وأمانته، وحاله، ومناجاته، وكراماته.

ثم:

ما رويناه من كلامه، ومفاريد أقواله، في التوفيق والعبادة، والتوبة، والمجاهدة، والزهد، والورع، والتوكل، والثقة بالله، والجوع[5]، والقناعة، والصمت واليقين، والصبر، والشكر، والتقوى، والخوف، والرجاء، والإخلاص، والتواضع، والجود، والبخل، والخُلق، والرحمة، والفقر، وقصر الأمل، والذكر، والولاية، والأخوة، والإرادة، والحلم، والإسلام، والإيمان،

---

(١) كتاب **المنقطعين**، لابن مغيث.

هو كتاب فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل، وهو كتاب هام من تأليف يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث أبو الوليد ابن الصفار المتوفى سنة ٤٢٩هـ، ولم أقف على طبعة لهذا الكتاب حتى الآن.

(٢) (**ابن مغيث هو ابن مغيث الصفار**)، صاحب فضائل المنقطعين إلى الله عزّ وجل، وتقدمت إشارة الكتاب أمّا المؤلف فهو: يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث، أبو الوليد المعروف بابن الصفّار قاضي أندلس، كان شديد الميل للتصوف والصوفية في العبادة استقضي في أول مرة أمره ببطليوس وأعمالها، ثم صُرف عنها وولي الخطبة بجامع الزهراء، ثم صرف عن ذلك كله ولزم بيته إلى أن قلّده الخليفة هشام بن محمد المرواني القضاء بقرطبة سنة ٤١٩هـ وبقي حتى مات سنة ٤٢٩هـ ترك عدداً من الكتب منها **فضائل المنقطعين**، **فضائل المتهجدين**، وغيرهما. انظر: ابن بشكوال: **الصلة**، ٦٨٤/٢، ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ٢٣٨، **تاريخ قضاء الأندلس**، ٩٥، البغدادي: **هدية العارفين**، ٥٧٢/٢، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣٤٨/١٣، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٤٤/٣.

(٣) كتاب **الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق**، لأبي عبد الله سلام بن عبد الله الباهلي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

انظر: حاجي خليفة **كشف الظنون**، ٨٢٢/١، **بروكلمان**، ١٢٩/٣ من الطبعة العربية. البغدادي: **هدية العارفين**، وبها خطأ في التاريخ، ٣٩٣/١.

(٤) الصحيح ما أثبت (الإشبيلي).

(٥) في أصل المخطوط (الجزع) ومستدركة على الهامش.

والإلظاظ[1]، والحياء، والحب في الله، والصدق، والفتوة، والأدب، والصحبة.

ثم ما رُويناه من كلامه في:

التفرُّد، والعزلة، والخلوة، والعطف، والحياة، والغنى، والتسليم، والرضا، والمراقبة، والهيبة، والأنس، وحسن الظن، والمحبة، والود، والشوق، والسماع، والوجود.

ثم ما رُويناه من كلامه في:

الكمال، والحكم، والمعرفة، والتوحيد، والعقل، والتؤدة، والإفضال، ومقام الشيخوخة، والمكر، والتصوف، وترتيب الأحوال، والمواعظ، والتذكير، والنصائح، والوصايا، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومكاتباته، ونعته أولياء الله، ومن لقي في سياحاته من العابدين والعابدات، وما جرى مجرى هذا الباب. على قدر ما أعطاه الوقت. واستعنت في ذلك كله بالله وتأيدت، ومن الله نطلب ونرغب اللحاق بأهله وخاصته.

---

(١) **(الإلظاظ)** لزوم الشيء، والمثابرة عليه ومنها حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): «أَلِظُّوا في الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام» أي: الزموا هذا، واثبتوا عليه، وأكثروا من قوله، انظر: **(اللسان** مادة لظظ).

باب في اسمه، ونسبه، وبلده، ونعته

اسمه: اختلف الناس في اسمه.

فقيل: اسمه، أبو الفيض بن أحمد.

ذكر ذلك عبد الله بن عطاء السجزي[١] على ما ذكره أبو عبد الرحمن السُّلَمي[٢] في كتاب: «تاريخ الصوفية» له في باب «الذال» حدثنا بذلك محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التَّميمي الفاسي[٣] بمدينة فاس سنة أربع وتسعين وخمس مائة. قال:

ثنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصفهاني[٤] قال: ثنا القاسم بن الفضل بن

(١) (أبو عبد الله السجزي) صحب أبا حفص، وهو من كبار مشايخ خراسان وفتيانهم. كان يقول: «العبرة أن تجعل كل حاضر غائباً والفكرة أن تجعل كل غائب حاضراً». توفي رحمه الله في القرن الثالث الهجري. انظر ترجمته في: السلمي: **طبقات الصوفية**، ٢٥٤، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣٥٠/١٠، الجامي: **نفحات الأنس**، ٣٧٩.

(٢) (أبو عبد الرحمن السُّلَمي) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، واشتهر بنسبته إلى سليم فهو حفيد الشيخ أبو عمرو اسماعيل بن نجيد السُّلَمي. ولد أبو عبد الرحمن في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٢٥هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٤١٢هـ. له عدد كبير من كتب التصوف منها كتب الطبقات والتفسير، بلغت ثلاثين كتاباً. وعن كتابه **تاريخ الصوفية**، لم نقف له على مخطوطة ولا مطبوعة ويبدو أن هذا الكتاب قد فقد تماماً ضمن ما فقد من كتب السادة.
انظر: ما قيل عنه وعن مؤلفاته في مقدمة كتابه **طبقات الصوفية**، بقلم نور الدين شريبة، الطبعة الأولى ١٩٨٦.

(٣) هو: محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي (أبو عبد الله) محدّث، سمع من أبي الحسن بن حنين وغيره، ورحل إلى المشرق رحلة حافلة أقام فيها خمسة عشر عاماً ولقي نحواً من مائة شيخ منهم أبو طاهر السلفي. توفي رحمه الله بفاس سنة ٦٠٣هـ.
انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٤٠/١١، الكتاني: **فهرس الفهارس**، ٩٤/٢، ابن الأبار: **تكملة الصلة**، ٣٧٤، ٣٧٥.

(٤) (أبو طاهر) عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني. المحدث والفقيه والعلاّمة سمع بماردين، وشُهرزورد قدم دمشق فأقام بها ثم استوطن اسكندرية وتوفي في الخامس من ربيع الآخر سنة ٥٧٨هـ. ترك عدداً من المؤلفات الهامة: **معجم السفر**، **السلفيات في الحديث**، **معجم مشيخة بغداد**، وهو كبير.
انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ٧٥/٢، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٥٥/٤، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٢٩٨/٤، ترجمة رقم (١٠٨٢)، **بروكلمان**، ٦١٧/٣، الطبعة العربية بترجمة أ. د/محمود فهمي حجازي.

محمود الثقفي[1] قال حدثنا أبو عبد الرحمن السُّلَّمي بذلك، وحدثناه الحافظ السلفي إجازة.

وقيل: هو ذو النون بن إبراهيم الإخميمي مولى لقريش. وكان أبوه «إبراهيم» نوبياً.

حدثنا بذلك إجازة أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني[2] القَزْوِيني قال: ثنا أبو الفرج عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذياخي[3] الصوفي قال: ثنا أبو محمد عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن أبي بشر البحتري، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلَّمي قال:

سمعت علي بن عمر الدارقطني[4] أخبرني الحسن بن أحمد بن علي الماذرائي[5] قال: قرأ علي أبو عمر الكندي[6] في كتابه «في أعيان الموالي»[7] فذكر فيه: ومنهم ذو النون بن إبراهيم. وذكر ذلك.

وقيل: اسمه، الفيض.

ويُلَقَّب: ذو النون وكنيته: أبو الفيض.

---

(١) (القاسم بن الفضل بن محمود الثقفي) الأصبهاني، محدث، حافظ، مسند، من أهل أصبهان، رحل إلى أصبهان والعراق والحجاز وسمع بها من الكبار. من آثاره: (**الثقفيات، الفوائد**) كلاهما في الحديث. توفي رحمه الله سنة ٤٨٩هـ.
انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ١١٠/٨، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٢٢٧/٤.

(٢) أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني (أبو الخير) الواعظ ببغداد، توفي سنة ٥٩٠هـ عن ثمان وسبعين سنة، فقيه، مقرئ، صوفي، واعظ، مشارك في أنواع من العلوم. له مؤلفات منها: **التبيان في مسائل القرآن، خصائص السؤال، حظائر القدس**.
انظر: **كحالة: معجم المؤلفين**، ١٦٨/١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣٠٠/٤، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٣٥٦/٤، السبكي: **طبقات الشافعية**، ٣٥/٤.

(٣) هو المسند أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذياخي، توفي رحمه الله سنة ٥٣٥هـ مع المسند العلامة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي. انظر الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٢٨/٤.

(٤) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي الدارقطني، الشافعي، أبو الحسن ولد في ذي القعدة سنة ٣٠٦هـ وتوفي سنة ٣٨٥هـ. ترك مؤلفات كثيرة منها: **المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال، غريب اللغة، كتاب السنن، المعرفة بمذاهب الفقهاء**.
انظر ترجمته في كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٥٧/٧، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٣١٧/١١، **الذهبي**، ٩٩٧/٣، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ١٧٢/٤، البغدادي: **هدية العارفين**، ٦٨٣/١.

(٥) هو الحسين بن أحمد بن رستم، ويقال ابن أحمد بن علي، ويقال: أبو علي يعرف بابن زنبور الماذرائي، نسبة إلى ماذاريا، قرية فوق واسط من كُتّاب الدولة الطولونية. روى عنه الدارقطني، وولي خراج مصر، ثم عزل وأخرج إلى دمشق ومات بها في شهر ذي الحجة سنة ٣١٧هـ.
انظر: ياقوت: **معجم البلدان**، ٣٥٤/٧. السُّلمي: **الطبقات**، هامش ص ١٥.

(٦) هو محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن نصر أبو عمرو الكندي التجيبي. له مصنفات كثيرة في تاريخ مصر وأحوالها منها: **ولاة مصر وقضاتها**، وكان عارفاً بأحوال الناس وسير الملوك، وتوفي سنة ٣٥٣هـ وقيل بعد ذلك.
انظر: السُّلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ١٥.

(٧) كتاب **أعيان الموالي**، لم أقف عليه.

أنبأنا بذلك محمد بن قاسم[1]، والحاج أبو بكر بن علي ابن أخت أبي الربيع المقوقي بمجلسه بالعكارين من إشبيلية، وكانت له رحلة قالا: ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو عبد الرحمن، أنبأ، عبد الواحد بن بكر الورثاني[2]، ثنا إبراهيم بن أبي حماد الأبهري، ثنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد البغدادي صاحب ذي النون قال:

ذو النون: كنيته.

واسمه: الفيض.

وذو النون: لقب له، وإنما الفيض: اسمه.

وقيل: اسمه؛ ثوبان بن إبراهيم.

وكان أبوه مولى لإسحاق بن محمد الأنصاري، وكان لأبيه أربعة بنين:

ذو النون، وذو الكفل، وعبد الباري، والهُمَيْسَع. ذكر ذلك أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي في كتاب: «صفة الصفوة».

قال أبو عبد الرحمن السُّلْمي في كتاب «تاريخ الصوفية»: كانوا أربعة إخوة:

ذو النون، وذو الكفل، وعبد الخالق، وعبد الباري.

فقد يكون عبد الخالق يسمى أيضاً: الهُمَيْسَع. كما روينا أن ذا الكفل لقب، واسمه ميمون.

فهذا ما وصل إلينا من الخلاف في اسمه، وكان من قرية يُقالُ لها: إخميم[3] بصعيد مصر. فنزل مصر.

قال الحافظ أبو نعيم[4] في نعته:

كان ذو النون رجُلاً نحيفاً، تعلوه حمرة. ليس بأبيض اللحْية. ولا أعرف في هذا النعت خلافاً بين الجماعة.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو: أبو الفرج، عبد الواحد بن بكر، الورثاني، الصوفي. كتب الكثير، دخل جرجان سنة ٣٦٥هـ وسمع وحدّث بها بأخبار وأحاديث وحكايات، توفي بالحجاز سنة ٣٧٢هـ.
انظر: **تاريخ جرجان**، ٢١١ للسهمي، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ٧٢، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٢/ ٤٨٥، طبعة القاهرة ١٩٧٩م.

(٣) (إخميم) بلدة في صعيد مصر، عامرة بالنخيل والزروع على النيل الشرقي. من عجائبها الجبل الذي في غربيها، مَنْ أصغى إليه سمع صوتاً كخرير الماء، ولَغَطاً شبيهاً بالكلام، ولم تعرف حقيقة ذلك. وبها البرابي التي هي من عجائب مصر، وينسب إليها أبو الفيض ذو النون المصري بن إبراهيم الإخميمي. هكذا أورد القزويني في **آثار البلاد وأخبار العباد**، ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٤) هو أحمد بن عبد الله صاحب **حلية الأولياء**، وتقدمت ترجمته منذ قليل.

باب فيما رُوينا من فضله وكماله

[كان ذو النون، رحمه الله، مولعاً بطلب الأولياء والسياحة. وكان ذا علم، وورع. أديب وقته، له لسان في المعرفة وفي نعت الطائفة][1] فما روينا من فضله وكماله ما حدثنا به أبو الحسين يحيى بن الصَّايغ الزاهد المحدث بنسبته سنة تسع وثمانين وخمس مائة، ولم تعلم له رحلة إلى بلاد الشرق أصلاً. وكان صاحب كرامات، وحدثني أنه اجتمع بالحافظ السلفي بالإسكندرية، وما ذكرت ذلك عنه حتى مات. فإنه أخبرني بذلك كالمستكتم، وهو يلتفت، رحمه الله، قال لي:

أخبرني السلفي قال: حدثني الثقفي قال: ثنا السُّلمي قال: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت محمد بن داود[2] يقول: سمعت ابن الجلاء[3] يقول: «لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة، أحدهم ذو النون».

أخبرني من أثقه من أصحابنا أن شيخنا ابن الصَّايغ هذا قال: «ركبت معه البحر فعطشنا. فاغترف من البحر في وسط اللُّجة فسقاني ماءً أحلى من العسل. ومن كانت حالته هذه فقد يكرمه الله بطي الأرض، وغير ذلك من خرق العوائد.

اللَّوْحُ والقَلَمُ الأَعْلَى مَعَ النُّونِ ... يَدْرُونَ مَا قُلْتُهُ فِي فَضْلِ ذِي النُّونِ

جَرَى بِه القَلَمُ الأَعْلَى فَفَصَّلَ مَا ... قَدْ كَانَ أَجْمَلَه الرَّحْمَنُ فِي النُّونِ

جَرَتْ عَلَى السُّنَّةِ البَيْضَاءِ سِيرَتُهُ ... فَسَارَ فِي الأَمْرِ بَيْنَ الشَّدِّ واللِّينِ

إِذَا دَعَا اللَّهَ فِي شَيءٍ يعِزُّ لَهُ ... كَأَنَّمَا الشَّيْءُ بَيْنَ الكَافِ والنُّونِ

لِلَّهِ فِي قَلْبِهِ نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ ... نُورِ الهِدَايَةِ والتَّوْفِيقِ والدِّينِ

فَكَانَ يَكْشِفُ مَا تُخْفِي ضَمَائِرُنَا ... بِهِ ويَنْشُرُهَا مِنْ بَعْدِ تَغْيِينِ

سَقَى الإِلهُ ضَرِيحاً أَنْتَ سَاكِنُه ... صَوْبَ الغَمَامِ بِأَزْوَاحِ الرَّيَاحِينِ

---

(١) ما بين المعقوفتين باب كامل بالمخطوط. أخذ عنواناً كلمة [باب] هكذا فقط. فضممته مع العنوان التالي وهو الباب [فيما روينا من فضله وكماله] واعتبرتهما باباً واحداً. وهذا للعلم.

(٢) محمد بن داود الرّقي (أبو بكر) الدينوري، أقام بالشام وعمّر فوق مائة سنة. صحب أبا عبد الله بن الجلاء وإليه كان ينتمي، وكان من أجل مشايخ وقته حالاً وأقدمهم صحبة مات رحمه الله بعد سنة ٣٥٠هـ. كان يقول: علامة القرب الانقطاع عن كل شيء سوى الله تعالى. انظر ترجمته في **الرسالة القشيرية**، ٣٧، السلمي: **طبقات الصوفية**، ٤٤٨.

(٣) (ابن الجلاء) واسمه أحمد بن يحيى، أصله من بغداد، وكان من جلّة مشايخ الشام. صحب أباه يحيى بن الجلاء وأبا تراب النخشبي، وذا النون المصري وغيرهم. وكان أستاذ محمد بن داود الرّقي، توفي رحمه الله سنة ٣٠٦هـ.
انظر ترجمته في السلمي: **طبقات الصوفية**، ١٧٦، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣١٤/١٠، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١/ ١٢٩، الجامي: **نفحات الأنس**، ٣٧٠.

لَكَ السِّيَاحَةُ فِي الكَوْنَيْنِ أَيَّدَكُمْ ... بِهَا المُؤَيِّدُ عَنْ كَشْفٍ وَتَبْيِينِ

فَسِحْتَ فِي العَالَمِ الأَعْلَى بِهِمَّتِكُم ... وَسِحْتَ فِي العَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالطِّينِ

فَكُنْتَ يُلْقَى إِلَيْكَ الأَمْرُ مِنْ كُثُبٍ ... عَلَى التَّقَابُلِ والتَّثْلِيثِ فِي الحِينِ

وَكُنْتَ تَلْقَى رِجَالَ اللَّهِ مُعْتَمِداً ... عَلَيْهِ والوَقْتُ بَيْنَ العِزِّ والهُونِ

فَتَنْتَقِي دُرَراً مِنْ جَوْهَرٍ نَطَقَتْ ... بِهِ سَرَائِرَ أَهْلِ اللَّهِ مَكْنُونِ

أَصْبَحْتَ وارِثَ مُخْتَارٍ وَمُصْطَنَعٍ ... فِي عِلْمِهِ وَهُوَ عَنْكُم غَيْرُ مَخْزُونِ

سَرَا لَكَ الأَمْرُ مِن مُلْكِ البَهَاءِ ... عَلَى نُجُبِ الفَنَاءِ بِتَهْلِيلٍ وَتَأْمِينِ

وَفِي الرَّفَارِفِ مِنْ تَنْزِيلِكُمْ أَثَرٌ ... مِنْ عَيْنِ سِرٍّ بِقَلْبِ الحُرِّ مَدْفُونِ

أَسَرَتْ عَلَيْكُم مِنَ العَلْيَاءِ سَارِيَةٌ ... تَسِحُّ مَاءً فُرَاتاً غَيْرَ مَسْنُونِ

فَاسْتَخْرَجَ المَاءَ مِنْكُم كُلَّ طَيِّبَةٍ ... وَطَيِّبٍ بَيْنَ مَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ

دَرَّتْ لَبُونُ مَرَاسِيكُم بِفَهْمِكُمُ ... عِلْمَ السُّلُوكِ فَمِنْهُ السِّرُّ يُولِينِي

وَجَاءَ مَضْرَبُ نَحْلِ الوَحْيِ بِالعَسَلِ ... الأَصْفَى صَفَا وُدِّي وَيُمْرِينِي

وَأَسْكَرَتْكُم بِلاَ مَزْجٍ وَلاَ قَدَحٍ ... فِي مَجْلِسٍ بِنْتُ الزَّرَاجِينِ

فَأَوْرَثَتْ طَرَباً لاَ يَعْتَرِيهِ أَسَى ... وَلَيْسَ يَعْقُبُهُ صَحْوٌ إِلَى حِينِ

جَمَعْتَ حِينَ أَرَدْتَ العِزَّ وَفِي ... عَالَمِ الأَهْوَاءِ مَا بَيْنَ يَرْمُوكَ وصِفِّينِ

فَلَمْ تُبْقِ مِنَ الأَكْوَانِ سُمَّرَكُمْ ... فِي قُبَّبِكُم أَثَراً لِلْخُرَّدِ العِينِ

هَبَّتْ عَلَيْكُم بِرَيَّا كُلِّ طَيِّبَةٍ ... تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ رِيحُ الهِنْدِ والصِّينِ

ظَفِرْتَ بِالغَايَةِ القُصْوَى وبِالنَّاقَةِ ... القَصْوا وِرْثاً مِن الشُّمِّ العَرَانِينِ

أَفْدِيكَ مِنْ مَلِكٍ يَعْنُو لَهُ مَلِكٌ ... سِرُّ الوُجُودِ وَسُلْطَانُ السَّلاطِينِ

سَأَلْتُكُم وَوُجُودُ الحَقِّ مُعْتَمَدِي ... فِيهِ سِوَاكَ قَرِيحُ القَلْبِ مَحْزُونِ

عَلَى مَكَانَتِكَ الزُّلْفَى وَرَهْبَتِكَ ... العُلْيَا وَمَحْضَرِكَ الأَجْلَى تُوَاسِينِي

فِي عَالَمِ القَلْبِ والأَرْوَاحِ دَائِرَةٌ ... لِلْحِفْظِ مِنْ نَفْثَةِ المُرْدِ الشَّيَاطِينِ

فَأَصْبَحَ القَلْبُ مَخْصُوصاً بِلَحْظَتِكُمْ ... مُؤَيَّداً بِعُلُومٍ غَيْرِ مَفْتُونِ

هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَاحُ القُرْبِ طَيِّبَةً ... كَأَنَّمَا بُعِثَتْ مِنْ أَرْضِ دَارِينِ

يَرْجُو اتِّصَالاً عَلَى بُعْدٍ وَمَنْقَصَةٍ ... بِمَا تَحَقَّقَ سِرِّي غَيْرَ مَمْنُونِ

اللَّهُ أَكْبَرُ لاَ أَبْغِي بِهِ بَدَلاً ... وَلاَ بِخَاصَّتِهِ أَهْلُ المَيَامِينِ

وَقَدْ سَأَلْتُ إِلَهَ العَرْشِ مَا ذَكَرَتْ ... فِي سُورَةِ النُّورِ وَالأَعْلَى وَفِي التِّينِ

مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي حَلَّى الوُجُودَ بِهَا ... فَكَانَ أَبْدَعَ تَكْوِينٍ وَتَحْسِينِ
لابْنِي وَقُرَّةِ عَيْنِي والمُسَاعِدِ لِي ... بِالمُصْطَفَيْنِ كَذَا النُّونِ وذَا النُّونِ
ذَا مِنْ نُبُوَّتِهِ وَمِنْ وَلاَيَتِهِ هَذَا ... لِنُسْكٍ بِالأَعْلَى وَبِالدُّونِ
اللَّهُ يَنْفَعُنِي بِالقَصْدِ فِيهِ بِمَا ... سَطَرْتُهُ يَوْمَ تَرْجِيحِ المَوَازِينِ

باب في وفاته

وتوفي ذو النون، رحمه الله، بالجيزة[1]. وحُمل في مركب إلى الفُسْطَاط[2] خوفاً عليه من زحمة الناس على الجسر ودفن في مقابر أهل المعافر. وذلك يوم الاثنين لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ ذِي القعدة سنة (سِتٍّ وأَرْبَعِينَ ومائَتَيْنِ) كذا ذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه[3].

وقال ابن هوازن[4]: سنة (خمس وأربعين ومائتين)[5].

وكذا أخبرنا أبو الحسين بن الصايغ، عن أحمد بن محمد، عن الثقفي، عن السُّلَمي عن الحسن بن رشيق[6]، عن جَبَلَة بن محمد الصدفي[7]، عن عبد الله بن سعيد بن كثير بن

---

(١) (الجيزة) مدينة من مدن مصر تحدث عنها القزويني نقلاً عن أبي حامد الأندلسي الذي ذكر الأهرامات وأبا الهول، وما كان من القرى والرساتيق، والمزارع والبساتين حول أبي الهول الذي يقول عنه (الصنم) والرمل خلفه وكان مكان ذلك الرمل مدن وقرى غطاها ولا يمكن الوصول إليها. وقال: رأيت مدينة فرعون سيدنا يوسف (عليه السلام). مدينة عظيمة بنياتها وقصورها أعظم وأحكم من مدينة فرعون سيدنا موسى (عليه السلام).
انظر تفاصيل ذلك العجيبة في كتاب **آثار البلاد وأخبار العباد**، للقزويني، ص ١٨٢.

(٢) (الفُسطاط) هي المدينة المشهورة بمصر، بناها عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قيل: إنه لما فتح مصر عزم إلى الإسكندرية سنة ٢٠هـ، وأمر بفسطاطه أن يقوض فإذا يمامة قد باضت في أعلاه... فلما فرغ من القتال قال لأصحابه أين تريدون؟ قالوا: نريد إلى فسطاطك أيها الأمير، فكان ثم بنى الجامع سنة ٢١هـ وكتب القرآن كله على حيطانه ثم جاء الفرنج فخربوها حتى سنة ٥٧٢هـ حين قدم صلاح الدين وأمر ببناء سور على الفسطاط والقاهرة.
انظر: القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص ٢٣٦.

(٣) **صفة الصفوة**، وتقدم الكلام عنه.

(٤) أي: أبو القاسم القشيري في رسالته.

(٥) وانظر في ذلك ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٣٢٠/٢، نفس التاريخ وعند سزكين ٢٤٦هـ انظر **تاريخ التراث العربي**، ٤٤٤/٢.

(٦) الحسن بن رشيق العسكري المصري مشهور، عالي السند لينه الحافظ عبد الغني بن سعيد قليلاً، ووثّقه جماعة، وأنكر عليه الدارقطني أنه كان يصلح في أصله ويغير، توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر **ميزان الاعتدال**، ٢٢٨/١، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٣٢٨/١، **طبقات الصوفية**، هامش ص ١٦.

(٧) جبلة بن محمد الصدفي، ابن عبد الرحمن أبو يوسف الإفريقي سمع من سحنون وغيره، ثم غلب عليه التنسك والزهد صالح ثقة زاهد، سيد أهل زمانه وأزهدهم، توفي رحمه الله سنة ٢٩٩هـ.
انظر: المناوي: **الكواكب الدرّية**، ٢٧٦/١.

عفير[1] قال: «مات ذو النون سنة خمس وأربعين ومائتين».

وكذا قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى[2]:

أن ذا النون[3] توفي في ذي القعدة سنة (خمس وأربعين ومائتين) أخبر ذلك عنه عبد الله ابن محمد الحلواني، وأخبر عن الحلواني أبو عبد الرحمن السُّلَمي، ورويناه نحن عن السلمي بالسند المتقدم. وعلى هذا التاريخ أكثر الروايات.

وحدثنا عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا القاسم بن الفضل بن محمود ثنا أبو عبد الرحمن بن الحسن قال:

قيل: مات ذو النون سنة (ثمان وأربعين ومائتين) فهذا جملة ما رويناه من الاختلاف في تاريخ وفاته.

رضي الله عنه.

باب في سَببِ تَوبَتِهِ، وبَدْءِ شَأْنِهِ

حدثنا محمد بن قاسم، ثنا الحافظ أحمد بن محمد، ثنا الثقفي أبو عبد الله القاسم بن الفضل محمود، ثنا أبو الرحمن السُّلمي قال:

سمعت أبا بكر بن محمد بن عبد الله بن شاذان[4] يقول:

---

(١) عبد الله بن سعيد بن كثير بن عفير المصري، يروي عن أبيه، ويروي عنه عليّ بن قديد، والحسين بن إسحاق، قال ابن عياض: يروي عن الثقات المقلوبات لا يجوز الاحتجاج به، وقال الذهبي: روى عنه أبو عوانة في صحيحه. توفي سنة ٢٢٦هـ.

انظر **ميزان الاعتدال**، ١٦٧/٢، السلمي: **طبقات الصوفية**، ١٦، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٥٨٥/١.

(٢) أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي. كان مؤرخاً ومحدثاً، ولد في الفسطاط سنة ٢٨١هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٣٤٧هـ.

انظر ترجمته في: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٨٩٨/٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٢٣٣/١١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣٧٥/٢، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٢٣/٥، البغدادي: **هدية العارفين**، ٥١٤/١، الزركلي: **الأعلام**، ٦٥/٤، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٥٧٨/١، الطبعة العربية بالقاهرة ١٩٧٩م.

(٣) في المخطوط: (أنَّ ذو النون).

(٤) (محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان)، أبو بكر الرازي المذكِّر كان جوالاً كثير الأسفار، راوياً لحكايات الصوفية، وكان أبو عبد الرحمن السلمي كثير الحكايات عنه، ملياً بالسماع منه. ورد نيسابور ٣٤٠هـ، وتوفي رحمه الله يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٧٦هـ.

انظر: السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ١٨، **تاريخ بغداد**، ٤٦٤/٥، **ميزان الاعتدال**، ٨٥/٣.

سمعت يوسف بن الحسين[١] يقول حضرت مجلس ذي النون يوماً وجاءه سالم المغربي فقال: «يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك». فقال: عجب لا تُطِيقُه. فقال: بمعبودك إلاّ أخبرتني. فقال ذو النون: أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى. فنمت في الطريق في بعض الصحارى. ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة[٢] عمياء فسقطت من وكرها على الأرض. فانشقت الأرض فخرج منها سُكرجَتان[٣] إحداها ذهب والأخرى فضة وفي إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء فَجَعَلَتْ تأكل من هذا، وتشرب من هذا.

فقلت: حسبي قد تبتِ. ولزمت الباب إلى أن قَبِلَني.

أخبر في هذه الحكاية أنه بُشِّرَ بالقبول، وهذا عندنا غير منكور. فإن العقل يجوّزه. وقد ورد الشرع به.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا﴾[٤].

سمعت هذه الحكاية يوماً تُقرأ بحضرة الشيخ العارف أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهدوي[٥] بتونس، رضي الله عنه.

هذه القنبرة كانت نفسه في صورة حاله.

وحدثنا محمد بن اسماعيل أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد[٦] إجازة ثنا أبو بكر

---

(١) (يوسف بن الحسين) أبو يعقوب الرازي، شيخ الرّي وهي مدينة مشهورة قرب نيسابور. كان أوحد طريقته في إسقاط الجاه، وترك التصنع، صحب ذا النون المصري، وأبا تراب النخشبي، ورافق أبا سعيد الخراز في بعض أسفاره، توفي رحمه الله سنة ٣٠٤هـ.

انظر: السلمي: **طبقات الصوفية**، ١٨٥، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢٣٨/١٠، القشيري: **الرسالة**، ٢٩، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٢٦/١١.

(٢) (القُبّرة) ضرب من الطير، يشبه الحمرة. وقال: الدجاجة القُنْبُرانِيَة هي التي على رأسها قُنْبُرة أي فضل ريش مثل ما على رأس القُنْبُر. والجمع قنابر.

انظر: **اللسان**، مادة (قبر – قنبر).

(٣) (السُّكُرّجة) إناء صغير يؤكل فيه الشيء الصغير من الأُدْم وهي فارسية. وفي الحديث قال (صلى الله عليه وسلم): **(لا آكل في سُكُرّجة)** و«وما أكل النبي (صلى الله عليه وسلم) على خوان ولا في سُكُرّجة» رواه **البخاري** في الأطعمة ٢٣، ٨، **والترمذي** أطعمة١، **وابن ماجة** في الأطعمة ٣٠، **وأحمد بن حنبل**، ١٣٠/٣.

(٤) سورة يونس، الآية رقم (٦٤).

(٥) عبد العزيز بن أبي بكر المهدوي، أبو محمد بتونس أخذ عن الشيخ أبي مدين، كان ذا اتصاف جميل، وعلم جليل بالرغم من كونه أمياً أثنى عليه الأئمة، وأخذ عنه أكابر الأولياء له كرامات كثيرة، مات رحمه الله سنة ٦٧١هـ.

انظر ترجمته في المناوي: **الكواكب الدرية**، ١١٦/٢.

(٦) هو ابن الجوزي المشهور وتقدمت ترجمته.

ابن حبيب العامري[١]، أنبأنا علي بن أبي صادق، أنبأنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي[٢]، ثنا محمد دادويه السهناني قال: سمعت الحسن بن علويه[٣] يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: لما استأنست بذي النون المصري قلت: أيها الشيخ ما كان بدءُ شأنك وما أنت فيه؟

قال: كنت شاباً صاحب لهو ولعب، ثم إني تبت وتركت ذلك كله، وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، ومعي بُضيعة؛ فركبت في المركب مع تجار من مصر، وركب معنا شاب صبيح، كأنه يشرق وجهه. فلما توسَّطنا فَقَدَ صاحبُ المركب كيساً فيه مال. فأمر بحبس المركب. وفتَّش من فيه وأتعبهم، فلما وصلوا إلى الشاب ليُفتِّش وثب وثبة من المركب حتى جلس على موج البحر وقام له الموج كالسرير وهو جالس عليه ينظر إليه من المركب ثم قال:

يا مولاي إن هؤلاء اتهموني. أقسم يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رؤوسها وفي أفواهها جوهرة.

فما تمَّ كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب وحواليه أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهر مضيء يتلألأ ويلمع، ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر، وجعل يتبختر على متن الماء ويقول:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٤].

حتى غاب عن بصري.

---

(١) (أبو بكر بن حبيب العامري) لم أعثر على ترجمته.

(٢) محمد بن عبد الله بن باكويه الشيرازي (أبو عبد الله الصوفي) ولد سنة ٣٤٠هـ وتوفي سنة ٤٢٨هـ. روى عنه أبو بكر بن خلف، وكانت وفاته بشيراز أيضاً. ترك مؤلفات منها: **أخبار العارفين، بداية حال الحلاج ونهايته.**

انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٠/٢٠٢، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٣/١٠٨٦.

(٣) الحسن بن علي بن محمد بن سليمان، أبو محمد القطّان، ويعرف بابن علويه كان ثقة. مات أبو محمد يوم السبت لِلَيلتين خلتا من شهر ربيع الآخر ٢٩٨هـ، وكان مولده سنة ٢٠٥هـ.

انظر **تاريخ بغداد**، ٧/٢٧٥، **طبقات الصوفية**، هامش ص ٦٩، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ١/٢٦٠، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٧٩م.

(٤) سورة الفاتحة، الآية رقم (٥).

باب في أنه كان من أهل الحديث

كان ذو النون، رحمه الله، من رواة الحديث أسند عن مالك بن أنس[1]، والليث بن سعد[2]، وسفيان بن عيينة[3]، والفضيل بن عياض[4]، وغيرهم. وكان ثقة.

حدثنا محمد بن قاسم، ثنا أحمد بن محمد، حدثنا القاسم بن الفضل بن محمود، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي قال:

سألت علي بن عمر، يعني الدارقطني عن أحاديث ذي النون فقال: إذا صح السند إليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة.

ذكر تاج الإسلام: أبو عبد الله الحسين بن خميس[5] رحمه الله، حدثنا عنه أبو الثناء محمود اللبان[6] بمدينة الموصل، ولقيت ابنته بمكة كانت تحضر مجلسنا، وكان لها لسان واجتمعتُ بها بالمدينة أيضاً، وأخبرتني بمدينة الموصل في دعوة اجتمعتُ بها فيها أنها تحمل كتب أبيها فحدثتنا عنه قال ابن خميس يَسْنده إلى محمد بن الحسن الجوهري مُعَنْعَناً قال:

---

(١) (مالك بن أنس) بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري أبو عبد الله، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد سنة ٩٣هـ وتوفي رضي الله عنه سنة ١٧٩هـ، سمع الزهري ونافعاً، وأبا الزبير وغيرهم من التابعين، كان صلباً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك، وأحواله ومناقبه كثيرة أكثر من أن تحصى. انظر: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٦/ ٣١٦، الديار بكري: **تاريخ الخميس**، ٣٣٢/٢، ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ١٤١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٩/١، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ١٢٠/٢، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٠٧/١، ابن قتيبة: **المعارف**، ٢٥٠، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٩٦/٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٧٤/١٠.

(٢) (الليث بن سعد) بن عبد الرحمن الفهمي (أبو الحارث) المصري إمام أهل مصر في الفقه والحديث، أصله من خراسان، ولد بقلقشندة بالقرب من القاهرة، روى عن الزهري ونافع وطبقتهما، وروى عنه ابن شعيب وابن المبارك وآخرون كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، توفي رضي الله عنه سنة ١٧٥هـ.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣١٨/٧، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١/ ٢٨٥، ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ١٣٩، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٢٢٥/٢، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٦٢/٨

(٣) (سفيان بن عُيينة) بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي (أبو محمد) محدّث الحرم المكّي في عصره، كان إماماً عالماً ورعاً، مجمعاً على صحة حديثه، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨هـ وقيل سنة ١٩٦هـ. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢٧٠/٧، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣٥٤/١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٢٩/٢، ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ١٤٩، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ١٣٩/١، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٣٥/٤.

(٤) (الفضيل بن عياض) ستأتي ترجمته بعد قليل انظرها.

(٥) ابن خميس الموصلي صاحب كتاب **مناقب الأبرار** الذي اعتمد عليه المؤلف وتقدم له ترجمة.

(٦) (أبو الثناء محمود اللبان) لم أعثر على ترجمته.

دخلت أنا وأبو الفضل على ذي النون، فقلت له: أكرمك الله حدثني بحديث أنتفع به، وأذكرك به. فرفع رأسه، فنظر إليّ ساعة ثم قال: وأنت تكتب الحديث؟ فقلت: ربما فعلت. ورجوت أنك تحدثني حديثاً في الرقائق يكون عوناً لي على هذا المذهب. فقال: للحديث رجال، ولي شغل بنفسي عن الحديث، وإن كان الحديث من أركان الدين، ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس في زمانهم. ولكن بذلوا علمهم لأهل الدنيا فحجبوهم وتكبروا عليهم وجعلوهم خولاً. افتتنوا بالدنيا لما رأوا حرص أهل العلم والمتنعمين من القرّاء على الدنيا، والمنزلة عند أهلها. إذا القوم طلبوا الدنيا بعلمهم ما عند الله فجعلوا العلم فخّاً للدنيا فما أقبح هذا. شيء يطلب به الباقي كسبوا به الفاني. اللهم فلا تجعلنا منهم، ولو أنهم لزموا باب ربهم، عزّ وجلّ، لكفاهم وأعزهم ولكنهم انقطعوا إلى المخلوقين فوكلهم وأذلهم. لو رجوا الله لم يرجوا غيره أحداً، ولو خافوا الله لم يخافوا أحداً، ولو انقطعوا إلى الله لم يذلوا أبداً. لقد جهلوا بعد علمهم، وافتقروا بعد غناهم، وذلوا بعد عزّهم، وصاروا عبيداً لأهل الدنيا بعدما جعلهم الله أحراراً شربوا بكأس المفتونين شربة فذهبت بعقولهم. إن العلم سلاح الدين، فإذا طُلبت به الدنيا لم ينفعك.

ثم قال: لقيت المُسَيّب بن واضح[1]؟ فقلت له: نعم أريد أن ألقاه، إن شاء الله. فقال: إذا لقيته فسله أن يحدثك عن يوسف بن أسباط[2]، عن سفيان الثوري[3]، عن الحسن[4]، فإني أكره أن أكون محدِّثاً. فقلت له: أسمعه منك، فهو أحب إليّ، ولعلي لا ألقاه.

---

(١) (المسيب بن واضح)، أورد ذكره الذهبي فيمن أخذ عنه الإمام الحافظ أبو عروبة محدِّث حران الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السلمي وقال الذهبي روى عن جماعة منهم المسيب بن واضح وكانت وفاة الحسين سنة ٣١٨هـ، ويبدو أنه من نفس طبقتهم.

انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٧٧٤/٢.

(٢) (يوسف بن أسباط) سيد الزهّاد، ومن أئمة الشرع المتورعين، غلب عليه الخوف، والفزع، والعلم. كان يقول: (أعطى الله المحبين ثلاثة أشياء: الحلاوة، المهابة، المحبة). توفي سنة ١٩٦هـ وقيل سنة ١٩٩هـ.

انظر ترجمته في: الجامي: **نفحات الأنس**، ٩٢؛ السلمي: **طبقات الصوفية**، ٣٦، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٢/ ٢١، المناوي: **الكواكب الدرّية**، ٣٢٤/١، الشعراني: **الطبقات الكبرى**، ٥٢/١، ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٨٤٩/٢.

(٣) (سفيان الثوري) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور بن عبد مناة من مضر. (أبو عبد الله) كان إماماً في علم الحديث، ومن الأئمة المجتهدين ولد سنة ٩٥هـ بالكوفة، وتوفي رضي الله عنه سنة ١٦٢هـ. أُجمع الناس على زهده وورعه وثقته في الرواية، وترك عدداً من المؤلفات.

انظر ترجمته في: ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٥٠/١، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣٥٦/٦، ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ١٣٤، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٣٤/٤، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٢٢٤/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩م.

(٤) (الحسن) الذي روى عنه سفيان الثوري هو: الحسن بن عبيد الله النخعي أما الذي روى عن سفيان الثوري هو: الحسن ابن بنت الشعبي.

فقال: انظروا إلى الشاب ما أحرصه على طلب هذا الشأن، وإني أجد له موقعاً ورِقّةً. اللهم اصنع له وبلغه أمله.

قد طال مجلسنا ونعود إن شاء الله.

في ما رُوينا من أحاديثه عن مالك بن أنس

ما حدثنا به أبو الحسن الصايغ الزاهد، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا القاسم بن الفضل، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، ثنا عبد الله بن الحسين الصوفي، ثنا محمد بن حمدون بن مالك البغدادي(١)، ثنا الحسن بن أحمد بن المبارك(٢)، ثنا أحمد بن صليح الفيومي(٣)، ثنا ذو النون المصري عن مالك بن أنس(٤) عن الزهري(٥).

عن أنس(٦) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله»(٧).

---

(١) هو: محمد بن حمدون، ويقال ابن حمدان، أبو حامد أو ابن حامد القطيعي، البغدادي المقرئ، يعرف بالمتقي. قرئ عليه في مسجده ببغداد سنة ٣٠٢هـ انظر: **غاية النهاية**، ٢/١٣٥، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ١٦.

(٢) هو: الحسن بن أحمد بن المبارك أبو سعيد التستري، قال الخطيب: صاحب مناكير.
انظر: الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ١/٢٢٣، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ١٦.

(٣) هو: أبو جعفر أحمد بن صليح بن رسلان، الفيومي. يروي عن ذي النون المصري، ولم يكن أحمد ممن يعتمد عليه في روايته.
انظر: الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ١/٤٩، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ١٧.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، المدني، أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الفقهاء والمحدّثين والأعلام بالمدينة ولد سنة ٥٠هـ رأى عشرة من الصحابة وروى عن أنس بن مالك وروى أيضاً عن جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة كان يحفظ ألفين ومائتي حديث. توفي رحمه الله سنة ١٢٤هـ وقيل سنة ١٢٥هـ.
انظر: المزّي: **تهذيب الكمال**، ١٦/٢٢٠، ترجمة رقم (٦١٩٥)، ابن قنفذ القسطيني: **كتاب الوفيات**، ص ١١٨، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣/٣٦٠، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١/١٦٢.

(٦) (أنس بن مالك) رضي الله عنه، هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النضاري، الخزرجي، الأنصاري، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخادمه، كان يتسمى بذلك ويفتخر به وحق له ذلك. كنّاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا حمزة ببقلة كان يحبها. خدم النبي (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين وهي مدة إقامته (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة، ثم رحل إلى دمشق بعد وفاة النبي، ومنها إلى البصرة فتوفي خارجها، ودفن في موضع بعيد عن المدينة يعرف بقصر أنس. اتفق العلماء على مجاوزة عمره المائة وكانت وفاته سنة ٩٣هـ.
انظر: ابن حجر: **الإصابة**، ١/١٣٨، ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ١/٢٩٨، ابن قنفذ القسطنيني: **كتاب الوفيات**، ٨٥.

(٧) حديث: (**علامة حب الله حب ذكر الله...**)، أورده السيوطي في **جامع الأحاديث**، وقال: رواه البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك، الحديث رقم (١٤٦٨) ٤/٥٢٧.

ومن أحاديثه: عن سفيان بن عُيينة[1]

ما حدثنا به أبو محمد عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك بن محمود الأخضر ببغداد[2]، ثنا يحيى بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الغزال، ثنا حمد بن أحمد الحداد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا سهل بن عبد الله التستري[3]، ثنا الحسن بن أحمد الطوسي، ثنا أحمد بن صُليح، حدثنا ذو النون، ثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن أبي بكر. سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله. فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[4].

ومن أحاديثه: عن الليث بن سعد

ما حدثنا عنه الحاج محمد بن علي ابن أخت أبي الربيع المقوقي، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الحافظ ثنا أبو عبد الله الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السُلّمي، عبد الله بن الحسين الصوفي، ثنا محمد بن حمدون، ثنا الحسن بن أحمد، ثنا أحمد بن صليح، ثنا ذو النون المصري، عن الليث بن سعد، عن نافع[5]، عن ابن عمر، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «**الدنيا سجن المؤمن وجَنَّة الكافر**»[6].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (أبو محمد) عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك بن محمود الأخضر الجنابذي ثم البغدادي مسند العراق ولد سنة ٥٢٤هـ سمع من الأرموي، وابن ناصر، وأبي الوقت حدّث نحواً من ستين عاماً له مؤلفات كثيرة. توفي رحمه الله سنة ٦١١هـ وحدّث عنه ابن نقطة وابن النجار، والضياء، والبرزالي وغيرهم.

انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ١٣٨٣/٤.

(٣) (سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع) التستري، وكنيته أبو محمد. أحد أئمة القوم وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص، وعيوب الأفعال. شاهد ذا النون سنة خروجه إلى الحج بمكة. توفي سنة ٢٨٣هـ كان يقول: (شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم).

انظر ترجمته في السلمي: **طبقات الصوفية**، ٢٠٦، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ١٨٩/١٠، القشيري: **الرسالة**، ١٨، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١٨٢/٢.

(٤) حديث: (**يتبع الميت ثلاث**....)، أورده السيوطي في **جامع الأحاديث**، وقال: رواه أحمد بن حنبل ورواه كل من البخاري ومسلم باتفاق، ورواه الترمذي، والنسائي، كلهم عن أنس رضي الله عنه.

انظر: **جامع الأحاديث**، ٣٤/٨، حديث رقم (٢٨/٢٨٤).

(٥) (نافع) هو مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً.

(٦) حديث: (**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**)، أورده السيوطي في **جامع الأحاديث**، وقال: رواه الإمام أحمد بن حنبل، والإمام مسلم، والترمذي، وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الطبراني، والحاكم عن سلمان، والبزار عن ابن عمر رضي الله عنهما.

انظر: **جامع الأحاديث**، ١٥٩/٤، حديث رقم (١٢١٧٩).

ومن أحاديثه: عن فُضَيل بن عياض[1] ما حدثنا به الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني كتابة. قال: ثنا أبو المظفر أحمد بن سعيد القاشاني، ثنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله[2]، وحدثنا به أيضاً يونس بن يحيى الهاشمي بمكة، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الفضل بحر بن إبراهيم بن زياد، ثنا الحسن بن أحمد الوثايقي، ثنا أحمد بن صليح الفيومي، ثنا ذو النون، ثنا الفضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد[3] عن ابن عباس[4] قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر**»[5].

---

(١) (فضيل بن عياض) بن مسعود بن بشر التميمي، ثم اليربوعي خراساني من ناحية «مرو» يكنى: أبا علي. وقيل ولد بسمرقند، توفي رضي الله عنه في المحرم سنة ١٨٧هـ أسند الحديث. كان يقول: (لم يُدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة).

انظر: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٨٤/٨، السلمي: **طبقات الصوفية**، ٦، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣١٦/١، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١٩٨/١١، الجامي: **نفحات الأنس**، ٨٨/١، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ١٣١/٢.

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الشافعي (أبو نعيم) الصوفي الشهير والمؤرخ والمحدث له حلية الأولياء، وتاريخ أصبهان، ودلائل النبوة، ومعرفة الصحابة، وغيرها من الكتب الهامة. توفي رحمه الله، سنة ٤٣٠هـ.

انظر: **حلية الأولياء**، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٧٥/٣، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٤٥/١٢، الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ٥٢٤/١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٤٥/٣، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٨٢/١، ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ٢٣٩.

(٣) (مجاهد بن جبر) ويقال: ابن جبير، المكي، أبو الحجاج القرشي المخزومي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعاً. وروى عنه أبان بن صالح، وجابر الجعفي، وسعيد بن مسروق الثوري ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي سنة ١٠٤هـ.

انظر ترجمته في: المزي: **تهذيب الكمال**، ٤٤٠/١٧ ترجمة رقم (٦٣٧٤)، ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ١٠٢، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢٧٩/٣، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١٢٥/١.

(٤) (عبد الله بن عباس) بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الحبر البحر ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والصحابي الجليل وأبو الخلفاء العباسيين. ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، ونشأ في بدء عصر النبوة وتوفي سنة ٦٨هـ. كان يسمى ترجمان القرآن.

انظر: ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ص ٧٦، ابن حجر: **الإصابة**، ترجمة رقم ٤٧٧٢، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣١٤/١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٧٥/١.

(٥) حديث: (**تجافوا عن ذنب السخي...**)، أورده السيوطي بلفظ: (تجاوزوا) وقد رواها الدارقطني في الأفراد، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب كلهم عن ابن مسعود رضي الله عنه. أما رواية ابن عباس (**تجاوزوا عن ذنب السخي، وزلة العالم، وسطوة السلطان العادل، فإن الله تعالى آخذ بأيديهم كلما عَثُر عاثِرٌ منهم**) رواه الخطيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنه.

انظر السيوطي: **جامع الأحاديث**، ٥٥٦/٣، حديث رقم (١٠١٧٩)، (١٠١٨٠) وانظر العجلوني: **كشف الخفاء**، ٢٩٦/١، حديث رقم (٩٤٩).

فهذا قد ذكرناه من الأحاديث التي رويناها عنه من طريق شيوخه الذين سميناهم، وإنما بدأنا بالأحاديث رغبة في البركة بكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم بعد هذا أسوق مناقبه، رضي الله عنه.

باب في ذكر محنته واجتماعه مع أمير المؤمنين المتوكل ومنصرفه من بغداد

ولمَّا برع في هذه الطريقة، وسما على المجتهدين في العبادة، وفُتح عليه في المعرفة، وظهر عنه من العلم ما لم تبلغه أفهام أهل وقته سمُّوه زنديقاً، وسعوا به إلى أمير المؤمنين المتوكل، وذلك سنة أربع وأربعين ومائتين فاستحضره المتوكل من مصر مقيداً فدخل عليه ووعظه حتى بكى[1] المتوكل[2]، وردَّه إلى مصر مكرماً. وكان المتوكل بعد ذلك إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي، ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذي النون.

حدثنا أبو الثناء محمود اللبان بالموصل، ثنا تاج الإسلام ابن خميس[3] بسنده إلى ذي النون قال: قال ذو النون: لما حُمِلْتُ إلى بغداد رُمِيَ بي على باب السلطان مقيداً فمرَّ بي رجل متزر بمنديل مصري معتم بمنديل دبيقي بيده كيزان خزف، وقاق، وزجاج مخروط. فسألت: هذا ساقي السلطان؟

فقيل لي: لا، بل ساقي العامة.

فأومأت[4] إليه: اسقني.

فتقدم إليّ، وسقاني. فشممت من الكوز رائحة المسك فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً. فأعطاه الدينار فأبى أن يأخذه وقال: لن آخذ شيئاً[5].

فقلت له: ولِمَ؟

---

(١) في المخطوط: (بكا).

(٢) (المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون الهاشمي) العباسي البغدادي، أبي الفضل، أمير المؤمنين، كان مولده سنة ٢٠٥هـ بويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق بالله في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ ولما استخلف أظهر السُّنَّة وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السُّنَّة. قتل المتوكل ليلة الأربعاء الرابع من شوال سنة ٢٤٧هـ.

انظر: الديار بكري: **تاريخ الخميس**، ٣٣٨/٢، الذهبي: **دول الإسلام**، ١٤١/١.

(٣) ابن خميس الموصلي صاحب (مناقب الأبرار) وتقدمت ترجمته.

(٤) في المخطوط: (فأوميت).

(٥) في المخطوط: (ليس آخذ شياء).

قال: أنت أسير، وليس من المروءة الأخذ من الأسير.

فقلت: هذا قد كَمُلَ الظُّرْف. وإذا إنسان يكلمني من ورائي ويقول: يا شيخ فلم لم تتظرف عن الحال التي أُوجِبَتْ فيك ما أرى.

فالتفتُّ فإذا امرأة زَمِنَةٌ[1] في كوخ يُتَصَدَّق عليها.

فقلت لها: أنا مظلوم.

قالت: فاقبل الآن مني، إذا دخلت على هذا الرجل فلا تهابهُ، ولا ترى أنه فوقك. فإنكما مخلوقان من نطفةٍ واحدة، ومن طينة واحدة. فقيرٌ إلى من أنت إليه فقير، ولا تحتجّ عن نفسك، محقاً كنت أو متهماً.

قلت: ولِمَ؟

قالت: إن هِبتَه سُلِّط عليك، وإن احتججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلاّ وبالاً، لأنك تباهت الله تعالى، فيما يعلمه منك، وإن كنت بريئاً[2] فادع الله تعالى ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك فَيَكِلَكَ إِلَيْها.

قال ذو النون: فلما دخلتُ عليه سلَّمت بالخلافة.

فقال لي: ما تقول فيما قيل فيك؟

فَسَكَتُّ.

قال وزيره: هو عندي حقيق بما قيل فيه.

ثم قال لي: لم لا تتكلم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين. إن قلت لا أكذبت المسلمين فيما قالوا. وإن قلت نعم كذبت على نفسك بشيء لا يعلمه الله تعالى مني. فافعل ما ترى[3]، فإني غير منتصر لنفسي.

فقال أمير المؤمنين: هذا رجل بريءٌ مما قيل فيه. ثم قال: عظنا عافاك الله.

فقلت: يا أمير المؤمنين رجل يعلم أن الله خلقه، وخلق الجنة من أجله إن أطاعه، وخلق النار من أجله إن عصاه، لا يكون على مثل ما رميت به من البدعة ولا مثل ما أنتم عليه من الغفلة.

---

(١) (زمنة): أي عجوز.

(٢) في المخطوط: (بريا).

(٣) في المخطوط: (ما ترا).

فخلّى عني فخرجت إلى العجوز فقلت لها: جزاك الله عني خيراً، قد امتثلت ما أمرت به فمن أين لك هذا؟

قالت: من حديث الهُدْهُد ما خاطب به سليمان بن داود (عليه السلام).

فقلت لها: ادعي الله لي.

فقالت: مُرْ جعلك الله مسلماً.

فروينا عن ذي النون أنه كان يقول بعد ذلك: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقّاء الماء، ومن أراد أن يسمع تجريد التوحيد، وخالص التوكل. فعليه بالنساء ألزمتا بها.

باب في الفتُوة[1]

تريد قول الله تعالى إخباراً عن الهدهد لسليمان (عليه السلام):
﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2].
أنبأت عن المشاهدة، والأخذ من عين الجود على الشهود أسرار الوجود.

وحدثنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، حدثني إبراهيم بن يحيى البربري قال:

لمَّا حُمِل ذو النون بن ابراهيم إلى جعفر المتوكل أنزله في بعض الدور، وأوصى به زراقة وقال: إذا أنا رجعت غداً من ركوبي فأخْرِجْ إليّ هذا الرجل.

فقال له زراقة: إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك.

فلما رجع من الغد من الركوب قال له: انظر أن تستقبل أمير المؤمنين بالسلام. فلما أخرجه إليه قال له: سلّم على أمير المؤمنين.

---

(١) (الفُتُوّة) لُغَةً: فتاً، والفتاء الشباب، والفتى، والفتية: الشاب والشابة، والفعل: فَتُوَ يَفْتُو فتاءً. والفتيّ، والفتى، والفتية هو الشاب من كل شيء، والاسم من جميع ذلك الفُتُوَّة. وفي المصطلح الصوفي: أن لا تشهد لنفسك فضلاً، ولا ترى لها حقاً، وهي فوق التواضع، وهي مستجمعة لأمور كثيرة.
انظر: **معجم المصطلحات الصوفية**، للقاشاني بتحقيقنا ١٩٤/٢، وفي منارات السائرين بتحقيقنا أيضاً:
الفتوة: اسم جامع لمعانٍ جميلة، وخصال حميدة، وأخلاق روحانية ومواهب سنية. انظر أبو بكر الرازي: **منارات السائرين**، ٤٦٠، طبعة سلسلة التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٩٥) سورة النحل، الآية رقم (٢٢).

فقال ذو النون: ليس هكذا جاءنا الخبر، إنما جاءنا الخبر أن الراكب يسلم على الراجل[1].

قال: فتبسم أمير المؤمنين وبدأه بالسلام فنزل إليه أمير المؤمنين فقال له: أنت زاهد أهل مصر.

قال: كذا يقولون.

فقال له زرافة: إن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام الزهاد.

قال: فأطرق ملياً ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن الجهل علق بنكتة أهل الفهم. يا أمير المؤمنين. إن لله عباداً عبدوه بخالص من السرّ، فشرّفهم بخالص من شكره، فهُمْ الذين تمرُّ صُحفُهم مع الملائكة فُرَغاً حتى إذا صارت إليه ملأها لهم من سرٍّ ما أسرّوا إليه. أبدانهم دنياوية، وقلوبهم سماوية، قد احتوت قلوبهم من المعرفة كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الفُرَج، وأطباق السموات. لم يجتنوا من ربيع الباطل، ولم يرتعوا في مصيف الآثام، ونزّهوا الله أن يراهم يتواثبون على حبائل مَكْرِهِ، هيبة منهم وإجلالاً أن يراهم يبيعون أخلاقهم بشيء لا يدوم، بلذة من العيش مزهودة. فأولئك الذين أجلسهم على كراسي أطباء أهل المعرفة بالأدواء، والنظر في منابت الدواء فجعل تلامذتهم أهل الورع والبصر. فقال لهم: إن أتاكم عليلٌ من فقدي فداووه، أو مريضٌ من ذكري فأدنوه، أو ناسٍ لنعمتي فذكّروه، أو مبارزٌ لي بالمعاصي فنابذوه، أو محبٌ إليّ فواصلوه. يا أوليائي فلكم عاتبتُ، ولكم خاطبتُ، ومنكم الوفاءُ طلبتُ. لا أحب استخدام الجبارين، ولا تولي المتكبرين، ولا مصافاة المتوثبين. يا أوليائي وأحبائي جزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أفضل العطاء، وبذْلي لكم أفضل البذل، وفضلي عليكم أوفر الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة، ومطالبتي لكم أشد المطالبة. أنا مفتش القلوب، وأنا علام الغيوب، وأنا عالم بمجال الفكر ووساوس الصدور، من أرادكم بسوء قصمته، ومن عاداكم أهلكته.

ثم قال ذو النون:

ويحك وردت قلوبهم على بحر محبته، فاغترفت منه ريّاً من الشراب، فشربت منه بمحاض القلوب، فسهل عليها كل عارض عرض لها عند لقاء المحبوب، فواصلت الأعضاء مبادرة، وألقت الجوارح تلك الراحة فهم رهائن أشغال الأعمال. قد اقتلعتهم الراحة بما كُلِّفوا أخذه عن الانبساط بما لا يضرهم تركه. قد سكنت لهم النفوس ورضوا بالفقر والبؤس، واطمأنت جوارحهم على الدؤوب على طاعة الله تعالى بالحركات فطعنت أنفسهم عن المطاعم والشهوات، فتولهوا بالفكرة، واعتقدوا الصبر، وأخذوا بالرضا، وُلهوا لهيبته وأقرّوا له بالتقصير، وأذعنوا له بالطاعة، ولم يُبالوا بالقِلّة، إذا خَلَوْا فأهل بكاء، وإذا عوملوا فإخوان حياء، وإذا علموا

(١) أي: الذي يسير على قدميه.

فحكماء، وإذا سُئلوا فعلماء، وإذا جهل عليهم فحلماء، فلو قد رأيتهم لقلت عذارى في الخدور، قد تحركت لهم المحبة في الصدور، بحسن تلك الصور التي قد علاها النور، وإذا كشفت عن القلوب رأيت قلوباً ليّنة منكسرة وبالذكر نيّرة، وبمحادثة المحبوب عامرة لا يشغلون قلوبهم بغيرة ولا يميلون إلى ما دونه، قد ملأت محبة الله صدورهم، فليس يجدون لكلام المخلوقين شهوة، ولا لغير الأنيس ومحادثة الله تعالى لذة، إخوان صدقٍ، وأصحابُ حياءٍ، ووقار، وتُقى، وورع، وإيمان، ومعرفة، ودين.

قطعوا الأودية بغير مفاوز، واستقبلوا الوباء بالصبر على لزوم الحق، واستعانوا بالحق على الباطل، فأوضح لهم الحجة ودلَّهم على المحجة، فرفضوا طريق المهالك، وسلكوا خير المسالك. أولئك هم الأوتاد، الذين بهم توهب المواهب، وبهم تفتح، وبهم يُنشئ السحاب، وبهم يُرفع العذاب، وبهم يُسقى العباد. فرحمة الله علينا وعليهم.

خبر ما اتفق له مع زراقة عند منصرفه من بغداد

حدثنا يونس بن يحيى، حدثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثني محمد بن أحمد الحذّاء قال: سمعت هارون بن عيسى البغدادي يقول: حدثني أبي عن زُراقة صاحب المتوكل قال: لمّا انصرف ذو النون من عند أمير المؤمنين، دخل عليَّ ليودعني فقلت له: اكتب لي دعوة. ففعل. فقربت إليه جام لوزينج. فقلت له: كُلْ من هذا، فإنه يوزن الدماغ، وينفع العقل.

قال: العقل ينفعه غير هذا.

قلت: وما ينفعه؟

قال: ينفعه اتباع أمر الله، والانتهاء عن نهيه. أما علمت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «**إنما العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه**»[1].

فقلت: أكرمني بأكلة؟

فقال: أريد ألذ من هذا.

قلت: وأي شيء تريد؟

فقال: هذا لمن لا يعرف الحلواء، ولا يعرف آكله، وإن أهل معرفة الله يتخذون خلاف هذا اللوزينج.

---

(١) حديث: (إنما العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه)، لم أقف عليه، ويبدو أنه جزء من حديث.

فقلت: لا أظن أحداً في الدنيا يحسن أن يتخذ أجود من هذا، وإن هذا من مطبخ أمير المؤمنين المتوكل على الله.

فقال لي: أنا أصف لك لوزينج المتوكِل على الله.

قلت: هات لله أبوك.

قال: «خُذ لباب مكنون محض طعام المعرفة، واعجنه بماء الاجتهاد، وانصب اثفية الانكماد، وطابق صفو الوداد، ثم اخبز لوزينج العباد بحرّ نيران نَفَس الزهاد، وأوقد بحطب الأنين حتى ترمي نيران وقودها بشرر الضنا، ثم احش ذلك بقتد الرضا، ولوز الشجا، مرضوضان بمهراس الوفا، مطيّبان بطيبة رقة عيش الهوى، ثم اطوه طي الأكياس للأيام بالعزاء، واقطعه بسكاكين السهر جوف الدجى، ورفض لذيذ الكَرَى، وتضّدْهُ على جامات القلق والشهيق، وانثر عليه سُكّراً يعمل من زفرات الحرق، ثم كله بأنامل التفويض في ولائم المناجاة بوجدان خواطر القلوب. فعند ذلك تفريج كرب القلب، ومحل سرور المحب بالملك المحبوب».

ثم ودَّعني وخرج. انظر إلى حسن سياسته، وتلطفه به لما أراد أن يتورع في أكل طعامه. ما ألطفه من متورع، رضي الله عنه.

باب في ذكر نبذ من أحواله

* **في انفراده وسماعه وغير ذلك، فمن ذلك ما يدل على ورعه:**

حدثنا ابن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن ابن مقسم قال:

سمعت الحسين بن علي بن خلف يقول: سمعت إسرافيل[1] يقول: حضرت ذا النون في الحبس وقد جاءه الجلواز بطعام له فقام ذو النون فنفض يده.

فقيل له: إن أخاك جاء.

فقال: إنه مرّ على يدي ظالم.

(١) (إسرافيل المغربي) من مشايخ ذي النون المصري وكان من المغرب، وله كلام كثير في الزهد والتوكل والمعاملات، توفي رضي الله عنه في القرن الثالث الهجري.

انظر: الجامي: **نفحات الأنس**، ١/٨٠، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٩/٣٤٦؛ الطوسي: **اللمع**، ٢٢٨.

* **ومما يدل على قُرْبِهِ وظَفْرِهِ بما أرادَ من رَبِّهِ:**

حدثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثني علي بن عبد الله بن سويد، ثنا محمد بن حمدان بن الصبّاح، ثنا أبو بكر محمد بن خلف المؤدب.

قال: رأيت ذا النون على ساحل البحر، فلما جنّ الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما، بل شأن خالقكما أعظم منكما، فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذه الأبيات إلى أن طلع عمود الصبح:

اطـلـبـوا لأنـفـسـكـم مـثـل مـا وجـدت أنـا
قـد وجـدت لـي سـكـنـاً لـيـس فـي هـواه عَـنَـا
إن بـعـدت قـرّبـنـي أو قـربـت مـنـه دَنَـا

كان ذو النون من القلائل الذين يعلمون شأن السموات والأرض. قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمواتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

* **ومما يدل على أمانته وظُرْفه وتعظيمه لأهل العلم؛ ومراعاته حقوق الله:**

ما حدثنا به عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو عمرو عثمان بن محمد، ثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي[2] قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم، فخرجت من مكة قاصداً إليه حتى وافيته في جيزة مصر. فأول ما أبصرني[3] ورآني، وأنا طويل اللحية، وفي يدي ركوة طويلة، متّزر بمئزر، وعلى كتفي مئزر، وفي رجلي تاسومة استشنع منظري. فلما سلمت عليه كأنه ازدراني، ولم أرَ منه تلك البشاشة. فقلت في نفسي: ما تدري مع من وقعت؟

---

(١) سورة غافر، الآية رقم (٥٧).

(٢) محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد الرازي، وعرف قديماً بابن الرستاق (أبو الحسين) المحدث، الحافظ، المؤرخ، سمع الحديث بالري، وزار مكة وسمع بها، وسكن دمشق وتوفي بها من آثاره مؤلف في أخبار الإمام الشافعي وأحواله... توفي رحمه الله سنة ٣٤٧هـ.

انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٠/٢٠٧، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٣/١٠٥، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢/٣٧٦، البغدادي: **هدية العارفين**: ٢/٤٣.

(٣) في المخطوط: (بصرني).

قال: فجلست ولم أبرح من عنده، فلما كان بعد يومين، أو ثلاثة، جاءه رجل من المتكلمين فناظره في شيء من الكلام، واستظهر على ذي النون، وغلبه. فاغتنمت ذلك وبركت بين يديهما، واستثنيت المتكلم إليّ وناظرته حتى قاطعته، ثم ناظرته بشيء لم يفهم كلامي.

قال: فتعجب ذو النون من ذلك. وكان شيخاً وأنا شاب. قال: فقام من مكانه وجلس بين يديّ. وقال: اعذرني فإني لم أعرف محلّك من العلم، وأنت آثر الناس عندي.

قال: فما زال بعد ذلك يُجلّني ويكرمني ويرفعني على جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة. فقلت له: يا أستاذ أنا رجل غريب، وقد اشتقت إلى أهلي، وقد خَدَمْتُك سنة، وقد وجب حقي عليك. وقيل لي؛ إنك تعرف اسم الله الأعظم وقد جربتني، وعرفت أني أهل لذلك، فإن كنت تعرفه فعلمني إيّاه. قال: فسكت عني ذو النون، ولم يجبني بشيء، وأوهمني أنه يقول لي ويعلمني. ثم سكت عني ستة أشهر، فلما كان بعد ستة أشهر من يوم مسألتي إياه قال: يا أبا يعقوب. ألست تعرف فلاناً صديقنا بالفسطاط الذي يحبّنا وسمى رجلاً.

فقلت: بلى.

قال: فأخرج إليّ من بيته طبقاً فوقه مكبّة مشدود بمنديل. فقال لي: أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط.

قال: فأخذت الطبق لأؤدّيه. فإذا الطبق خفيف يدل على أن ليس في جوفه شيء. فلما بلغت الجسر الذي بين الفسطاط والجيزة قلت في نفسي:

ذو النون يوجه إلى رجل بهدية وها أنذا[1] أرى طبقاً خفيفاً، فَلأُبصِرَنَّ إيش فيه. قال: فحللْتُ المنديل، ورفعت المكبّة فإذا فأرة قد قفزت من الطبق فمرّت. قال: فاغتظت وقلت: إنما سخر بي ذو النون، ولم يذهب وهمي إلى ما أراد في الوقت. قال: فجئت إليه وأنا مغضب. فلما رآني تبسم وعرف القضية. وقال: يا مجنون ائتمنك في فأرة فخنتني أأتمنك على اسم الله الأعظم. قم عني فارتحل ولا أراك بعد هذا.

• ومما يدل على إنصافه وتهيؤ محله لقبول الخير:

ما حدثنا به أحمد بن محمد إجازة قال: ثنا الفضل الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن قال: سمعت عبد الواحد بن بكر قال: سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أبا عبد الله بن

(١) في المخطوط: (وهودا).

الجلاء قلت لذي النون لم سمي أبي الجلاء؟ أكان يصنع صنعة قال: لا نحن سميناه الجلاء كان إذا تكلم علينا جلا قلوبنا. وكان ذو النون من شيوخ أبي عبد الله بن الجلاء.

• **ومما يدل على صفائه:**

ما حدثنا به ابن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت أبا محمد يقول: سمعت إسرافيل يقول: سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون إن قلبي لك مقفل، فإن فتح لك أجبتك، وإن لم يفتح لك فاتهم نفسك.

• **ومن أدبه وقوة وجده:**

ما حدثنا به يونس، ثنا ابن ناصر محمد، ثنا ابن الغزّال، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون المصري، وسُئل فقال: قال بعضهم: «علم القوم بأن الله يراهم على كل حال فاحترزوا به عمن سواه».

فقال له غيره من الزهاد وكان حاضراً لمجلسه يُقال له: «طاهر»: «يا أبا الفيض رحمك الله. بل نظروا بعين اليقين إلى محبوب القلوب؛ فرأوه في كل لحظة وحالةٍ موجوداً، ومن كل لمحة ولحظة قريباً، وبكل رطب ويابس عليماً، وعلى كل ظاهر وباطن شهيداً، وعلى كل محبوب ومكروه قائماً، وعلى تقريب البعيد وتبعيد القريب مقتدراً، ولهم في كل الأحوال والأعمال سائساً، ولما يريدهم به معلناً موفقاً فاستغنوا بسياسته وتدبيره، وتقويته عن تدبير أنفسهم، وخاضوا البحار وقطعوا القفار بروح النظر إلى منظره البهيج، وخرقوا الظلمات بنور مشاهدته وتجرعوا المرارات بحلاوة وجوده، وكابدوا الشدائد، واحتملوا الأذى في جنب قربه وقيامه عليهم، وخاطروا بالنفوس فيما يعلمون ويحملون ثقة منهم باختياره، ورضوا بما يضعهم فيه من الأحوال محبة منهم لإرادته، وموافقة لرضاه، ساخطين على أنفسهم معرفة منهم بحقه، واستعداداً للعقوبة بعدله عليهم فأدّاهم ذلك إلى الامتلاء منه فلم تسع عروقهم ومفاصلهم وقلوبهم محبة لغيره، ولم تبق زنة خردلة منهم خالية منه، ولا باقياً فيهم سواه فهم له بكليتهم، وهو لهم حظ في الدنيا والآخرة. وقد رضي عنهم ورضوا عنه، وأحبهم فأحبوه فكانوا له وكان لهم، وآثرهم وآثروه وذكرهم وذكروه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.»

فصاح عند ذلك ذو النون ثم قال: أين هؤلاء وكيف الطريق إليهم، وكيف المسلك؟

فصاح به: يا أبا الفيض الطريق مستقيم والمحجة واضحة.

فقال له: صدقت والله يا أخي فالهرب إليه ولا نعرج إلى غيره.

« وممّا يدل على كمال عقله:

ما حدّثنا به عبد الرحمن بن علي إجازة أنبأنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: أنبأنا حمد بن أحمد ثنا أحمد بن عبد الله سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن زيّان يقول: سمعت ذا النون يقول، وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس فقال: أنا لا أتكلم في شيء من هذا. فإن هذا محدث سلوني عن شيء من الصلاة أو الحديث.

وقوله: محدث. أي لم يكن الكلام على مثل هذا على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) فكان جوابه على قدر ما رأى منهم، وتفرس فيهم في الوقت.

« وأمّا حالهُ مع بسطه مع اللّه:

فما ذكره «ابن خميس» في كتابه قال: قال أحمد بن محمد السُلمي: دخلت يوماً على ذي النون المصري فرأيت الند والعنبر يشجر بين يديه فقال: أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم.

ثم أعطاني درهماً فأنفقت منه إلى الحج.

« ومن أحواله في السماع وإشرافه وقوة وجده:

أنه لما وصل إلى بغداد في محنته دخل عليه صوفية بغداد ومعهم قوّال. فقالوا: تأذن له حتى يقول. قال: نعم.

قال القوال:

صَـغِـيـرُ هَـوَاكَ عَـذَّبَـنـي فَـكَـيـفَ بِـهِ إذا احْـتـنَـكَـا
وَأَنْـتَ جَـمَـعْـتَ مِـن قَـلْـبِـي هَـوى قَـدْ كَـان مُـشْـتَـرَكَـا
أَمَـا تَـرثـي لِمُكْـتَـئِـبٍ إذَا ضَـحِـكَ الخَلِـيُّ بَـكَـى

قال: فقام ذو النون ثم سقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض. ثم قام رجل آخر يتواجد فقال له ذو النون: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾[1].

---

(١) سورة الشعراء، الآية رقم (٢١٨).

فقعد الرجل. فقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقّاق[1]، رحمه الله يقول في هذه الحكاية:

كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نبَّهَهُ أن ذلك ليس بمقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قَبِل ذلك منه. حين رجع وقعد.

حدثنا بهذه الحكاية أبو عبد الله بن القاسم، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الفضل، ثنا أبو عبد الرحمن قال: سمعت عبد الواحد يقول: سمعت أحمد بن مقاتل البغدادي يقول ذلك.

*** مجاهدته واعترافه ومراقبته الخوف:**

حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن اللخمي الفريابي إجازة وهو من أصحابنا قال: ثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم، ثنا أبو حامد أحمد بن محمد النيسابوري، ثنا عبد القدوس بن عبد الرحمن قال:

قيل لأبي الفيض ذي النون: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت تعباً إن نفعني تعبي والموت يجدّ في طلبي.

وبالإسناد:

وقيل له: كيف أصبحت؟

فقال: أصبحت مقيماً على ذنب ونعمة، فلا أدري على الذنب أستغفر، أم على النعمة أشكر.

في هذا الكلام دليل على قصر أَمَلِه، ونظره في الأوجب عليه، وعزة الوقت، وأنه يخاف أن يموت عند ذكر أحدهما، وربما ترك الأوجب وكان لا يعمل إلاّ على علم.

وبالإسناد أيضاً:

وقيل له: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت بطّالاً عن العبادة متلوثاً بالمعاصي، أتمنى منازل الأبرار، وأعمل عمل الأشرار.

---

(١) الأستاذ (أبو علي الدقاق) هو الحسن بن علي بن محمد الدقاق، النيسابوري، الشافعي، (أبو علي) الصوفي، العالم، لسان وقته، وإمام عصره، أخذ مذهب الشافعي عن القفال والحصري، قالوا عنه: كان زاهد زمانه، وله كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة توفي رضي الله عنه سنة ٤٠٥هـ.

انظر: المناوي: **الكواكب الدُّرّية**، ٦٢٣/١، ترجمة رقم (٣٨٧)، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٦١/٣، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١٨٠/٣.

* **وكان مقامه المنّة:**

حدثنا ابن الأخضر عن يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا ظفر بن الحسين، ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو الحسن الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: «تكلم الناس من عين الأعمال، وتكلمت من عين المنّة».

* **حُزْنُهُ:**

ثنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، أنبأنا أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

كيف أفرح بعملي وذنوبي مزدحمة!
أم كيف أفرح بأملي وعاقبتي منبهمة!

* **حالُهُ في الحب:**

ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، أنبأنا المحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قالا:

أنبأنا حمد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أبو الحسن أحمد ابن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: بينا أنا نائم في صحن مسجد ذي النون في جوف الليل فسمعته يقول:

حُبُّكَ قَدْ أَرَّقَنِي وَزَادَ قَلْبِي سُقْمَا
كَتَمْتُهُ فِي القَلْبِ والأَحْشَاءِ حَتَّى انْكَتَمَا
لاَ تَهْتِكَنْ سِرِّيَ الَّذِي أَلْبَسْتَنِي تَكَرُّمَا
ضَيَّعْتُ نَفْسِي سَيِّدِي فَرُدَّهَا تَكَرُّمَا

ثم قال: سقى الله أرواح قوم مُنَاها إن ذكروا الله.

ثم قال: هم والله:

مُرَادُونَ قَدْ خُصُّوا وَصُفُّوا وطُيِّبوا ... فَعَاشُوا بِرَوحِ اللهِ أَعْظَمَ القَدْرِ

* **حالُهُ في الذِّكْر وقَطْعِ المألوفات:**

ذكر «ابن خميس» في مناقب الأبرار له عن ذي النون أنه قال:

«إِنِّي لأَظْمَأُ فَأَفْزَعُ إِلَى الذِّكْرِ فَأَجِدُ فِيهِ رِيِّ وَلَوْلاَ ذَلِكَ مَا جَسَرْتُ أَنْ أَجْلِسَ بَيْنَ يَدَي رَبِّي سَاعَةً وَاحِدَةً».

حدثنا من أثقهُ من أصحابنا أظنه عبد الله ابن الأستاذ المودودي عن شيخنا أستاذ الجماعة: «أبي مدين»[١] بن شعيب بن الحسين الترقفي[٢] نزيل بجاية أنه قال رضي الله عنه:

«كُنْتُ إِذَا جُعْتُ قَرَأْتُ القُرْآنَ فَأَشْبع، وَإِذَا عَطِشْتُ صَلَّيْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) فَأَرْوى».

وأخبرني بعض أصحابنا أنه كان للأستاذ العارف عبد العزيز المهدوي مثل هذه الحالة، ولكني أنسيت كيفيتها، والذي أعرف أنه ترك الخبز منذ بضع عشرة سنة، وساكنته ثمانية أشهر ليلاً ونهاراً فما رأيته يأكل خبزاً أصلاً، وكان قليل الأكل لما كان يقتات به سمين البدن، قوياً في صحته. لم أرَ أحمل منه ولا أصبر، قويُّ النفس مع الله.

• طَعَامُهُ:

ثنا أبو الثناء محمود، ثنا أبو عبد الله بن خميس بسنده إلى إبراهيم البنا البغدادي قال:

كان لذي النون قليل سويق شعير يستف كل ليلة منه ما قُسم له، وقدمت بين[٣] يديه قرصاً وملحاً فقلت: هَلُمّ

فقال: مِلْحُكَ هذا مدقوق؟

قلت: نعم

قال: ليس تُفلح.

• حالُهُ عند وفاته، رحمه الله:

خَرَّج أبو عبد الرحمن السُلَمي، رحمه الله، في كتاب «تاريخ الصوفية». له: لما مرض ذو النون مرضه الذي مات فيه قيل له: ما تشتهي؟

قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة.

---

(١) (أبو مدين) هو: شعيب بن الحسن الأندلسي، الغوث، شيخ المشايخ، وسيد العارفين، جمع بين الشريعة والحقيقة وقصدت زيارته من جميع الأقطار، وتخرج به ألف شيخ من الأولياء.
كان قد اتفق أن نسي في جيبه ديناراً، وهو كثيراً ما ينقطع في جبل الكواكب وتأتيه غزالة فتدر عليه لبنها، فلما جاء اليوم أتته حتى إذا أراد أن يشرب لبنها نفرت منه، وما زالت تنطحه بقرونها كلما مدّ يده إليها، فتذكر الدينار فأخرجه من جيبه ورماه، فجاءته الغزالة وأنست به ودرّت عليه لبنها. توفي رضي الله عنه سنة ٥٨٣هـ.
انظر ترجمته في: الشعراني: **الطبقات الكبرى**، ١٣٣/١، أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ١٨٠، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣٠٣/٤، المناوي: **الكواكب الدُرّية**، ٦٦٥/١، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣٠٢/٤، بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، ٣٦١/٤، الطبعة العربية ترجمة أ. د. محمود فهمي حجازي القاهرة ١٩٩٣.

(٢) في الأصل المخطوط (المترفقطي).

(٣) في المخطوط (لن).

وحدثنا عبد الوهاب بن علي بن علي بيغداد[١] سنة إحدى وستمائة برباطه وسألنا أَنْ نُسمِعَهُ بقراءتنا كتابنا المعروف: (بمناصحة النفس)[٢]. قال: ثنا ابن عبد الكريم[٣] الأستاذ عن أبيه قال: كُلِّمَ ذو النون وهو في النزع.

فقال: لا تشغلني فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي.

وحدثنا ابن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون؛ وحدثنا أبو الثناء، ثنا ابن خميس بسنده إلى سعيد بن عثمان قال:

أنشَدَني ذو النون، وحدثنا أيضاً عبد الرحمن بن علي إجازة، أنبأنا عمر بن ظفر عن جعفر ابن أحمد عن عبد العزيز بن علي عن علي بن عبد الله بن جهضم عن أحمد بن محمد بن عيسى عن يوسف بن الحسين. واللفظ لعبد الرحمن قال: قال «فتح بن شَخْرُف»[٤]. دخلت على ذي النون عند موته. فقلت له: كيف تجِدُك؟

فقال:

أَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ إِلَيْكَ صَبَابَتِي ... وَلاَ رُوِيتَ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْطَارِي

مُنَايَ المُنَى كُلُّ التَّمَنِّي أَنْتَ لِي ... وَأَنْتَ الغِنَى كُلُّ الغِنَى عِنْدَ إِقْتَارِي[٥]

وَأَنْتَ مَدى سُؤْلِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي ... وَمَوْضِعُ آمَالِي وَمَكْنُونُ إِضْمَارِي

تَحَمَّلَ قَلْبِي فِيكَ مَا لاَ أَبُثُّهُ ... وَإِنْ طَالَ سِرِّي فِيكَ أَوْ طَالَ إِظْهَارِي

وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْكَ مَا لاَ أَبُثُّهُ ... وَلَمْ أُبْدِ بَادِيهِ لأَهْلِي وَلاَ جَارِي

وَبِي مِنْكَ فِي الأَحْشَاءِ دَاءٌ مُخَامِرٌ ... وَقَدْ هَدَّ مِنّي الرُّكْنَ فَانْبَثَّ أَسْرَارِي

سَرَائِرُ لاَ تَخْفَى عَلَيْكَ خَفِيُّهَا ... وَإِنْ لَمْ أَبُحْ حَتَّى التَّنَادِي بِأَسْرَارِي

---

(١) عبد الوهاب بن علي بن علي، تقدم وسيأتي له ترجمة.

(٢) كتاب (روح القدس في مناصحة النفس) معروف مشهور وطبع عدة مرات وهو من أعمال ابن عربي الهامة.

(٣) عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن أبو سعيد القشيري أكبر أولاد الشيخ، وكان رضيع أبيه في علوم الفقه والتصوف وفخره في الطريقة. كان سباقاً إلى درك المعاني، ومجلسه فيه روضة الحقائق وكنز الرقائق، توفي رحمه الله سنة ٤٧٧هـ.
انظر: ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣/٣٥٤، المناوي: **الكواكب الدُّرِّية**، ١/٦٢٨.

(٤) فتح بن شَخْرُف المروزي، الكشي. كنيته أبو نصر كان من قدماء مشايخ خراسان، وكان يلبس القباء على هيئة الجند، كان ذا إعراض عن الدنيا جملة. كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: ما أخرجت خراسان مثله، توفي سنة ٢٧٣هـ.
انظر ترجمته في: المناوي: **الكواكب الدُّرِّية**، ١/٤٧٣، الجامي: **نفحات الأنس**، ١/١٣١، ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ٢/٢٣٣.

(٥) في المخطوطة (اقتاري) ومستدرك على الهامش مقابلة وتصحيحاً.

فَهَبْ لِي نَسِيماً مِنْكَ أَحْيا بِرَوْحِهِ ... وَجُدْ لِي بِبِشْرٍ مِنْكَ يَطْرُدْ إِعْسَارِي[1]

آثَرْتَ الهُدَى لِلْمُغْتَدِينَ وَلَمْ يَكُنْ ... مِنَ العِلْمِ فِي أَيْدِيهِمِ عُشْرُ مِعْشَارِ

وَعَلَّمْتَهُمْ عِلْماً فَبَاتُوا بِنُورِهِ ... وَبَانَتْ لَهُمْ مِنْهُ مَعَالِمُ أَسْرَارِي

مُعَايَنَةً لِلْغَيْبِ حَتَّى كَأَنَّهَا ... لِمَا غَابَ عَنْهَا مِنْهُ حَاضِرَةُ الدَّارِ

وَأَبْصَارُهُمْ مَحْجُوبَةٌ وَقُلُوبُهُمْ ... تَرَاكَ بِأَوْهَامٍ حَدِيدَاتِ أَبْصَارِ

جَمَعْتُ لَهَا الهَمَّ المُفَرَّقَ وَالتُّقَى ... عَلَى قَدَرٍ وَالهَمُّ يَجْرِي بِمِقْدَارِ

أَلَسْتَ دَلِيلَ الرَّكْبِ إِنْ هُمْ تَحَيَّرُوا ... وَعِصْمَةُ مَنْ أَمْسَى عَلَى جُرُفٍ هَارِ

وَمَا لِي سِوَى الإِطْرَاقِ وَالصَّمْتِ حِيلَةٌ ... وَوَضْعِي عَلَى خَدِّي يَدِي عِنْدَ تَذْكَارِي

وَإِنْ طَرَقَتْنِي عَبْرَةٌ بَعْدَ عَبْرَةٍ ... تَجَرَّعْتُهَا حَتَّى إِذَا عِيلَ تَصْبَارِي

أَفَضْتُ دُمُوعاً جَمَّةً مُسْتَهِلَّةً ... أُطَفِّي بِهَا جَمْراً تَضَمَّنَ أَسْرَارِي

فَيَا مُنْتَهَى سُؤْلِ المُحِبِّينَ كُلِّهِمْ ... أَبِحْنِي مَحَلَّ الأُنْسِ مَعَ كُلِّ زُوَّارِي

وَلَسْتُ أُبَالِي فَائِتاً بَعْدَ فَائِتٍ ... إِذَا كُنْتَ فِي الدَّارَيْنِ يَا وَاجِدِي جَارِي

فالثابت في رواية إسرافيل من هذه القصيدة تسعة أبيات، وكذلك ثبتت في رواية «سعيد» وترتيبها في روايتيهما واحد. واجتمع ابن شخرف معهما في الترتيب من أول القصيدة إلى البيت الذي أوله: «وبين ضلوعي منك».

فقال سعيد وإسرافيل بعد هذا البيت:

«وبي منك في الأحشاء».

ولم يثبت هذا البيت في رواية ابن شخرف، وبعده ساقا قوله:

«أَلَسْتَ دليلُ الركب»، وبعده: «آثرت الهدى»؛ وبعده، «فنلني بعفو منك».

وإليه انتهت روايتاهما وباقي القصيدة في حديث ابن شخرف. فالقصيدة بالروايات كلها تسعة عشر بيتاً، وبرواية ابن شخرف ثمانية عشر بيتاً من أجل البيت الذي سقط عنده، وانفرد به صاحباه.

وقد انتهينا على بعض ما ذكرناه من أحواله فلنذكر عقيب هذا مناجاته، وثناءه، ودعاءه، وتضرعه لباريه تعالى. فإنَّه من جملة أحواله، رضي الله عنه.

---

(١) هذا البيت الخامس جاء رقم (٩) في الأبيات التي وردت أثناء ترجمة ذي النون في طبقات الصوفية للسلمي. وقد جاء في التعليقات على هذا النحو:

فنلني بعفو منك، أحيا بقربه ... أغثني بيسر منك، يطرد إعساري

باب في مناجاته، وثنائه على الله تعالى ودعائه

حدثنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا محمد بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا علي بن الهيثم المصري قال: سمعت ذا النون العابد أبا الفيض يقول:

اللهم اجعلنا من الذين جازُوا دار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص، واستقوا من عين الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين ولججوا في بحر النجاة، وأرسوا بشط الإخلاص.

اللهم اجعلنا من الذين أرواحهم في العُلى، وحطَّت هِمَمُ قلوبهم في غاربات التُّقى حتى أناخوا في رياض النعيم، وجنوا من ثمار رياض التسنيم، وخاضوا لُجَّة السرور، وشربوا بكأس العيش، واستظلوا في الكرامة في ظل العرش.

اللهم اجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر، وردموا خنادق الجزع، وجازوا شدائد العقاب، وعبروا جسر الهوى فإنه تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(١).

اللهم اجعلنا ممن أشارت إليه أعلام الهداية، ووضحت لهم طرق النجاة، وسلكوا سبيل إخلاص اليقين.

▫ ومن ذلك:

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، أنبأنا محمد بن الحسين قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت العباس ابن يوسف يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: لئن مددت يدي إليك داعياً لطالما كفيتني ساهياً، أأقطع منك رجائي بما عملت يداي، حسبي من سؤالي علمك بحالي.

▫ ومن ذلك:

ما حدثنا به ابن اسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، أنبأنا المحمدان بن ناصر وابن

---

(١) سورة النازعات، الآية رقم (٤٠).

عبد الباقي، أنبأنا حمد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم، ثنا الحسن بن علي بن خلف قال: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول:

«يا رب أنت الذي دخل في رحمتك كل شيء، فلم تضِقْ الأعين من ارتحله الشك إلى جحدك».

* **ومن ذلك:**

ما حدثنا به أبو الحسن علي بن عبد الله الفريابي التاجر الأمين صاحبنا قال: ثنا أبو محمد ابن يحيى بن أبي الحسن، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال:

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر بن هاني[1] يقول: سمعت أحمد بن يوسف يقول: كان ذو النون يقول في مناجاته:

«يا واهب المواهب، ومُجْزِل الرغائب، أعوذ بك من النزول بعد الوصول، ومن الكدر بعد الصفاء، ومن الوحشة[2] بعد الأنس، ومن طائف الحسرة لعارض الفترة، ومن تعبير الرضا، ومن التخلف عن الحادي لحظة، أو إلى الإيمان دون العلم من موقع حذر يوجب للعقل نظراً. يا راحتي كمّل النعم عندي، وأرْق في ذرى الكرامة مهجتي، ونضّر اللهم بالكمال لديك بهجتي اعزفني عن الدون، ووار علمي عن الخاطر. يا من منح الأصفياء منازل الحق ومدى الغايات. صفّ[3] هدايتي من دنس العارض، واخسئ عدوي من ملاحظتي بكمال رغبتي، وبما لا يبلغه سؤلي، إنك رحيم».

* **ومن ذلك:**

ما حدثنا به يونس بن يحيى، عن يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم، حدثنا حمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، ثنا أبو حامد بن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي. قال: سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول:

---

(١) أحمد بن جعفر بن هاني، المملوء من المعارف والمعاني، المكلوء من الفتور والتواني، كانت له الأحوال الرفيعة، والكرامات الخارقة البديعة.

ومن أقواله: (لا يأتي العبد المعونة من الله وهو معتمد على غيره).

انظر المناوي: الكواكب الدُّرِّية، ٥١٨/١.

(٢) في المخطوط (ومن الشوق) ومصححة على الهامش مقابلة.

(٣) في المخطوط (أصف).

«إلهي، وسيلتي إليك نعمتك عليّ، وشفيعي إليك إحسانك إليّ، إلهي أدعوك في الملأ كما يدعى الأرباب، وأدعوك في الخلاء كما يدعى الأحباب. أقول في الملأ: يا إلهي. وأقول في الخلاء يا حبيبي، أرغب إليك وأشهد لك بالربوبية مقراً بأنك ربي، وإليك مَرَدِّي. ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من تراب ثم أسكنتني الأصلاب، ونقلتني إلى الأرحام، ولم تخرجني برحمتك في دولة أئمة الكفار الذين نقضوا عهدك، وكذَّبوا رُسُلك. ثم بجودك أخرجتني برحمتك، وبحسن نظرك في دولة أئمة الهدى، ثم أنشأت خلقي مِنْ مني يُمنى، ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث من بين دم ولحم ملتابٍ، وكونتني في غير سورة الإناث، ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سوياً، وحفظتني في المهد طفلاً صغيراً وصبياً، ورزقتني من الغذاء لبناً مرياً، وكفلتني حجور الأمهات وأسكنت قلوبهن رأفة لي، وشفقة عليّ، وربيتني بأحسن تربية ودبَّرتني بأحسن تدبير، وكلأتني من طوارق الجن، وسلمتني من شياطين الإنس، وصنتني من زيادة في يدي تشينني، ومن نقص فيه يعيبني، فتباركت ربي، وتعاليت يا رحيم، فلما استهللت ناطقاً بالكلام أتممت عليّ سوابغ الأنعام، وأنبتني زائداً في كل عام فتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، حتى إذا ملكتني شأني، وشددت أركاني أكملت لي عقلي، ورفعت حجاب الغفلة عن قلبي وألهمتني النظر في عجيب صنائعك، وبديع عجائبك، وأوضحتني حجتك، ودللتني على نفسك، وعرفتني ما جاءت به رُسُلك، ورزقتني من أنواع وصنوف الرياش بمنك العظيم وإحسانك القديم، وخلقتني سوياً، ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون أن أتممت عليّ جميع النعم، وصرفت عني كل بلوى ونقم، وأعلمتني الفجور لأجتنبه، والتقوى لأقترفه، وأرشدتني إلى ما يقربني إليك زلفى، فإن دعوتك أجبتني، وإن سألتك أعطيتني، وإن حمدتك شكرتني وإن شكرتك زدتني.

إلهي، فأي نعمك أحصي عدده، وأي عطاياك أقوم بشكره، أما أسبغت علي من النعماء، أو ما صرفت عني من الضرّاء.

إلهي، أشهد لك بما شهد لك به باطني وظاهري وأركاني وجوارحي.

إلهي، إني لا أطيق إحصاء نعمك، فكيف أطيق شكرك عليها، وقد قلت وقولك الحق: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[1]، أم كيف يستغرق شكري نعمك، وشكرك من أعظم النعم عندي، وأنت المنعم به عليّ كما قلت سيدي: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[2]. وقد صدقت قولك.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية رقم (٣٤).

(٢) سورة النحل، الآية رقم (٥٣).

إلهي وسيدي، وقد بَلَّغتْ رُسُلَك، بما أنزلت إليهم من وَحْيِك، غير أني أقول بجهدي ومنتهى علمي، ومجهود وسْعي ومبلغ طاقتي. الحمد لله على جميع إحسانه حمداً يَعْدل حمد الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين».

وبالإسناد:

وسمعته يقول:

«إلهي، لو أصبت موئلاً في الشدائد غيرك، أو ملجأ في النوازل سواك لحق لي أن لا أعرض بوجهي عنك، ولا أختاره عليك لقديم إحسانك إليّ وحديثه، وظاهر مِنَنك علي وباطنها ولو تقطعت في البلاء إرباً إرباً، وأصببت علي الشدائد صباً صباً، ولا أجد مشتكى لشيء غيرك، ولا مفرجاً لما بي عني سواك. فيا وارث الأرض ومن عليها، ويا باعث جميع من فيها ورِّث أملي فيك مني أملي، وبلِّغ همتي فيك منتهى وسائلي.»

وبالإسناد:

وسمعته يقول:

«إلهي، إن أهل معرفتك لما أبصروا العاقبة، ونحوا بأبصارهم إلى منتهى العاقبة، وأيقنوا بجودك وكرمك، وابتدائك إياهم بنعمتك، ودللتهم على ما فيه نفعهم دونك، إذ كنت متعالياً عن المضار والمنافع، استقلوا كثير ما قدموا من طاعتك واستصغروا عظيم ما اقترفوا من عبادتك، واستلانوا ما استوعره غيرهم. بذلوا المجهود في طلب مرضاتك، واستعظموا صغير التقصير في أداء شكرك، وإن كان ليس شيء من التقصير في طاعتك بذل المجهود صغيراً كان عندهم فنحلت لذلك أبدانهم وتغيرت لذلك ألوانهم، وخلت من غيرك قلوبهم، واشتغلت بذكرك ألسنتهم وعقولهم، وانصرفت من خلقك إليهم همومهم وآنست وطابت بالخلوة فيك نفوسهم، لا يمشون بين العباد إلاّ هوناً، ولا يسعون في طاعتك إلاّ ركضاً ركضاً.

إلهي، وكما أكرمتهم بشرف هذه المنازل، وأبحتهم رفعة هذه الفضائل، اعقد قلوبنا بحبل محبتك ثم حوّلها في ملكوت سماواتك وأرضك، واستدرجنا إلى أقصى مرادك درجة درجة، واسْلُك بنا مسلك أصفيائك منزلةً منزلة، واكشف لنا عن مكنون علمك حجاباً حجاباً، حتى ننتهي إلى رياض الأنس، ونَجْتني من رياض التشوق إليك، ونشرب من حياض معرفتك ونتنزّه في بساتين يشر آلائك، ونستنقع في غدارن نعمائك ثم اردُدها إلينا بطُرَف الفوائد، وامددها بتحف الزوائد، واجعل العيون منّا فوّارة بالعبرات، والصدور منّا محشوة بالحرقات واجعل قلوبنا من القلوب التي سافرت إليك بالجوع والعطش، واجعل أنفسنا من الأنفس التي زالت عن

اختيارها لهيبتك، احينا ما أحييتنا على طاعتك، وتوفنا إذا توفيتنا على ملّتك راضين مرضيين هداة هادين مُهْدين غير مغضوب عليهم ولا الضالين».

وبالإسناد:

وسمعته يقول:

«إلهي، من ذا الذي ذاق طعم حلاوة مناجاتك فألهاه شيء من طاعتك ومرضاتك؟!

أم من ذا الذي ضمنت له النصر في دنياه وآخرته فاستنصر بمن هو مثله في عجْزِه وفاقته؟!

أم من ذا الذي تكفلت له بالرزق في سقمه وصحته فاسترزق غيرك بمعصيتك في طاعته؟!

أم من ذا الذي عرفته عاقبة آثامه فلم يحتمل خوفاً منك مؤنة فطامه؟

أم من ذا الذي أطلعته على ما لديك، ثم انقطع إليك من كرامته فَأَعْرَضَ صفحاً إخلاداً إلى الدّعة في طلب راحته؟!

أم من ذا الذي عرف دنياه وآخرته فآثر الفاني على الباقي بحمقه وجهالته؟!

أم من ذا الذي شرب الصافي من كأس محبتك فلم يستشر بقوارع محنتك؟!

أم من ذا الذي عرف حسن اختيارك لخلقك في قدرتك فلم يرض بذلك؟!

أم من ذا الذي عرف علمك بسره وعلانيته، وقدرتك على ضره ونفعه، فلم يكف بك عن علم غيرك، ولم يستغن عن قدرة عاجز مثله؟!»

ومن ذلك:

ما حدثنا به أبو عبد الله محمد بن عيشون بإشبيلية بداره برحبة الباجي، ثنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري[1] عن شيخه ثنا حمد بن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني أبو بكر محمد بن أحمد، ثنا محمد بن عبد الملك بن هاشم قال: سمعت ذا النون المصري يقول في دعائه:

«اللهم إليك أقصد رغبتي، وإيّاك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طلبتي، وبيدك مفتاح مسألتي، لا أسأل الخير إلاّ منك ولا أرجوه من غيرك، ولا أيأس من روحك بعد معرفتي بفضلك.

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي ابن العربي قاض، من حفّاظ الحديث، ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ وتوفي سنة ٥٤٣هـ درس على أكابر علماء عصره كالغزالي والطرطوشي والشاشي وغيرهم، ترك عدداً من المؤلفات التي لاقت انتشاراً مثل العواصم من القواصم، وقانون التأويل، وأحكام القرآن وغيرها.

انظر ترجمته في: ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ٢٧٩، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١٤١/٤.

يا من جمعت كل شيء حكمته.

ويا من نفد كل شيء علمه.

ويا من الكريم اسمه لا أجد لي غيرك فأسأله، ولا أثق بسواك فأُؤمِّلُه، ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها، وأتوكل عليه، فمن أسأل إن جهلتك؟ ومن أثق بعد إذ عرفتك؟

اللهم، إن ثقتي بك، وإن ألْهَتْني الغفلات عنك، وأبعدتني العثرات منك بالاغترار. يا مُقيل العثرات إن لم تتلافني بعصمة من العثرات فإني لا أحول بعزيمة من نفسي، ولا أدوم على خليقة بمكان من أمري. أنا نعمة منك، وأنا قدر من قدرك، أجري في قدرك وأسبح في نعمتك. لا ازداد على سابقة علمك، ولا أنتقص دون عزيمة أمرك. فأسألك يا منتهى السؤالات. وأرغب إليك يا موضع الحاجات، سؤال من قد كذّب كل رجاء إلاّ منك، ورغب من رغب عن كل ثقةٍ إلا عنك، وأن تهب لي إيماناً أقدم به عليك، وأؤمّل به عظيم الوسيلة إليك، وأن تهب لي يقيناً لا توهنه شبهة إفك، ولا تهينه خطرة شك ترحب به صدري، وتيسر به أمري، ويأوي إلى محبتك قلبي، وتسد إليك فطني ولبّي حتى لا ألهو عن شكرك، ولا أنعم إلاّ بذكرك.

يا من لا تمل من حلاوة ذكره ألسن الخائفين، ولا تكل من الهطل عليه مدامع الخاشعين، أنت منتهى سرائر قلبي خفايا الكتم، وأنت موضع رجائي بين أسداف الظلم.

من الذي ذاق حلاوة مناجاتك فلهي بمرضاة بَشَر عن طاعتك ومرضاتك؟!

رَبِّ. أفنيت عمري في شره السهو عنك، وأبليت شبابي في سكره للتباعد منك، ثم لم أستنبط لك كلأه، وطمعاً في أيام اغتراري بك وركوني إلى سبيل سخطك وعن جهل.

يا ربِّ. قربتني العزة إلى غضبك، أنا عبدك قائم بين يديك متوسل بكرمك إليك فلا يزيلني عن مقام أقمتني فيه غيرك، ولا ينقلني من موقف السلامة من نعمك إلاّ أنت، أتنصّلُ إليك مما كنت أواجهك به، من قلة استحيائي من نظرك، وأطلب العفو منك يا رب، إذ العفو نعت لكرمك. يا من يعصى ويثاب إليه فيرضى، كأنه لم يعص. تكرّمٌ لا يوصف، وتحنّنٌ لا يُنْعَت، يا حنّانُ بشفقته، يا متجاوز بعظمته. لم يكن لي حول فأنتقل عن معصيتك إلاّ في وقت أيقظتني فيه لمحبتك بكما أردْتَ أن أكون كنت، وكما رضيتَ أن أقول قلت. خضعتُ لك وخشعتُ لك.

إلهي لتعزني بإدخالي في طاعتك، ولتنظر إلي نظر من ناديته فأجابك، واستعملته بمعونتك وأطاعك فارحمني يا أرحم الراحمين.»

ومن هذا الباب:

ما حدثنا به أبو الفرج عبد الرحمن بن علي إجازة، أنبأنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، أنبأنا حمد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، أو ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون أبا الفيض يقول:

«اللهم اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا، ونظروا فأبصروا وسمعوا، فتقلقلت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة، حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها، ففتقوا بنور العلم ما رَتَقَهُ ظلام الغفلات، وفتحوا أبواب مغالق العمى بأنوار مفاتيح الضياء، وعمروا مجالس الذاكرين بحسن مواظبة استيدام الثناء.

اللهم اجعلنا من الذين تَرَاسَلَتْ عليهم ستور عصمة الأولياء وحصَّنْتَ قلوبهم بطهارة الصفاء، وزَيَّنْتَها بالفهم والحياء وطيرت هممهم في ملكوت سمواتك حجاباً حجاباً حتى ينتهي إليه فرددتها بطرائف الفوائد.

اللهم اجعلنا من الذين سُهِّل عليهم طريق الطاعة، وتمكنوا من أزمَّة التقوى، ومنحوا بالتوفيق منازل الأبرار فزُيِّنوا وقُرِّبوا وأُكْرِموا بخدمتك».

وبالإسناد:

سمعته يقول:

إلهي إن كان صغر في جنب طاعتك عملي[1]، فقد كثر في جنب رجائك أملي.

وبالإسناد:

قال: وسمعته يقول:

اللهم اجعلنا من الذين استظلوا تحت رواق الخوف، وقرؤوا صحف الخطايا، ونشروا دواوين الذنوب، فأورثهم الفِكَر الصالحة في المنقلب.

اللهم اجعلنا من الذين أدبوا أنفسهم بدرة الجوع، وتزينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وأغلقوا أبواب الشهوات، وعرفوا مسير الدنيا بموقنات المعرفة حتى نالوا علوّ الزاهد واستعذبوا مذلة النفوس، وظفروا بدار الجلال، وتواسوا بينهم بالسلام.

واجعلنا من الذين فتقت لهم رتق غواشي جفون القلوب؛ حتى نظروا إلى تدبير حكمتك، وشواهد حجج تبياناتك، فعرفوك بمحصول فطن القلوب، فرقيت أرواحهم عن أطراف أجنحة

(١) في المخطوط: (علي).

الملائكة فسمّاهم أهل الملكوت زوّاراً، وأهل الجبروت عمّاراً، فترددوا في مصاف المسبحين، ولاذوا بأفنية المقدسين، فتعلقوا بحجاب العزّة، وناجوا ربهم عند مطارقة كل شهوة، حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عزّ الجلال، وإلى عِظَم الملكوت فرجعت القلوب إلى الصدور على الثبات بمعرفة توحيدك فلا إله إلاّ أنت.

وبالإسناد:

قال: وسمعت ذا النون أبا الفيض يقول:

لك الحمد يا ذا المنّ والطَّوْل والآلاء والسعة، إليك توجهنا، وبفنائك أَنَخْنا، ولمعروفك تعرضنا، وبقربك نزلنا.

يا حبيب التائبين، ويا سرور العابدين، ويا أنس المنفردين ويا ظهر المنقطعين، ويا من حفت إليه قلوب العارفين، وبه آنست أفئدة الصِّديقين، وعليه عطفت رهبة الخائفين.

ويا من أذاق قلوب العارفين لذة الحمد وحلاوة الانقطاع إليه.

يا من يقبل من تاب، ويعفو عمّن أناب، ويدعو المولّين كرماً، ويرفع المقبلين إليه تفضُّلاً.

يا من يتأنى على الخاطئين، ويحلم عن الجاهلين.

ويا من حلّ عقدة الرغبة من قلوب أوليائه ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته، وأهل محبته، ومنحهم منازل القرب والولاية.

يا من لا يُضَيّعُ مطيعاً، ولا ينسى مُضَيّعاً.

يا من سمح بالنوال، ويا من جاد بالإفضال.

يا ذا الذي استدرك بالتوبة ذنوبنا، وكشف بالرحمة غمومنا، وصفح عن جرمنا بعد جهلنا، وأحسن إلينا بعد إساءتنا.

يا أنيس آنس وحشتنا، ويا طبيب سقمنا، ويا غياث من أسقط بيده وتمكن حبل المعاصي من عنقه، وأسفر خدر الحياء عن وجهه. هب خدودنا للتراب بين يديك. يا خير من قدر، وأرأف من رحم وعفا.

وبالإسناد:

قال: وسمعته يقول:

أسألُكَ باسْمك الذي ابتدعتَ به عجائب الخلق في غوامض العلم، بجود جمال وجهك، في عظيم عجيب تركيب أصناف جواهر لغاتها، فجرت لهيبتك من مخافتك أن تجعلنا من الذين سَرَحَتْ أرواحهم في العُلى، وحطّت هِمَمُ قلوبهم في معليات الهوى، حتى أناخوا في

رياض النعيم، وجنوا من ثمار التسنيم، وشربوا بكأس العيش، وخاضوا لُجج السرور، واستظلوا تحت فناء الكرامة.

اللهم. اجعلنا من الذين شَربُوا بكأس الصفاء، وأورثتهم الصبر على طول البلاء، حتى تولّهت قلوبهم في الملكوت وجالت بين سرائر حجب الجبروت، ومالت أرواحهم في ظل نسيم المشتاقين، الذين أناخوا في رياض الراحة ومعدن العزّ، وعَرَصَاتِ المخلّدين.

وبالإسناد:

قال: وسمعته يقول:

ومَدْحُ الله أشرق لنوره السموات، وأنار لوجهه الظلمات، وحجب جلالته عن العيون، ووصل بها معارف العقول، وأنفذ إليه أبصار القلوب، وناجاه على عرشه ألسنة الصدور.

إلهي. لك يسبح كل شجرة، ولك تقدس كل مدرى بأصوات خفية، ونغمات زكيّة.

إلهي. قد سيبت بين يديك قدمي، ورفعت إليك بصري، وبسطت إلى مواهبك يدي، وصرخ إليك صوتي، وأنت الذي لا يضجره النداء، ولا يخيب من دعاك.

إلهي. هَبْ لي بصراً برفعه إليك صدقة، فإن من تعرف بك غير مجهول، ومن يلوذ بك غير مخذول، ومن يبتهج بك لمسرور، ومن يعتصم بك لمنصور.

وبالإسناد:

قال: وسمعته يقول:

كَلَّت ألسن المحققين لك عن الدعاوى، ونطقت ألسن المدَّعين لك بالدعاوى.

وبالإسناد:

قال: وسمعته يقول ويدعو:

اللهم متّع أبصارنا بالجولان في جلالك، وسَهِّرنا عمَّا نامت عنه قلوب الغافلين، واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور وعلّقها بأطناب التفكر، وتَرُدُّ أبصارُنا عن شر مواقف المتحيرين، وأطلقها من الأسر لتجول في خدمتك مع الجوّالين.

اللهم اجعلنا من الذين استعملوا ذكر قطع اللذات، وخالفوا متاع الغِرّة بواضحات المعرفة.

اللهم اجعلنا من الذين لخدمك في أقطار الأرض لهم طُلّاباً، ولخاص أصفيائك أصحاباً، وللمريدين المعتكفين ببابك أحباباً.

اللهم اجعلنا من الذين غسلوا أوعية الجهل بصفو ماء الحياة في مسالك النعيم، حتى جالت في مجالس الذكر مع رطوبة ألسنة الذاكرين.

اللهم اجعلنا من الذين رتعوا في زهرة ربيع الفهم، حتى تشامَتْ أسنمة الفكرة فوق سموّ السموّ، حتى تسامى بهم نحو مسام العلويين صراحات القلوب، ومستنبطات عيون الغيوب، بطول استغفار الوجوه في محاريب قدس ورهبانية الخاشعين، حتى لاذت أبصار القلوب بجواهر السماء، وعبرت أفنية النّواحين بمصاف الكروبيين ومجالسة الروحانيين، فتوهموا أنْ قَدْ قرب احتراق بالقلوب عند إرسال الفكرة في مراتع الأحزان بين يديك. فأحرقت نار الخشية بصائر منابت الشهوات من قلوبهم، وسكنت خوافي ضلوع مضايق الغفلات من صدورهم فأنبه ذكر الصراط رقاد قلوبهم.

وبالإسناد:

قال: وسمعته يقول:

كيف أنقلب من عندك محروماً؟ وقد كان لحسن ظني بجودك أن تقبلني بالنجاة مرحوماً.

إلهي. إن لم أسلِّط على حسن ظني بك قنوط يأسي. إلهي، فلا تشغل وتبطل صدق رجائي لك بين الآدميين.

إلهي. سمع العابدون بذكرك فخضعوا، وسمع المذنبون بحسن عفوك فطمعوا.

إلهي. إن كانت اسقطتني الخطايا، من[1] مكارم لطفك، فقد آنسني اليقين إلى مكارم عطفك.

إلهي. إن أمّتني الغفلات من الاستعداد للقائك فقد نبهتني المعرفة لكريم آلائك.

إلهي. إن دعاني إلى النار أليم عقابك، فقد دعاني إلى الجنة جزيل ثوابك.

* **ومن ذلك:**

ما حدثنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني، ثنا أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، ثنا عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

إلهي. ما أصغي إلى صوت حيوان، ولا حفيف شجر، ولا خرير ماء، ولا ترنّم طير، ولا

---

(١) في المخطوط: (يا من).

دويّ رمح، ولا قعقعة رعد، إلاّ وجدتها شاهدة بوحدانيتك، دالّة على أنه: ليس كمثلك شيء، وأنك غالب لا تُغلب وعالم لا تجهل، وحليم لا تسفَه، وعدل لا تجور وصادق لا تكذب.

إلهي. فإني أعترف اللهم بما دلّ عليه صنعك، وشهد لك فعلك، فهب لي اللهم طلب رضاك برضاك[1] عنك، ومسرّة الوالد بولده بذكرك لمحبتي لك، ووقار الطمأنينة، وتطلب القُربة إليك. لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ومن لم يروه من ظمئه ورود غدران ذكرك، ولم ينسه جميع الهموم رضاه عنك، ولم يلهه جميع الملاهي تعداد آلائك، ولم تقطعه عن الأنس بغيرك مكانه منك، كانت حياته ميتة، وموته حسرة، وسروره غصّة، وأنسه وحشة.

إلهي. عرفني عيوب نفسي وفضحها عندي، لأتضرع إليك في التوفيق للتنزه عنها، وأبتهل إليك بين يديك خاضعاً ذليلاً في أن تغسلني منها.

واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم، وغابت قلوبهم تجول في ملكوتك، وتتفكر في عجائب صنعك، وترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك، قد ألبستهم خلع محبتك وخلعت عنهم لباس التزين بغيرك.

إلهي. لا تترك بيني وبين أقصى مرادك منّي حجاباً إلاّ هتكته، ولا حاجزاً إلاّ رفعته، ولا وعراً إلاّ سهلته، ولا باباً إلاّ فتحته، حتى تقيم قلبي بين ضياء معرفتك، وتذيقني طعم محبتك، وتبرد عني بالرضا منك فؤادي، وجميع أحوالي حتى لا أختار غير ما تختار، وتجعل لي مقاماً بين مقامات أهل ولايتك، ومضطرباً فسيحاً في طاعتك.

إلهي. كيف أسترزق من لا يرزقني إلاّ منك[2]؟ أم كيف أستنصر من لا ينصرني إلاّ بك؟

أم كيف أسخط من رضا من لا يقدر على ضُرّي إلاّ بتمكينك؟

فيا من أسأله إيناساً به، وإيحاشاً بخلقه.

ويا من ألجأ له في شدتي وروحاتي.

ارحم غربتي وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقيناً.

ولا تكلني إلى نفسي الأمّارة بالسوء طرفة عين.

ومن ذلك:

ما حدثنا به يونس بن يحيى حدثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا الحافظ أبو نعيم

---

(١) هكذا في المخطوط والصحيح أن يقول: (فهب لي طلب رضاك برضاك عنك).

(٢) في المخطوط (من).

عن عثمان قال: قُرِىء على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

أنت ملك مقتدر وأنا عبد مفتقر. أسألك العفو تذلّلاً فأعطنيه تفضلاً.

وبالإسناد:

قال: وسمعته يدعو ويقول:

إلهي: الشيطان لك عدو ولنا عدو، ولم تغظه بشيء أنكأ له من عفوك عنا فاعفُ عنا.

وخرّج «ابن خميس» في المناقب عن ذي النون أنه قال:

«الحمد لله الذي جعل أُنس الذاكرين بحلاوة ذكره، وأرهب قلوب المتفكرين من مخافة مكره، ووهب للمريدين فضل المريدين شكره، وجنى أهل المعاصي تكرّماً في خفي ستره».

وبهذا قد انتهيت على ما وصل إليّ من هذا الباب وإذ وقد ذكرنا أحواله فلنذكر ما وصل إلينا بطريق الرواية أيضاً، من كراماته، رضي الله عنه.

باب في كراماته

أجلها قدراً، وأعظمها خطراً بُشرى الله تعالى له بالقبول في قوله في سبب توبته حين قال:

«ثم لزمت الباب إلى أن قبلني».

وأيُّ كرامة أجل وأعظم من القبول بشَّرنا الله بما بشَّر به أولياءه.

أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن علي قال:

سمعت محمد بن زبان[1] يقول:

لما مات ذو النون المصري رأيت على جنازته طيوراً خُضْراً. فلا أدري أي شيء كان.

وخرّج ابن خميس في كتاب مناقب الأبرار له عن ابن زبان:

لما مات ذو النون بالجيزة، وحُمل في قارب مخافة أن تنقطع الجسور من كثرة الناس مع جنازته، وكنت قائماً مع الناس على كوم أنظر. فلما أُخرج من القارب وضع على الجنازة،

---

(١) (محمد بن زبان) بن حبيب الحضرمي، أورده الذهبي فيمن توفي سنة ٣١٧هـ مع الإمام محمد أبي الحسن أحمد بن محمد بن عمار الجارودي الهروي حين قتله القرامطة، وقال: ومحدِّثا مصر ـ ثم ذكر (محمد بن زبان).
انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٨٣٥/٣.

وحمله الرجال رأيت طيُوراً خُضْراً قد اكتنفت ترفرف عليه، حتى عطف به إلى عند حمام العار وغاب عني.

قال أبو بكر بن زبان قد ذكرت ذلك لخالي: الحسن بن يحيى بن هلال بعد زمان فقالي لي: والله لقد رأيت مثل هذه الطيور على جنازة إبراهيم المزني[1] وذكر أبياتاً رثاه بها، وهي:

وَرَأَيْتُ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ وَلَمْ أَكُنْ ... مِنْ قَبْلِ ذَاكَ رَأَيْتُهُ لمُشَيَّعِ

طَيْراً تُرَفْرِفُ فَوْقَهُ وَتَحُفُّهُ ... حَتَّى تَوارَى فِي حِجَابِ المَضْجَعِ

ثُمَّ احْتَجَبْنَ عَنِ العُيُونِ وَلَمْ أُحِطْ ... عِلْماً بِكُنْهِ مَصِيرِهِ فِي المَرْجِعِ

وأَظُنُّهَا رُسْلُ الإِلَهِ تَنَزَّلَتْ ... واللّهُ أَعْلَمُ فَوْقَ ذَاكَ المَرْجِعِ

فربما كانت تلك الطير أُمَماً [من][2] الملائكة، والله أعلم، ظهرت للناس رحمة بهم.

وحدثنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا عباس بن حمدان، ثنا أبو الحسين صاحب الشافعي قال: حضرت جنازة ذي النون فرأيت الخفافيش تقع على نعشه، وبدنه، وتطير.

لو لم يكن الرائي فقيهاً لرآها على غير صورة الخفافيش.

حدثنا أبو الخير، عن الشاذياجي، عن البحتري، عن السُّلمي في كتاب «تاريخ الصوفية» له. قال: لمَّا مات ذو النون وُجدَ على قبره مكتوب: مات ذو النون حبيب الله من الشوق قتيل الله.

يريد كتابة غير معهودة.

أخبرنا محمد بن قاسم قال: ثنا المسعودي بمصر[3]، ثنا الغانمي، ثنا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول: سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الجيزي بالجيزة يقول: رأيت ذا النون وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان تعدى الذي من الرعية عليه فكسر ثنيته فتعلق الجندي بالرجل وقال:

---

(١) (إبراهيم المزني) هو: أبو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ولد سنة ١٧٥هـ وتوفي بمصر سنة ٢٦٤هـ. له **المختصر على فقه الشافعي**، ويعتبر من أهم الكتب في فقه الشافعية. إذ يعتبر من الأصول الخمسة للمذهب.
انظر: سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ١٧٨/١، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) مضافة من المحقق يقتضيها السياق.

(٣) (المسعودي) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، كانت له رحلات أقام أثناء رحلته إلى إيران سنة ٣٠٥هـ في اصطخر وتوفي سنة ٣٤٥هـ بمصر. وترك مؤلفات أهمها **مروج الذهب، ومعادن الجوهر**.
انظر ترجمته في: سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٥٣٤/١، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٧٠/٣، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٨٠/٧.

بيني وبينك الأمير فجازوا بذي النون فقال لهم الناس: اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه فعرّفوه ما جرى فأخذ السن ثم بلّها بريقه وردّها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه، وحرّك شفتيه فتعلقت بإذن الله سبحانه وتعالى. فبقي الرجل يقلّب فاه فلم ير الأسنان إلاّ سواء.

حدثنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت عليّ بن حاتم العثماني بمصر يقول: سمعت ذا النون يقول: كأنك عن قليل ترىٰ هذه المدينة عامرة، وتخرج منها المدقّة، وقوم عُجْمٌ، وعن قليل تراها خراباً.

قال عليُّ بن حاتم: ورأيناها عامرة، ورأيناها خراباً.

أخبرنا عماد الدين أبو الثناء محمود، أنبأنا تاج الإسلام أبو عبد الله بن خميس بسنده إلى أبي عبد الله بن الجلاء قال: كنت مجاوراً بمكة مع ذي النون فجُعنا أياماً كثيرة، ولم يُفتح لنا بشيء، فلما كان ذات يوم قام ذو النون قبل صلاة الظهر ليصعد الجبل يتوضأ للصلاة وأنا خلفه فرأيت أشياء من قشور الموز مطروحاً في الوادي فقلت في نفسي آخذ منه كفاً أو كفين اتركه في كُمي ولا يراني الشيخ حتى إذا صرنا في الجبل، ومضى الشيخ يتوضأ أكلته قال: فأخذته، وتركته في كُمي، وعيني إلى الشيخ لئلا يراني فلمّا صرنا في الجبل، وانقطعنا عن الناس التفت إليّ وقال: اطرح ما في كمّك بأسره. فطرحته وأنا خجل. وتوضأنا للصلاة، ورجعنا إلى المسجد وصلينا الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما كان بعد ساعة. فإذا إنسان قد جاء ومعه طعام عليه مكبّة فوقف ينظر إلى ذي النون فقال له: مُرْ فدعه قدام ذلك وأومأ بيده إليّ فتركه الرجل بين يدي. فانتظرت الشيخ ليأكل فلم أره يقوم من مكانه ثم نظر إليّ وقال لي: كُلْ. فقلت: وحدي! قال: نعم. أنت طلبت نحن ما طلبنا شيئاً، يأكل من طلب. فأقبلت آكل وأنا خجل مستح مما جرى.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر ثنا يحيى بن عبد الباقي ثنا أبو الفضل بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا الحسن الملطي يقول: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول:

خرجت إلى شط نيل مصر فرأيت امرأة تبكي وتصرخ فأدركها ذو النون فقال لها: ما لك تبكين.

فقالت: كان ولدي وقرّة عيني على صدري فخرج تمساح فاستلب مني ولدي.

قال: فأقبل ذو النون على صلاته، وصلى ركعتين ودعا بدعوات فإذا التمساح خرج من النيل، والولد معه، ودفعه إلى أمّه.

قال أبو عبد الله: فأخذته وأنا كنت أرى.

وقد رُوينا هذه من طريق ابن خميس على غير هذا الوجه.

قال ذو النون: أتتني امرأة فقالت لي: إن ابني أخذه التمساح الساعة. فرأيت حرقتها فأتيت النيل وقلت: اللهمّ اظهر التمساح فخرج إليّ فشققت جوفه وأخرجت ابنها حيّاً صحيحاً. فقالت: كنتُ إذا رأيتك سخرتُ منك، فاجعلني في حلّ وأنا تائبة إلى الله تعالى.

هذه وراثة عيسوية في إحياء الموتى، ولذلك المناسبة والوراثة كانت الخفافيش تقع على جنازته، فإنها الطير الذي خلقه عيسى بيده ونفخ فيه الروح. كل ذلك بإذن ربه.

أخبرنا عبد الوهاب بن سُكَيْنَة[1] ببغداد قال: ثنا ابن الأستاذ عبد الكريم بن هوازن، ثنا أبي قال: قال بكر بن عبد الرحمن: كنا مع ذي النون المصري في البادية، فنزلنا تحت شجرة من أمّ غيلان. فقلت: ما أطيب هذا الموضع، لو كان فيه رُطباً. فتبسّم ذو النون وقال: تشتهون الرطب. وحرّك شجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وجعلك شجرة إلاّ نثرت علينا رُطباً جنياً.

ثم حرّكها فنثرت رطباً وأكلنا وشبعنا ثم نمنا وانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكاً.

أخبرنا أبو الثناء محمود اللبان، ثنا أبو عبد الله تاج الإسلام يسنده إلى يوسف بن الحسين قال: جاء رجل إلى ذي النون فشكا إليه ديناً عليه نحو سبع مائة دينار قال: فأخذ ذو النون حصاةً من الأرض فقال للرجل: خذها فإني أرجو أن يكون قضاء دينك.

قال يوسف: فقال لي الرجل: جئت بها إلى صديق لي من أصحاب الجواهر فدفعتها إليه فقال: ليس هذا وقت بيعها، فإن صبرت عليها رجوت أن تبيعها بالضعف قال: فغبت عنه شهراً، ثم عدت إليه، فإذا هو قد باعها لي بألف وأربع مائة دينار.

وبالإسناد: إلى أحمد بن محمد السلمي قال: كنت عند ذي النون فأعطاني دِرهماً، فأنفقت منه إلى بلْخ.

وبالإسناد: إلى أبي جعفر قال: كنت عند ذي النون المصري فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء. فقال ذو النون: من الطاعة أن أقول لهذا السرير بأن يدور في أربع زوايا البيت ويعود إلى مكانه فيفعل.

قال: فدار السرير في أربع زوايا البيت، وعاد إلى مكانه.

---

(١) عبد الوهاب بن سُكينة.
انظر ما أورده الإمام الذهبي في تذكرته أثناء الحديث عن وفيات سنة ٥٣٢هـ وهي السنة التي توفي فيها محدّث أصبهان الإمام أبو نصر أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الغازي.
انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٢٧٧/٤.

قال: وكان هناك شاب فأخذ يبكي حتى مات في الوقت.

ومِمَّا يُناسب هذه الحكاية في عصرنا ما اتفق لصاحبنا «أبي أحمد بن سيد بون» من وادي إشت بشرق الأندلس، وهو من تلامذة شيخنا «أبي مدين»، رحمه الله، وذلك أن كثيراً من علماء الرسوم ببلادنا أنكروا عليه حاله حسداً مثل ما جرت عادتهم معهم في كل زمان. فقام رجلٌ منهم في بعض قُرى موضعه، وقد غصَّ المسجد بالناس، فأخذ في ذم أبي أحمد وطريقته، ولم يكن أبو أحمد في ذلك اليوم حاضراً فبينما هو في سبِّه وذمِّه، وذِكْر مثالب ينسبها إليه، والناس يسمعون وإذا بعصى الخطيب قد وثبت من المنبر، فضربت ذلك المتكلم على رأسه واضطربت، فأراد الناس أخذها فطارت حتى دارت في الأربع الزوايا من المسجد، ثم قصدت المتكلم، والناس قد ضجّوا. فأخذوها تحت حصير المسجد، ووقف عليها الرجال بأقدامهم، فكانت تنتفض وتهم برميهم وبعد زمان سكنت.

فلما وصل خبرها إلى الشيخ أبي مدين إمام الطائفة ببلاد المغرب في وقته قال:

الحمد لله ما من مقام حكاه القشيري في رسالته إلاّ ودخلتُه، ولا ذَكر رجلاً منهم بحالٍ إلاّ وقد كسبت ذلك الحال، وما من كرامة سطرها في كتابه إلاّ وقد رأيتها. إمّا من نفسي، أو جرت على يدي أحد أصحابي، إلاّ خبر دوران السرير في زوايا البيت، وكان في نفسي منه شيء حيث لم يظهر لي مثله، حتى وقع خبر هذا العصا. فالشكر لله على ما أولى.

وقد ذكرنا هذا القدر الذي تذكرناه من كرامات هذا السيد (رضي الله عنه) فلنذكر نبذاً من كلامه فيما يتعلق بالطريقة، ومفاريد أقواله على قدر ما يعطيه الوقت من الذكر على غير جهة الاستقصاء في ذلك وطلب الإحصاء لها.

باب في نُبَذٍ من كلامه فيما يتعلق بالطريقة ومفاريد أقواله

فمن باب التوفيق ما حدثنا به ابن الأخضر قال: ثنا يحيى بن عبد الباقي ثنا أبو الفضل بن أحمد ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام التوفيق:

- الرفق في الأعمال بالاستعداد لها.
- والسلامة من الذنب مع الميل إليه وقلة الهرب منه.
- واستخراج الدعاء والابتهال.

وبالإسناد، عن أحمد بن عبد الله قال: ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قُرِىء على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

بالتوفيق تنال الحظوة.

وما يلحق بهذا الباب، وسائر الأبواب لكنه بهذا الباب أليق لكونه مفتاح القربة أمران:

الرشد والسعادة

حدثنا ابن الأخضر بالسند المتقدم في أول هذا الباب، وقال ذو النون:

ثلاثة من أعلام الرشد:

* حسن المجاورة، والتنصح عند المشاورة، والبر في المجاورة.

وثلاثة من أعلام السعادة:

* الفقه في الدين، والتيسير للعمل، والإخلاص في السعي.

باب العبادة والعبودة وما في معناهما

حدثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد إجازة، أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، أخبرنا ابن أبي صادق، أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال:

سمعت فارساً البغدادي[١] يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

* سُقْمُ الجسد في الأوجاع،

وسُقْمُ القلوب في الذنوب.

فكما لا يجد الجسم لذَّة الطعام عند [الأكل][٢] كذلك [القلب][٢] لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب.

---

(١) فارس بن عيسى البغدادي، كنيته: أبو القاسم وهو من خلفاء الحسين بن منصور الحلاج. كان فارس البغدادي من متكلمي مشايخ القوم، والمدققين في العبارات، وله كلام حسن في الأحوال والإشارات. توفي رحمه الله سنة ٣٤٥هـ.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد. أخبرنا ابن عبد الكريم بن هوازن، أخبرنا أبي قال: سمعت محمد بن الحسين قال: سمعت أبا العباس البغدادي[1] يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل[2] قال أخبرنا سعيد بن عثمان[3] قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام العبادة:

* حُبُّ الليل ليسهر بالتهجد، والخلوة.
* وكراهية الصبح لرؤية الناس.
* والغفلة والبدار بالصالحات مخافة الفتنة.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزّال، ثنا حَمَدْ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا محمد بن الحسين، سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الحسن بن سهل[4] يقول: سمعت علي بن عبد الله يقول: سمعت ذا النون يقول:

* مفتاح العبادة الفكر.
* وعلامة الهوى متابعة الشهوات.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا المسعودي بمصر، ثنا الغانمي، ثنا الأستاذ عبد الكريم بن هوازن قال: قال ذو النون:

العبودية: أن تكون عبده في كل حال، كما أنه ربّك في كل حال.

ومن باب التوبة

ما حدّثنا البكري بدمشق، ثنا أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن

---

(١) الشيخ أبو العباس بن المؤذن ـ يعني صاحب الحديد البغدادي ـ رحمه الله. صحب بشر بن الحارث، وتغرب إلى الشام ونواحي مصر. روى عنه العباس بن يوسف الشكلي وجماعة غيره، توفي رحمه الله في القرن الثالث الهجري.
انظر: الجامي: ٢٩٢، الخطيب: **تاريخ بغداد**، ٤٠٩/١٤.

(٢) محمد بن أحمد بن سهل، أبو الفضل القشيري، النيسابوري الأصل حدّث عن سعيد بن عثمان بن عياش الخياط صاحب ذي النون، وكان ثقة، توفي في شهر محرم، سنة ٣٤٧هـ.
انظر: الخطيب: **تاريخ بغداد**، ٣٤٠/١٠، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ٢٠.

(٣) سعيد بن عثمان بن عياش الخياط (أبو عثمان) حدّث عن ذي النون المصري، توفي رحمه الله سنة ٢٩٤هـ.
انظر: **تاريخ بغداد**، ٩٩/٩.

(٤) (الحسن بن سهل) المجوز، صاحب أبي عاصم، ومحمد بن زكريا العلابي الإخباري، ومحمد بن العباس المؤدب ومحمد ابن يحيى بن المنذر القزاز رحمهم الله وكلهم من شيوخ الطبراني، توفي رحمه الله سنة ٢٩٠هـ.
انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٦٣٩/٢.

هوازن[١]، عن جدّه أبي القاسم قال: سُئِلَ ذو النون[٢] عن التوبة فقال:

« توبة العوام من الذنوب.

« وتوبة الخواص من الغفلة.

ومن باب المجاهدة وما في معناها

ما حدّثنا به عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم عن أبيه قال: سمعت محمد ابن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

« ما أعز الله عبداً بعزٍّ هو أعزّ له من أن يدلّه على ذُلّ نفسه، وما أذل الله عبداً بذُلٍّ هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد قال: سمعت ذا النون يقول:

« طوبى لمن يطهّر ولزم الباب.

« طوبى لمن تضمر للسباق.

« وطوبى لمن أطاع الله أيام حياته.

أخبرنا يُونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا محمد بن أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا بكرٍ محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي بنيسابور يقول:

سمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون:

« جُهْدُ النفس حجاب المنّة.

« وجهدُ القلبِ هتكُ الحُجُبِ إلى المنّة.

ومن باب الزُّهْد

ما حدّثنا به محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد إجازةً، أنبأنا المحمدان ابن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: أنبأنا حَمْدُ بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون المصري:

---

(١) أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري. مسند خراسان، الخطيب. ذكره الذهبي في تذكرته ضمن من توفي سنة ٥٤٦هـ. انظر الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٣٠٩/٤.

(٢) في نسخة المخطوط: ذا النون.

ثلاثة من أعلام الزهد:

* قِصَرُ الأمل
* وحُبُّ الفقر
* واستغناء مع صبر.

وأخبرنا عبد الوهاب بن علي عن ابن عبد الكريم بن هوازن عن أبيه، عن محمد بن الحسين، عن أبي العباس البغدادي، عن ابن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال:

الزُّهد يُورِّث الحكمة

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: أتى رجل من أهل البصرة ذا النون فسأله: متى يصحُّ لي طلب الزهد؟

قال: إذا كنت زاهداً في نفسك. هارباً من جميع ما يشغلك عن الله. لأن جميع ما يشغلك عن الله هي دنيا.

قال يوسف بن الحسين: فذكرت ذلك لطاهر المقدسي فقال: على هذا ترك أخبار المرسلين.

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم، قال سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول:

إنما رجع من رجع من الطريق، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا فازهد في الدنيا ترى العجب.

سمعت الأستاذ أبا يعقوب الكومي[1] بجامع العديس من إشبيلية يقول، ونحن جلوس بين يديه:

إنما رجع من رجع ما لم يبلغ رأس العقبة، فلو بلغ رأس العقبة، وكشف ما هنالك ما رجع. رأس العقبة مطالعة الحقيقة. رجال الله انحدروا عليها من الجانب الآخر، فلم ترهم عين بعد ذلك هنا إلاّ إن كانوا رُسُلاً حاملي أمانة.

أخبرنا أبو الحسن القرياني، ثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور بن محمد، ثنا أبو

---

(١) (أبو يعقوب الكومي) يوسف بن يخلف الكومي، شيخ العارف محيي الدين بن عربي، وكان يقول عنه انتفعت به في الرياضة، وانتفع بنا في مواجيده، فكان لي تلميذاً وأستاذاً وكنت له مثل ذلك، وكان الناس يتعجبون من ذلك. وكان ذلك سنة ٥٨٦هـ.

انظر: النبهاني. **جامع كرامات الأولياء**، ٢٩١/٢؛ المناوي: **الكواكب الدُّرِّية**، ٧١٦/١.

الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدّثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: سمعت ذا النون أبا الفيض وسألته قلت: متى يتم زهدي بعد ورعي؟

قال: إذا جعلت الفرض لك مَعْلماً، وأقمت الطاعة لك مفهماً.

قلت: فمتى يشتد بي بغض الدنيا؟

قال: إذا جعلت الدنيا طريق مخافة لا تلتفت إلى ما قطعت منها، وجعلت الآخرة ساحة مأمونة لا تأمن إلاّ بالنزول فيها.

قلت: متى أستلذُّ الموت؟

قال: إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك، وجعلت الآخرة نُصْبَ عينيك.

قلت: فمتى أتّقي شهوات مطاعم الأرض؟

قال: إذا خالط قلبك الملكوت، وسرح في سرائر الجبروت.

قلت: فمتى تصلب معرفتي؟

قال: إذا استوحشت من الدنيا، واشتد فرحك بنزولك البلى.

[قلت:][1] فمتى أستقبح الدنيا؟

قال: إذا علمت أن زينتها فساد كل معين، وأن محاسنها تفضي إلى كل حسرة.

قلت: فمتى أكتفي بأهون الأغذية؟

قال: إذا عرفت هلاك الشهوات، وسرعة انقطاع عُذوبة اللذات.

قلت: فمتى بلوغ التمام؟

قال: إذا كان زخرف الدنيا عندك صغيراً، وكان خوف الآخرة لك ذكراً.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الفضل الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلمي قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون:

الزهاد ملوك الآخرة، وهم فقراء العارفين.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

ومن باب الورع

ما حدّثنا به أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول:

طوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يعمر بصر قلبه الطمع وكان محاسباً لنفسه فيما صنع.

ومن باب التوكُّل

ما حدّثنا به القاضي عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي[1] بالمخيم بباب غلش بشاطىء نهر إشبيلية قال: حدثنا الحافظ أحمد بن محمد الأصبهاني إجازة، ثنا الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي قال: سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول: سمعت ذا النون المصري يقول وسأله رجل ما التوكل؟

فقال: خلع الأثياب، وترك الأسباب.

فقال له السائل: زدني.

فقال: إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية.

وبالإسناد قال:

وسمعته يقول: التوكل: الخروج عن تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

يرى هذا الشيخ[2]:

أن حقيقة العلم هو العمل به، وقد نزع إلى هذا القول غيره من العلماء مثل «أبي حامد

---

(١) القاضي عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، من أهل غرناطة يعرف بابن الفرس، ويكنى أبا عبد الله ولد آخر سنة ٥٢٤هـ تفقه بالحديث وكتب أصول الفقه وسمع أبا أيوب، وأبا الوليد بن الدباغ وغيرهما. وكان عالماً بالتفسير وبالحقائق وله كتاب في أحكام القرآن جليل الفائدة. توفي رحمه الله سنة ٥٩٩هـ يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة وقال في معجم المؤلفين، توفي سنة ٥٩٧هـ.

انظر ترجمته في: الداودي: **طبقات المفسرين**، ٣٦٢/١، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٩٦/٦، البغدادي: **هدية العارفين**، ٦٢٩/١.

(٢) الكلام الذي سيرد هنا لابن عربي تحليلاً لما قاله ذو النون.

الغزالي»[1] وغيره. فإن كل أحد يعلم من أهل الإسلام أن الله يعلم ويرى ما الخلق فيه ولكن ما له هذه الحالة. فلا تُسمَّى عندهم علماً، وإنما رسماً ودراية.

أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، حدثنا المحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام التوكل:

«نقض العلائق. وترك التملق في السلائق. واستعمال الصدق في الخلائق.

أخبرنا ابن الأخضر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون: متى أتوكل؟

قال: اليقين إذا تمَّ سُمِّي توكُّلاً.

أخبرنا يونس بن يحيى، أنبأنا أبو بكر بن الغزَّال، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، أنبأنا محمد بن الحسين قال: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الحسن بن سهل يقول:

سمعت عليَّ بن عبد الله يقول: سمعت ذا النون يقول: علامة التوكُّل انقطاع المطامع.

ومن باب الثقة بالله تعالى

ما أخبرنا به عبد العزيز، عن يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا أبو محمد بن حيَّان وأنا أسمع من لفظه قال: سمعت عمر بن يحيى يقول:

سمعت ذا النون يقول: مكتوب في التوراة: ملعون من ثقته بإنسان مثله.

أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن إجازة، أنبأنا المحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: أنبأنا

---

(١) (أبو حامد الغزالي) محمد بن محمد بن محمد الغزالي المولود سنة ٤٥٠هـ أمضى شبابه بطوس من أعمال خراسان، وتفقه على إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ثم اتصل بنظام الملك الوزير فعينه للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، وقد ترك عدداً كبيراً من المؤلفات تشهد بعبقريته وتنبئ عن زهد كبير ومن كبار أقطاب التصوف. وتوفي رضي الله عنه سنة ٥٠٥هـ.

انظر ترجمته في: بروكلمان، ٢٤٣/٤، كحالة: معجم المؤلفين، ٢٦٦/١١، ابن العماد: شذرات الذهب، ١٠/٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧٣/١٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢٠٣/٥، البغدادي: هدية العارفين، ٧٩/٢، زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي.

خَمَدُ بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عبد الله قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الثقة بالله تعالى:

* السخاء بالموجود.
* وترك القلب للمفقود.
* والاستنامة إلى فضل الموجود.

ومن باب الجوع

ما حدَّثنا به البكريّ، وعبد الوهاب.

قال عبد الوهّاب: ثنا عبد الكريم، ثنا أبي قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: سمعت ابن رشيق يقول: سمعت أبا دجانة يقول: سمعت ذا النون يقول: لا تسكن الحكمة معدة مليئة طعاماً.

أخبرنا أبو الثناء محمود اللبان، ثنا ابن خميس قال: قال ذو النون:

ما شبعت من الطعام إلاّ عصيت أو هممت بمعصية.

ومن باب القناعة

خرّج ابن خميس في كتاب «مناقب الأبرار» عن ذي النون أنه قال:

من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على إخوانه.

ومن باب الصمت

حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن قاسم، ثنا المسعودي، ثنا الغانمي، ثنا الأستاذ عبد الكريم بن هوازن قال: قيل لذي النون: من أَصْوَنُ الناس لنفسه؟

قال: أملكهم للسانه.

ومن باب اليقين

ما حدَّثنا به عبد الوهّاب بن علي بن علي ببغداد، ثنا ابن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، حدثني أبي قال: سمعت محمد بن الحسين قال: سمعت أبا العباس البغدادي يقول:

سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام اليقين:

- قلة المخالطة للناس في العشرة.
- وترك المدح لهم في العطية.
- والتنزه عن ذمهم عند المنع والرويّة.

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام يقين اليقين:

- النظر إلى الله تعالى في كل شيء.
- والرجوع إليه في أمر.
- والاستعانة به في كل حال.

أخبرنا البكري عبد الوهاب. قال عبد الوهاب: ثنا ابن عبد الكريم عن أبيه، عن محمد بن الحسين، عن أبي العباس البغدادي، عن ابن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال:
اليقين داع إلى قِصَرِ الأمل.

ومن باب الصبر

ما حدَّثنا به يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الصبر:

- التباعد عن الخلطاء في الشدّة.
- والسكون عليه مع تجرع غصص البليّة.
- وإظهار الغنى مع طول الفقر بساحة المعيشة.

أخبرنا أبو الخير أحمد بن إسماعيل إجازة، ثنا أبو الفرج عبد الوهاب بن شاه، ثنا عبد الحميد البحتري، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلمي قال: سمعت علي بن سعيد يقول: سمعت أحمد بن

علي بن هارون البرذعي يقول: سمعت أبا عليّ الخرقي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: وقيل له: أيُّ الناس أقرب إلى الكفر؟

قال: ذو فاقة لا صبر له.

ولمَّا كان الصوم نصف الصبر كما جاء في الخبر، ألحقته بهذا الباب.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا محمد بن أحمد البغدادي، ثنا أبو محمد عبد الله ابن سهل قال: قلت لذي النون: متى يتم صومي؟ وفي حديث ابن خميس: «ويتبين لي موضع القبول».

قال: إذا جوعت نفسك من البغضاء ما يذل المعاصي، وأمتَّ لسانك من الفحشاء.

وخرّج الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في رسالته عن ذي النون أنه قال:

الصبر: التباعد عن المخالفات.

وذكر مثل حديث يونس وقال: قال ذو النون:

الصبر هو الاستعانة بالله.

ومن باب الشكر

ما حدَّثنا به أبو الفرج عبد الرحمن بن علي إجازة ولم ألحقه فإني دخلت بغداد بعد موته رحمه الله قال: أنبأنا أبو بكر بن حبيب العامري، أنبأنا ابن أبي صادق، أنبأنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال: سمعت فارساً البغدادي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

«من لم يعْرِف قدر النِّعم سُلِبها من حيث لا يعلم».

أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ إجازة، ثنا المحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: ثنا حمدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الشكر:

- المقاربة من الإخوان في النعمة.
- واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية.
- واستقلال الشكر لملاحظة المنّة.

ومن باب التقوى

ما حدثنا به أبو الثناء محمود اللبان، أبو عبد الله بن خميس تاج الإسلام بسنده إلى ذي النون.

قال ذو النون: التَّقِي الذي لا يُدَنِّس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفاً مع الله تعالى موقف الاتفاق ثم أنشد:

ولا عيش إلا مع رجالٍ قلوبهم — تحن إلى الشكوى وترتاح للذكر

أخبرنا: عبد الرحمن بن عليّ بن حبيب العامري أبو بكر، أنبأنا ابن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه. قال: سمعت بكر بن أحمد يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

ما خلع الله عز وجل على عبدٍ من عبيده خلعة أحسن من العقل، ولا قلده قلادةً أجمل من العلم، ولا زيّنه زينة أفضل من الحلم، وكمال ذلك كله التقوى.

أخبرنا: يونس بن يحيى، أنبأنا ابن أبي منصور، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال ذو النون: ثلاثة من أعلام التقوى:

- ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها.
- والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها.
- ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها.

ومن باب الخوف

ما أخبرنا: عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم القشيري عن أبيه قال:

قال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزُلْ عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر أخبرنا أبو بكر بن أبي منصور الغزّال، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الخوف

- الورع عن الشبهات، ملاحظة للوعيد.
- حفظ اللسان مراقبة لنظر العظيم.
- ودمام الكمد إشفاقاً من غضب الحليم.

أخبرنا: يونس بن يحيى ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون: متى أخاف رَبِّي؟

قال: إذا سرّحت بصرك في عظمته، ومثّلت لنفسك أمثال نقمته.

أخبرنا: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي أجازة، أنبأنا المحمدان: بن ناصر، وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال:

سمعت أبا الفضل نصر بن أبي نصر يقول: سمعت عبد الله بن محمد البلاذري[1] يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

قال ذو النون: الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع المحن، إذا ذكرت ذنوبي استشفيت بالدعاء، وإذا ذكرت مولاي استشفيت بالثناء.

ومن باب الرجاء

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الرجاء:

* العبادة بحلاوة القلب.
* والإنفاق في سبيل الله برؤية الثواب.
* والمثابرة على فضائل الأعمال بخالص التنافس وقال: الرجا شفيع المِحَن.

ومن باب الإخلاص

خرّج ابن خميس في كتاب المناقب عن ذي النون أنه قال:

الإخلاص لا يتم إلاّ بالصدق منه، والصبر عليه.

أخبرنا أبو الفرج بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الإخلاص:

* استواء المدح والذم من العامة.

---

(١) (عبد الله بن محمد البلاذري)، لعله يقصد المؤرخ أبو عبد الله البلاذري، وستأتي له ترجمة.

* ونسيان رؤيتهم في الأعمال نظراً إلى الله.
* واقتضاء ثواب العمل في الآخرة بحسن عفو الله في الدنيا بحسن المدحَة.

أخبرنا: عبد العزيز ويونس قالا ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قُرِىءَ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي[1] قال سمعت يوسف بن الحسين يقول:

قال ذو النون: من غُيِّبَ عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من مقاعد الإخلاص.

وبالإسناد:

قال يوسف بن الحسين: سُئل ذو النون يوماً فيما يجد العبد الخلاص قال: الخلاص في الإخلاص فإذا أخلص تخلّص. قيل له: فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك محبة المخلوقين ولا مخافة ذمهم فأنت مخلص إن شاء الله.

ومن روايته في هذا الباب:

ما أخبرنا به عبد العزيز ويونس قال يونس، ثنا ابن ناصر السلامي وقال عبد العزيز، أنبأنا يحيى بن عبد الباقي قال ابن ناصر، وقال يحيى، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أبو الحسن بن أبان، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

قال بعض الحكماء: ما أخلص العبد لله إلا أحب أن يكون في جُب لا يعرف.

وقال ذو النون: الإخلاص ما حفظ من العدوّ أن يفسده. خرّجه القشيري في رسالته.

وأخبرنا عبد الرحمن عن ابن ناصر، عن حَمَدُ، عن أحمد بن عبد الله، عن عثمان بن محمد، عن محمد بن أحمد البغدادي، عن أبي محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون: متى أخلص لله في صلاتي؟ قال:

إذا سكنت معادن الأنوار في قلبك، ونفذ به في ملكوته همك.

ومن باب التواضع

ما أخبرنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

---

(1) (أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح الحافظ الإمام الصدوق، أبو العباس، المصري، نزيل نيسابور، كان ذا رحلة واسعة ومعرفة جيدة. ذهبت كتبه فحدّث من حفظه، وأملى سنين كثيرة، مات رحمه الله سنة ٣٧٦هـ عن خمس وثمانين سنة. انظر: السيوطي: طبقات الحفاظ، ٣٩٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٣/٩٩٥.

ثلاثة من أعلام التواضع:

* تصغير النفس معرفة بالعيب.
* وتعظيم الناس حُرمة للتوحيد.
* وقبول الحق والنصيحة من كل أحد.

أخبرنا أبو الثناء محمود اللّبان بالموصل عن ابن خميس تاج الإسلام بسنده قال: قال ذو النون:

تواضع للخلق في ذات الله إلا لمن يسألك أن تتواضع له فإن سؤاله إياك عون له على التكبر.

أخبرنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن عبد الرحمن المقرئ، يقول: سمعت هلال بن العلاء يقول: قال ذو النون:

«من تطأطأ لقي رطباً ومن تعالى لقي عَطَباً».

أخبرنا يونس أنبأ أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يزيد، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عمر يقول: سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول: سمعتُ ذا النون يقول: وسأله رجل يا أبا الفيض رحمك الله من أراد التواضع كيف السبيل إليه؟ فقال له:

افهم ما ألقي إليك. من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله فإنها تذوب وتصغر، ومن ذهب إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته، ومن أشرف التواضع أن لا ينصر إلى نفسه دون الله.

ومعنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم):

«من تواضع لله رفعه الله» يقول من بذلك بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه لعز الانقطاع إليه.

ومن باب الجُود

ما حدثنا به ابن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام السخاء:

* البذل للشيء مع الحاجة إليه.

* وخوف المكافأة استقلالاً للعطية.

* والحمل على النفس استغناماً لإدخال السرور على الناس.

وبالإسناد:

وقال ذو النون:

الكريم يعطي قبل السؤال فكيف يبخل الكريم بعد السؤال، ويعذر قبل الاعتذار ويعفّ قبل الامتناع، فكيف يطمع في الازدياد.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول:

حرَم الله الزيادة في الدين، والإلهام في القلب، والفراسة في الخلق على ثلاثة نفرٍ:

* على بخيل بدنياه.

* وسخي بدينه.

* وسيء الخلق مع الله.

أخبرنا العماد عن تاج الإسلام قال: قال ذو النون:

ليس بكريم من ذلَّ سائله، وليس بكريم من أعطى على الوسائل، وليس بكريم من أحوجك إلى شفيع.

ومن باب الخُلق

ما أخبرنا به إسماعيل ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ويونس بن يحيى، قال أبو الفرج، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي وقال ابن يونس، ثنا ابن ناصر، وأبو بكر بن أبي منصور، قالوا كلهم ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام حُسن الخُلق:

* قلة الخلاف على المعاشرين.

* وتحسين ما يرد عليه من أخلاقهم.

* وإلزام النفس اللائمة فيما يختلفون فيه كفاً عن معرفة عيوبهم.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا الحافظ أبو

نعيم، ثنا محمد بن محمد قال سمعت أحمد بن عيسى يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول سُئل ذو النون من أدوم الناس عناءً؟ قال: أسوؤهم خُلُقاً.

قيل: وما علامة سوء الخلق قال: كثرة الخلاف.

أخبرنا ابن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي إجازة، أنبأ المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال قرئ على أبي الحسين أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

حرّم الله الزيادة في الدين والإلهام في القلب والفراسة في الخلق على ثلاثة نفر:

- على بخيل بدنياه.
- وسخي بدينه.
- وسيىء الخلق مع الله.

فقال له رجل بخيل بالدنيا عرفناه وسخيٌ بدينه عرفناه، صف لنا سيىء الخلق مع الله:

قال: يقضي الله قضاءً، ويمضي قدراً، وينفد علماً ويختار لعبده أمراً، فترى صاحب سوء الخلق مضطرب القلب في ذلك كله غير راضٍ به، دائماً بشكواه من الله إلى خلقه فما ظنك.

ومن هذا الباب وليس من باب السخاء لمن نظر فيه

أخبرنا: ابن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي عن أبي الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أبو بكر البغدادي، قال: سمعت عبد الله بن سهل البغدادي يقول: سمعت يحيى بن معاذ[1] يقول: قال ذو النون:

حقيقة السخاء أن لا تلوم البخيل في منعه إياك لوماً لأنك إنما لمته واشتغلت به لوقوع ما منعك في قليل، ولو هان ذلك عليك لم تشتغل بلومه ثم أنشأ يقول:

كريم صفو الماء ليس بباخلٍ   بشيءٍ ولا مُهْدٍ ملاماً لباخلِ

---

(١) (يحيى بن معاذ) بن جعفر الرازي الواعظ الذكّار، الارجي الجار، المادح الشكار، القانع الصبار، لزم الحداد توقياً من العناد، واستلذ السهاد تحرياً للوداد، واحتمل الشداد توصلاً إلى الفناء. هكذا أخبر عنه أبو نعيم في الحلية، توفي رحمه الله عندما رجع إلى نيسابور سنة ٢٥٨ هـ. روى الحديث.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ١٠/٥١ ـ ٧٠، ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٤/٧١، الشعراني: **الطبقات**، ١/ ٩٤، القشيري: **الرسالة**، ٢١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢/١٣٨، **تاريخ بغداد**، ١٤/٢٠٨، السلمي: **طبقات الصوفية**، ١٠٧، المناوي: **الكواكب الدرية**، ١/٤٩٦، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٣/٢٣٢، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٢/٤٤٨، طبعة القاهرة ١٩٧٩م.

ومن باب الرحمة

وهو جزء من الباب الذي قبله.

أخبرنا به يونس بن يحيى، عن أبي بكر بن الغزال، عن حمد بن أحمد، عن أحمد بن عبد الله، عن أبيه، عن أحمد بن محمد عن سعيد بن عثمان أنه قال قال: ذو النون:

ثلاثة من أعلام الرحمة للخلق:

- آثروا العقل للملهوفين.
- وبكاء القلب لليتيم والمسكين.
- وفقدان الشماتة بمصائب المسلمين.

ومن باب الفقر

ما حدثنا به عبد الرحمن إجازة، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه، أخبرني أبو الحسن الحنظلي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

دوام الفقر إلى الله مع التخليط أحب إليَّ من دوام الصفاء مع العجب.

وخرج ابن خميس في المناقب

قال قال ذو النون: كان لي صديق فمات وكان فقيراً فرأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: قال لي غفرتُ لك بترددك لهؤلاء السُّفَّل أبناء الدنيا في رغيف قبل أن يعطوك.

ومن باب الابتلاء

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول:

إنما تختبر ذا اليأس عند اللقاء، وذا الأمانة عند الأخذ والعطاء، والأهل والولد عند الفاقة والبلاء، والإخوان عند نوائب القضاء.

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر. ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو ظفر بن حسين الصوفي، ثنا علي بن أحمد الثعلبي، ثنا أحمد بن فارس

الفرغاني قال سمعت علي بن عبد الحميد الحلبي[1] يقول سمعت ابن الفرجي يقول: سمعت ذا النون يقول:

البلاء ملح المؤمن إذا عدم البلاء فسَدَ حاله، ولهذا كان أبو يزيد إذا قدم إليه الخبز يقول إلهي بعثت إليّ الخبز ولم تبعث إليّ بلاء آكله به.

ومن باب قِصَر الأمَل

ما حدثنا به البكري، ثنا هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم، عن جده، عن محمد ابن الحسين، عن البغدادي أبي العباس بن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال:

قِصَرُ الأمل داعٍ إلى الزهد، وقصر الأمل نتيجته اليقين، فإنه من تيقن أن الموت يجري مع الأنفاس، لم يكن له أمل في مستأنف، ومن لم يكن له أمل في مستأنف، لم يرغب في الدنيا.

ومن باب الذكر

ما خرّجه أبو عبد الله تاج الإسلام الحسين بن نصر بن محمد بن خميس في المناقب قال سُئل ذو النون عن الذكر فقال: غيبة الذاكر عن الذكر.

ثم أنشد:

لا لأنّـي أنســاكَ أُكْـثِـرُ ذِكْـرَكَ ... وَلَـكِـن بِـذاكَ يَـجْـري لِـسَـانـي

وذكر أيضاً أنه قال: كل ذاكر ذكر الله عز وجل فالله الذاكر له.

أخبرنا أبو محمد يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون يقول:

من ذكر الله على حقيقة نسي في جنبه كل شيء، ومن نسي في جنب الله، حفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء.

أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ إجازة سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة، ثنا القاسم بن

---

(١) (علي بن عبد الحميد الحلبي) هو علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان الحلبي، الغضائري، وقيل العصائري، له **الأحوال البديعة والأعمال الرفيعة**، كان يعدُّ من الأبدال قال عنه:

«دققتُ باب السّري السقطي، فسمعته يقول: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك عني، فببركة دعائه حججت أربعين حجة ماشياً». توفي رحمه الله سنة ٣١٣هـ.

تنظر ترجمته في: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ١٠/٣٦٦؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١/١٥٣؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٣/٢١٣؛ الجامي: **نفحات الأنس**، ١٦٠؛ السلمي: **طبقات الصوفية**، ٥٢؛ الخطيب: **تاريخ بغداد**، ١٢/٢٩.

الفضل، ثنا أبو عبد الرحمن السُلمي يقول: سمعت عبد الله بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد البلاذري يقول سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول سمعت ذا النون المصري يقول:

من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله تعالى عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء[1].

أخبرنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم بن أحمد يقول: سمعت أبا الفضل الصوفي يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون يقول:

ما طابت الدنيا إلاَّ بذكره ولا طابت الآخرة إلاَّ بعفوه، ولا طابت الجنة إلاَّ برؤيته.

ومن باب الولاية

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا الفضل، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان الخياط قال: قيل لذي النون: ما علامة إقبال الله على العبد؟ قال:

إذا رأيته صابراً شاكراً ذاكراً فذلك علامة إقبال الله.

قيل: فما علامة إعراض الله عن العبد قال: إذا رأيته ساهياً، لاهياً، معرضاً عن ذكر الله فذاك حين يُعرض الله عنه، ثم قال: ويحك كفى بالمعرض عن الله وهو يعلم أن الله مقبل عليه وهو معرض عن ذكره يريد ساهياً عن الصبر لاهياً عن الشكر، وقد عَمَّ جميع الإيمان، فإن الإيمان نصف صبر ونصف شكر.

ومن روايته في هذا الباب

ما حدثنا به عبد العزيز قال ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد قال: سمعت أبا بكر بن شاذان الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: قال الله من كان لي مطيعاً كنت له ولياً فليثق بي وليحكم علي فوعزتي لو سألني زوال الدنيا لأزلتها له.

---

(١) وهذا من طريق آخر، غير الطريق الذي قال به.

ومن باب الأُخُوّة

ما حدثنا به يونس، ثنا ابن ناصر محمد، ثنا حمد بن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال أحمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سألت ذا النون، ما علامة الأخوة في الله قال ثلاث: الصفاء والتعاون والوفاء.

- الصفاء في الدين.
- التعاون في المواساة.
- والوفاء عند البلاء.

ومن باب الإرادة

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن العلاء الصفدي الوزّاق، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، ثنا يوسف بن الحسين ومحمد بن أحمد قالا سمعنا ذا النون يقول: دارت رحى الإرادة على ثلاث:

- الثقة بوعد الله.
- الرجاء.
- ودوام قرع باب الله.

ومن باب الحلم

ما حدثنا به إسماعيل، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد إجازة ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الحلم:

- قلة الغضب عند مخالفة الرأي.
- والاحتمال عن الورى إحباتاً للرب.
- ونسيان إساءة المسيء غفراً عنه واتساعاً عليه.

ومن باب الإسلام والإيمان

ما حدثنا به ابن الأخضر أنبأ أبو بكر بن الغزال، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الإسلام.

* النظر لأهل الملّة.
* وكفّ الأذى عنهم.
* والعفو عند القدرة عن مسيئهم.

وثلاثة من أعلام الإيمان:

* إسباغ الطهارات في المكاره.
* وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها.
* والتوبة عند كل ذنب خوفاً من الإصرار.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن عبد الباقي أبو بكر، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل، قال: قلت لذي النون: متى أؤمن قال:

إذا اشتمل الفرض على أمرك وملكت الطاعة.

ومن باب قوله صلى الله عليه وسلم (أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام)[1]

أخبرنا ابن الأخضر ويونس قالا ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حمدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان. قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الإلظاظ بالله:

* الهرب إليه من كل شيء.
* وسؤال كل شيء منه.
* والإدلال في كل وقت عليه.

الإلظاظ: الملازمة للشيء، والمثابرة عليه يقال: أَلَظَّ بالشيء يلظ إلظاظاً إذا لازمه وثابر عليه.

وقوله (عليه السلام):

---

(١) حديث: (أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام) ومعنى ذلك: الزموه واثبتوا عليه في الدعاء، وأكثروا من ذكره. رواه الترمذي عن أنس، ورواه أحمد بن حنبل، والنسائي والحاكم عن ربيعة بن عامر رضي الله عنهما. أورده السيوطي في جامع الأحاديث، ٢٨/٢ رقم (٣٩٨٣).

«ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام».

يقول: الزموه وثابروا عليه وأكثروا من قوله، كذا فسّره الهروي أحمد بن محمد بن محمد في شرح الغريبين له في باب اللام مع الظاء.

ومن باب الحياء

وبالإسناد قال:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الحياء.

- وزن الكلام قبل التفوّه به.
- ومجانبة ما يحتاج إلى الاعتذار منه.
- وترك إجابة السفيه حلماً عنه.

ومن روايته في هذا الباب

مما رويناه عنه بالإسناد قال ذو النون: الحياء من الله هو ما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم):

«أن لا تنسى المقابر والبلى وأن تحفظ الرأس وما حوى، وأن تترك زينة الحياة الدنيا»(١).

أخبرنا محمد بن قاسم بن عبد الكريم القاسي، الحافظ أبو طاهر السلفي بالإسكندرية، ثنا القاسم بن الفضل الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السُلمي قال: سمعت الفرج الورثاني يقول: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب، يقول: حدثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

الحياء وُجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك.

وخرّج ابن خميس تاج الإسلام في المناقب عن ذي النون أنه قال:

لله عباداً تركوا الذنب استحياءً من كرمه بعدما تركوه خوفاً من عقوبته، ولو قال لك اعمل ما شئت فلست آخذك بذنب لكان ينبغي أن يزيدك كرمه استحياءً من كرمه، وترك المعصية إن كنت حُراً كريماً عبداً شكوراً فكيف وقد حذّرك.

---

(١) حديث الحياء: رواه الترمذي في **القيامة**، ١٧، ٢٤، وأحمد بن حنبل في **مسنده**، ٢٨٧/١، انظر **المعجم المفهرس**، مادة (بلو).

ومن باب الحب في الله والصحبة

ما حدثنا به أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الحب في الله:

* بذل الشيء لصفاء الود.
* وتعطيل الإرادة لإرادة الأخ للسخاء بالنفس.
* والمشاركة في محبوبه ومكروهه بصحة العقد.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي قال: ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن عن أبيه قال: قال ذو النون: لا تصحب مع الله تعالى إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلاَّ بالمناصحة، ولا مع النفس إلاَّ بالمخالفة ولا مع الشيطان إلاَّ بالعداوة.

وبالإسناد:

وقال رجل لذي النون مع من أصحب فقال مع من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا حمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسين أحمد بن محمد بن عيسى الرازي سمعت يوسف ابن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: بصحبة الصالحين تطيب الحياة، والخير مجموع في القرين الصالح، إن نسيت ذكّرك وإن ذكرت أعانك.

ومن باب الصدق

ما حدثنا به يونس بن يحيى عن ابن عبد الباقي، ثنا الفضل، ثنا نعيم، ثنا محمد بن أحمد البغدادي قال: سمعت علي بن محمد قال: قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول:

الصدق سيف الله في أرضه ما وضعه على شيء إلاَّ قطعه.

أخبرنا يونس بالإسناد عن أبي نعيم، ثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

المتصنع يُبدي غير الذي هو به، والصادق لا يبالي على أي جنب وقع.

حدثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حمد بن أحمد،

ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام الصدق:

- ملازمة الصادقين.
- والسكون عند نظر المتفرسين.
- ووجدان الكراهة لاطلاع الخلق على السرائر استقامة على الحق سراً وجهراً لإيثار رب العالمين.

ذكر ابن خميس في المناقب عن ذي النون قال:

قيل له: ما علامة الصادق؟ فقال:

لسان مخزون ولسان بالحق موزون.

وقيل له: هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل؟ فقال:

قَدْ بَقِينَا مُذَبْذَبِينَ حَيَارَى ... نَطْلُبُ الصِّدْقَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَدَعَاوَى الهَوَى تَخِفُّ عَلَيْنَا ... وَخِلافُ الهَوى عَلَيْنَا ثَقِيلُ

وقال أيضاً رضي الله عنه: الصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه.

ومن باب الأدب

ذكر تاج الإسلام أبو عبد الله بن خميس على ما أخبرتنا ابنته بالموصل أن ذا النون المصري قال: إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء، قال: وقال ذو النون أيضاً: أدب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه.

ومن باب الفُتُوَّة

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا ابن نصر، وحمد بن أحمد، ثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام المروءة:

- إطعام الطعام.
- وإفشاء السلام.
- ونشر الحسن.

وقد تقدم في باب محنته حديث ساقي الماء ببغداد.

ومن باب التفرّد والعزلة والخلوة

ما حدثنا به عبد العزيز بن الأخضر، أنبأ أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبو الحسن بن مقسّم، قال: سمعت الحسين بن علي بن خلف يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت رجلاً يسأل ذا النون متى تصح عزلة الخلق فقال: إذا قويت على عزلة النفس.

ولو اعتزل عن نفسه لوصل إلى المطلوب، وما احتاج إلى العزلة عن الخلق.

رُوينا: عن أبي يزيد البسطامي[1] الأكبر أنه قال في بعض مناجاته: يا رب كيف الوصول إليك. فقيل له: اترك نفسك وتعالَ.

ومن اعتزل عن نفسه فقد اعتزل عن كل ما سوى الله، وهو فيهم وبينهم فإنها الحجاب الأقرب، والبرزخ بين الخلق وبين الله.

أخبرنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن ناصر، أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، قال: سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون.

وحدثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا الحسن بن أبي الحسن البصري، ثنا محمد بن يحيى بن آدم[2]، ثنا أبو إسحق إبراهيم الخواص[3] قال: سمعت ذا النون ـ والسياق لإساحق ـ يقول:

لم أرَ شيئاً أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة لأنه إذا خلا لم ير غير الله.

فإذا لم ير غير الله لم يحرّكه إلا خشية الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص،

---

(١) أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان جدّه سروشان مجوسياً فأسلم، كان أبو يزيد، رضي الله عنه من كبار الأقطاب بل كان قطب وقته، وأسند الحديث، كان يقول: العارف الواصل يعبده في الحال، والعابد يعبده بالحال، توفي رضي الله عنه سنة ٢٦١هـ وقيل غير ذلك.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣٣/١٠، القشيري: **الرسالة**، ١٧، الشعراني: **الطبقات**، ٨٩/١، ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٨٩/٤، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١٤٣/٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٣٥/١١، السلمي: **الطبقات**، ٦٧، المناوي: **الكواكب الدرية**، ٤٤٢/١، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٤٤٩/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩.

(٢) (محمد بن يحيى بن آدم) لم أقف على ترجمة محمد أما أبوه فهو يحيى بن آدم بن سليمان أبو زكريا الكوفي. انظر ترجمته في **طبقات المفسرين**، ٣٦٢/٢.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص المتبتل المتوكل، صاحب الحال المشهور والذكر المنشور، كانت له أقوال عالية وأحوال سنية، توفي سنة ٢٩١هـ.

انظر ترجمته في: الشعراني: **الطبقات**، ٨٣/١، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣٢٥/١٠، السلمي: **طبقات الصوفية**، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٨٠/٤.

واستمسك بركن كبير من أركان الصدق. انتهى حديث عبد الرحمن إلى قوله بعمود الإخلاص والذي بعده من حديث يونس وقال عبد الرحمن حكم ولم يقل خشية، وقال يونس خشية وهو أَبْيَن وحُكْم أَفْقَه.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي تصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين، وذكر بمثل حديث إسرافيل في أول الباب.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام الانقطاع إلى الله تعالى:

- تقويم العلم.
- وتلقين الحلم.
- وتاليك الفهم.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي سمعت يوسف بن الحسين يقول قلت لذي النون: دُلَّني على الطريق الذي يؤديني إلى الله عز ذكره فقال: من أنِس بالخلوة فقد استمكن من بساط الفراغ.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال:

قلت لذي النون: متى أستحق ترك الجمع؟

يعني: العزلة عن الخلق، والتفرد بالله.

قال: إذا عرفت أنك منقول إلى مَعاد فإنك مأخوذ بتَبِعات العباد.

بالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، أخبرنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه وقد رأيته، وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: سمعت عبد الله بن محمد بن ميمون بن محمد قال: سمعت ذا النون يقول:

التفرد بالله الانقطاع إليه من كل شيء سوى الله. وفي هذا تنبيه على الأسماء حيث قال: سوى الله ولم يقل سواه.

ومن باب العطْف

ما حدثنا به أبو الفرج إجازةً، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

من المحال أن يحسن منك الظن، ولا يَحسُن منه المن.

ومن باب الحياة

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا ابن ناصر وابن أبي منصور قالا: ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة عن سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الحياة:

- وجدان الأنس بفقدان الوحْشة.
- والامتلاء من الخلوة بإدمان التذكر.
- واستشعار الهيبة بخالص المراقبة.

ومن باب الغِنى

وبالإسناد:
قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الاستغناء بالله:

- التواضع للفقراء المتذللين.
- والتعظيم على الأغنياء المتكثرين.
- وترك المحاضرة لأبناء الدنيا المتكبرين.

ومن باب التسليم

وبالإسناد:
قال ذو النون: ثلاثة من أعلام التسليم:

- مقابلة القضاء بالرضا.
- والصّبر عند البلاء.
- والشكر عند الرخاء.

ومن باب الرضا

وبالإسناد:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الرضا:

* ترك الاختيار قبل القضاء.
* وفقدان المرارة بعد القضاء.
* وهيجان الحب في حشو البلاء.

وحدثنا به أيضاً عبد الوهاب بن علي، عن ابن عبد الكريم عن أبيه، خرّجه في الرسالة له.

ومن باب المراقبة

ما حدثنا به محمد بن قاسم والمسعودي بمصر، والغانمي، والأستاذ عبد الكريم قال:

قال ذو النون: علامة المراقبة:

* إيثار ما آثر الله تعالى.
* وتعظيم ما عظَّم الله سبحانه.
* وتصغير ما صغَّر الله.

ومن باب الهيبة والأنس

ما حدثنا به عبد العزيز بن الأخضر، ثنا ابن عبد الباقي أبو بكر، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الأُنس بالله تعالى:

* استلذاذ الخلوة.
* والاستيحاش من الصحبة.
* واستحلاء الوحدة.

وبالإسناد:

وعن سعيد قال: قيل لذي النون: يا أبا الفضل ما علامة الأنس بالله قال:

إذا رأيته يؤنسك بخُلُقه، فإنه يوحشك من نفسه، وإذا رأيته يوحشك من خلقه، فإنه يؤنسك من نفسه.

وبالإسناد:

وقال سعيد قيل لذي النون: متى يأنس العبد بربّه قال:

إذا خاف آنس به، أما علمتم أنه من واصل الذنوب نُحّي عن باب المحبوب.

وبالإسناد:

قال سمعت ذا النون يقول:

المستأنس بالله في وقت استئناسه يستأنس بجميع ما يرى، ويسمع، ويحسُّ به في ملك ربه ويستأنس بالذر فما دونه ويهابه. قال:

قال عبد الله بن خلف: ذكرت ذلك لأحمد بن أبي الحوّاري[1] فقال: صدق أبو الفيض كذلك أيضاً حال المحب كمال المستأنس لأنه لا يقع بصره على مُلك محبوبه على شيء إلا كان حب المحبوب موجود فيه. ذكر هذا ابن باكويه الشيرازي.

وبالإسناد:

عن محمد بن عبد الله أنبأنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وقد رأيته.

وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال: سمعت عبد الله بن محمد بن ميمون قال: سمعت عبد الله بن محمد سمع ذا النون يقول:

الأنس بالله من صفاء القلب مع الله.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت العباس بن يوسف يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

من آنس بالخلوة فقد استمكن من بساط الفراغة.

---

(١) (أحمد بن أبي الحوّاري) كنيته: أبو الحسن، وأبو الحواري اسمه ميمون، من أهل دمشق. صحب أبا سليمان الداراني، وغيره من المشايخ مثل سفيان بن عيينة، وغيره أسند الحديث، وكان من كبار الصوفية في عصره ورعاً وزهداً. مات رضي الله عنه سنة ٢٣٠هـ. كان يقول: (من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحُبٌّ لها، أخرج الله نور اليقين من قلبه).

انظر ترجمته في: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٥/١٠، ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ١٢/٤، الشعراني: الطبقات الكبرى، ١/ ٩٦، القشيري: **الرسالة**، ٢١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١١/٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٣٤٨/١٠، السلمي: **طبقات الصوفية**، ٩٨، المناوي: الكواكب الدُّرّية، ٣٥٢/١.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، بن محمد، بن علي بن محمد، قال: قال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول:

أدنى منازل الأُنس أن يُلقى في النار فلا يغيب همه عن مأموله.

وذكر ابن خميس عن ذي النون أنه قال: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالخلق همّ واقع.

ومن باب حسن الظن

قال ذو النون: مُحال أن تحسن ظنك بالله تعالى؛ ولا تحسن منته عليك.

قال الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[1].

حدثنا يونس بن يحيى قال: ثنا ابن ناصر ويحيى بن أبي منصور قالا: ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا سعيد الخياط قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام حسن الظن بالله:

- قوة القلب في العثرة.
- وفسحة الرجاء في الذلة.
- ونفي الأياس بحسن الإنابة.

وذكر تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر من رواية ذي النون في هذا الباب قال: قال ذو النون:

كان في جواري شاب مُشرفٌ على نفسه كثير الخطايا فاعْتَلَّ عِلَّةً فَدَخلْتُ عليه أعودُه فإذا هو قد مات وأوصى أن يكتب على قبره شيءٌ ذكرهُ فرأيته في منامي، فقلت: له، ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي. فقلت: بماذا؟

---

(١) حديث (أنا عند ظن عبدي بي)، رواه البخاري في كتاب التوحيد باب (ويحذركم)، وأخرجه مسلم بثلاث طرق عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي باب حسن الظن بالله وقال: حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجة في سننه ٢١٨/٢ باب فضل الذكر، وباب في فضل العمل ٢٢٣/٢ وشرحه القسطلاني.

انظر الأحاديث أرقام (٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١)، من الأحاديث القدسية ٦٢/١، ورواه الطبراني في **الأوسط**، وأبو نعيم في **الحلية**، وابن عساكر كلهم عن واثلة رضي الله عنه هكذا أورده السيوطي في **جامع الأحاديث**، تحت رقم (٥٦٤٠)، ٣٥٥/٢، وتحت رقم (٦٩٣٧)، ٦٢٢/٢.

فقال: فكرت في جُرْمي في عفوه فوجدت عفْوه أكبر من جرمي.

قال ذو النون: فلما أصبحت جئت إلى قبره فإذا عليه مكتوب:

حُسْنُ ظَنّي بِكَ يَا رَبّاهُ جَرَّأَني عَلَيْكَ فارْحَمِ اللَّهُمَّ عَبداً صَارَ رَهْناً فِي يَدَيْكَا

ومن باب المحبة والود

ذكر تاج الإسلام عن ذي النون من حديث يوسف بن الحسين قال يوسف:

كنت عند ذي النون فجاءه رجل وقال له: رأيت أبا يزيد البسطامي فقيل له: أنت أبو يزيد فقال: ومن أبو يزيد يا ليتني رأيت أبا يزيد فبكى ذو النون وقال: إن أخي أبا يزيد فقد نفسه في حب الله تعالى؛ فصار يطلبها مع الطالبين لها.

هذا من باب الفناء في المحبة لا في الحبيب لأن الفناء في الحبيب مشاهدة وبهت ليس فيها طلب وقلبه مع الحبيب ونفسه في المحبة.

وذكر تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال:

الحب ينطق، والحياء يُسْكت، والخوف يقلق، والمحب بين هذه الثلاثة، هالك. وهذا من باب تعب المحب.

وأما ما يتعلق بحزن المحبة

فما ذكره تاج الإسلام جاء رجل إلى ذي النون فقال له: ما بال المحزون إذا تكامل حزنه لا تجري دمعته فقال:

إذا رقَّ سلا والله أحمد شجا ثم أطرق ورفع رأسه وأنشد يقول:

إذَا رَقَّ قَلْبُ المَرْءِ دَرَّتْ جُفُونُه دموعاً له فيها سُلوٌّ مِنَ الكَمَدِ

وإنْ كَتَمَ الأَشْجَانَ مِنْ طُولِ حُزْنِهِ عَلاهُ اصْفِرارُ اللَّوْنِ في الوَجْهِ والجَسَدِ

وأحمد حَالَ الخَائِفِينَ مقامُهم على كمدٍ يضني النفوس مع الكبدِ

لَعَمْرُكَ مَا لَذَّ المُطِيعِينَ لَذَّةٌ أَلَذُّ وأَحْلَى مِنْ مُنَاجَاةِ مُنْفَرِدِ

وذكر تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال: كل محبٍ أحبه الله تعالى: فالله هو المحب له.

ومن كلامه في دلائل الحُبّ

ما حدثنا به عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن قال: ثنا أبي قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت محمد ابن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

من علامات المُحب لله:

* متابعة حبيب الله (صلى الله عليه وسلم) في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسُننه.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُم اللَّه﴾[1].

أي قل: يا محمد.

أخبرنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي بمكة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة سنة تسع وتسعين وخمس مائة، ثنا ابن الغزال أبو بكر، قال ثنا حمد بن أحمد بن الحداد، قال ثنا الحافظ أبو نعيم، قال ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الخياط قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام المحبة:

* الرضا في المكروه.
* وحسن الظن به في المجهول.
* والتحسين في الاختيار في المحدود.

ومن كلامه في عِز المحب واستغنائه بمحبوبه

أخبرنا ابن الأخضر عن ابن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول (رحمة الله عليه):

قل لمن أظهر حب الله، احذر أن تذل لغير الله، ومن علامة المحب لله، أن لا تكون له حاجة إلى غير الله، هذا من باب الغيرة.

ومن كلامه في الفرق بين الود والحب

حدثنا ابن اسماعيل، ثنا أبو الفرج إجازة، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

الحب لله عام، والود لله خاص. لأن كل المؤمنين يذوقون حبه وينالونه وليس كل مؤمن ينال وِدَّه.

وأنشدنا يقول:

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم (٣١).

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ الوِدَادِ جَفَا جَمِيعَ العِبَادِ ... وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الودادِ قَلَى لَذِيذَ الرُّقَادِ
وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الوِدَادِ شَكَا طَرِيقَ البُعَادِ ... وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الوِدَادِ آنَسَ بِرَبِّ العِبَادِ

وبالإسناد:

عن عثمان قال: سمعت أحمد بن عبد الله بن سليمان الدمشقي[1] يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن خلف بن ضوء الرَّقّي يقول: سمعت اسحاق بن إبراهيم بن عبد الله الصوفي يقول: سُئل ذا النون المصري عن المحبة فقال: هي التي لا يَزيدُها منفعة ولا يُنقِصُها مَضَرّة.

ثم أنشأ يقول:

شَوَاهِدُ أَهْلُ الحُبِّ بَادٍ دَلِيلُهَا ... بِأَعْلَامِ صِدْقٍ مَا يَحِيلُ سَبِيلُهَا
جُسُومٌ قَدْ أَضْنَاهَا المَحَبَّةُ والرِّضَا ... يَبِينُ عَنْ صِدْقِ الوِدَادِ نُحُولُهَا
إِذَا بَاحَتِ الأَفْهَامُ أُنْسَ نُفُوسُهُم ... بِأَلْسِنَةٍ تَخْفَى عَلَى النَّاسِ قِيلُهَا
وَضَجَتْ نُفُوسُ المُسْتَهَامِينَ فَاشْتَكَتْ ... جَوى كَادَ عَنْ أَجْسَامِهَا يَسْتَزِيلُهَا
يَحِنُّونَ حُزْناً ضَاعَفَ الخَوْفُ شَجْوَهُ ... وَنِيرَانُ شَوْقٍ كَالسَّعِيرِ غَلِيلُهَا
وَسَارُوا عَلَى نُجُبِ الرَّشَادِ إِلَى العُلَى ... يَزُمُّ بِهِمْ تَقْوَاهُ إِذْ هُوَ دَلِيلُهَا
فَحَطُّوا بِدَارِ القُدْسِ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ ... وَفَازَ بِزُلْفَى ذِي الجَلَالِ حُلُولُهَا

أخبرنا يونس بن يحيى ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا الحافظ، ثنا محمد بن أحمد البغدادي. حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون: متى يتم حبي لربي؟

قال: إذا شجت الدنيا في عينك وقذفت أملك فيها بين يديك. هذا زُهْدُ المحبّة لا زُهْدُ العِوَض.

قلت: فمتى أحب ربي؟

قال: إذا كان ما أسخطه عندك أمرّ من الصبر، وهذا أيضاً من استعذاب البلاء للمحبة لا لغيرها.

قلت: فمتى أحب لقاء ربي؟

قال: إذا كنت تقدم على حبيب وتصير عن أمر قريب، هذا من باب فرح المحبة.

---

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان الدمشقي، الرازي القطان، روى عن محمد بن عبيد الطنافسي، وروى عنه أبو القاسم أيوب ابن سليمان بن داود الرازي.
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد، ٢١٥/٤، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ٨٧.

قلت: فمتى أُوثر الله ولا أُوثر عليه سواه؟

قال: إذا أبغضت فيه الحبيب، وجانبت فيه القريب، هذا من إيثار المحبة لا غيرها.

قلت: فمتى أفزع إلى ذكره وآنس بشكره؟

قال: إذا سُرِرْتَ ببلائه وفرحت بنزول قضائه، هذا ذكر المحبة وأنسها.

أخبرنا ابن الأخضر عبد العزيز، يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري[١]، ثنا الحسن بن رشيق، ثنا علي بن يعقوب ابن شويد الوراق[٢]، ثنا محمد بن إبراهيم البغدادي، ثنا محمد بن سعيد الخوارزمي[٣] قال: سمعت ذا النون سئل عن المحبة: فقال:

«أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين، واتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الدين.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي، ثنا ابن عبد الكريم، ثنا أبي قال: قال بعضهم كنا عند ذي النون فتذاكرنا المحبة فقال ذو النون:

كُفُّوا عن هذه المسألة لئلاً تسمعها النفوس فتدعيها.

ثم أنشأ يقول:

الخوْفُ أوْلى بالمُسِيءِ إذا تألَّه والحزَنْ ... والحبُّ يَحْمِل بالتُّقى وبالنَّقى مِنَ الدَّرَنْ

ومن باب الشوق

ذكر تاج الإسلام قال: ذُكر الشوق عند ذي النون فقال:

الشوق لا يسكن جارحة إلا تركها رميماً ثم قال: ولقد حدثت امرأة من أهل الموصل كانت تقول: كلَّ لساني عن ذكر كل شيء خالطه غيرك. ثم تنفس ذو النون فقال:

---

(١) محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري، هو نفسه أبو عبد الرحمن السلمي وتقدمت ترجمته.

(٢) علي بن يعقوب بن سُوَيْد الوَرّاق، قال ابن عبد البر: ينسبونه إلى الكذب، وقال الذهبي: هو شيخ مصري حدّث عنه الحسن بن رشيق، قال أبو سعيد بن يونس: كان يضع الحديث.

انظر: الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ٢٤١/٣، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ١٨.

(٣) (محمد بن سعيد الخوارزمي) المحدث الإخباري، من آثاره: أخبار خوارزم، توفي رحمه الله سنة ٣٦٩هـ.

انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٩/١٠، الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ١٠٤/٣.

ما العيش عندي إلا عيش المشتاقين، لأنهم ما داموا محبين مجردين عن لباس الشوق فهم مكدودون حتى إذا تدرعوا خِلع الشوق طاشت همومهم ورتعوا في رياض السرور ورفعت عنهم المكابدات فعاشوا بروح الله في أعظم القدر.

أخبرنا يونس بن يحيى بمكة، ثنا ابن ناصر، ثنا أبو الفضل، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الشوق:

* حُبُّ الموت مع الراحة.
* وبُغض الحياة مع الدَّعة.
* ودوام الحزْن مع الكِفَاية.

أخبرنا ابن اسماعيل، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال:

قلت لذي النون: متى أشتاق إلى ربي؟

قال: إذا جَعلت الآخرة لك قراراً ولم تشم الدنيا لك مَسْكناً وداراً.

ومن باب السماع

ما حدثنا به محمد بن عبد الكريم، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر، يقول: سمعت أحمد بن محمد بن يعقوب يقول: سمعت محمد بن عبد الله الخواص يقول سمعت ذا النون يقول وسئل عن السماع فقال:

رسول حق جائر يزعج إلى حق فمن [أصْغى](١) إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد، ثنا ابن عبد الكريم، عن أبيه، قال: قال ذو النون، وقد سئل عن الصوت الحسن: هو مخاطبات وإشارات أودعها الله كل طيب وطيبة.

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

عبد الله القرشي، ثنا محمد بن خلف قال: سمعت إبراهيم بن عبد الله الصوفي يقول: سئل ذا النون عن سماع العظة الحسنة والنعمة الطيبة.

فقال من أمير العين في مقاصير قدس بألحان توحيد في رياض تمجيد بمطر باب الغواني في تلك المغاني المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[1].

ثم قال: هذا طعم الخبر فكيف طعم النظر.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل، ثنا الحافظ، ثنا عثمان بن محمد. قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: بحُسن الصوت تستمال أعِنّة الأبصار.

ومن باب الوجود

أنبا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام الصواب:

* الأنس به في جميع الأحوال.
* والسكون إليه في جميع الأعمال.
* وحب الموت بغلبة الشوق من جميع الأشغال.

ومن باب الكمال

وبالإسناد:

قال: وثلاثة من أعلام الكمال:

* ترك الجولان في البلدان.
* وقلة الاغتباط للعمل عند الامتحان.
* وصغر النفس في السر والإعلان.

ومن باب الحكم

قال ذو النون: إن الله أنطق اللسان بالبيان، وأفتحه بالكلام وجعل القلوب أوعية العلم، ولولا ذلك لكان الإنسان بمنزلة البهيمة يومئ بالرأس ويشير باليد.

(١) سورة القمر، الآية رقم (٥٥).

ذكر ذلك ابن خميس

وأخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام الحكمة:

- إنزال النفس من الناس منزلتها عندهم.
- وإنزال الناس من النفس كما ظنهم.
- ووعظهم على قدر عقولهم ليقوموا عنه بنفع حاضر.

قوله: كما ظنهم يقول: كما هم عند أنفسهم طلباً للسلامة ورغبة في الاستمكان منهم، فيورثك ذلك تعظيماً في قلوبهم يوجب لك التحكم فيهم.

أخبرنا البكري، وعبد الوهاب قال عبد الوهاب عن ابن عبد الكريم عن أبيه، عن محمد بن الحسين، عن أبي العباس البغدادي عن ابن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال:

الحكمة تورث النظر في العواقب.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي.

قال: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول:

سمعت النقاش. يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول: من جهل قدره هتك ستره.

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد قال: سمعت ذا النون يقول: أكثر الناس إشارة إلى الله في الظاهر أبعدهم من الله، وأرغب الناس في الدنيا وأخفاهم له طلباً أكثرهم لها ذمّاً عند طُلاّبها، ولا سيما إذا ذمت الدنيا حرقة لها.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن أحمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

من وُجِدَ فيه خمس خصال رَجَوْتُ له السعادة، ولو قبل موته بساعةٍ. قيل: وما هي؟ قال:

- استواء الخلق وخفة الروح.

* وغزارة العقل.

* وصفاء التوحيد.

* وطيب المؤلد.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسّم، ثنا الحسن بن علي بن خلف[١] قال: سمعت إسرافيل يقول سمعت ذا النون يقول ـ وقد وقف عليه رجل فسأله شيئاً فقال له ذو النون ـ:

إن المتكفل برزقك غير مبهم عليك.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، ثنا عمر بن بجير الأسدي[٢]، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا[٣] قال: قال بعض المتعبدين هو عبد الصمد صاحبه.

ذكر ذلك تاج الإسلام.

وأخبرنا أبو الثناء محمود، ثنا تاج الإسلام وكل واحد يريد على صاحبه قال ابن خميس يقال إن هذا عبد الصمد[٤] كان من الأبدال فقال عبد الصمد: يا أبا الفيض رحمك الله، وقال

---

(١) الحسن بن علي بن خلف القابسي، ولد يوم ٦ رجب سنة ٣٢٤هـ وتوفي رضي الله عنه سنة ٤٠٣هـ. ترك عدداً من المؤلفات الهامة في الفقه منها: الملخص لما في الموطأ، وأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين.

انظر ترجمته في بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، ٢/٢٣٠، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣/١٦٨، **طبقات الحفاظ**، ٤/٢٧٩، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ترجمة رقم ٤١٩.

(٢) عمر بن بجير الأسدي هو: أبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهمذاني السمرقندي محدث ما وراء النهر، وصاحب الصحيح والتفسير. ولد سنة ٢٢٣هـ وكان والده صاحب حديث ورحلة كان ابن بجير فاضلاً، توفي سنة ٣١١هـ قبل صلاة الفجر.

انظر الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢/٧١٩، الداودي: **طبقات المفسرين**، ٢/٩، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٣/٢٠٩.

(٣) (أبو بكر بن أبي الدنيا) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي مولاهم، البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا (أبو بكر) الحافظ، المحدث، المشارك في أنواع من العلوم سمع سعيد بن سليمان، وخلف بن هشام البزار، وروى عنه محمد بن خلف المرزبان، ووكيع وغيرهم، توفي ببغداد سنة ٢٨١هـ ترك عدداً كبيراً من المؤلفات مثل الفرج بعد الشدة، وقيام الليل، ومكارم الأخلاق وغيرها.

انظر ترجمته في: كحالة: **معجم المؤلفين**، ٦/١٣١، الخطيب: **تاريخ بغداد**، ١٠/٨٩، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢/٦٧٧، المسعودي: **مروج الذهب**، ٤/، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٣/٨٦، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١/٧١، المزي: **تهذيب الكمال**، ١٠/٥٠٤ ترجمة رقم (٣٥٢٥).

(٤) عبد الصمد لم أقف عليه.

أبو الفرج في حديثه: كنت مع ذي النون المصري بمكة، فقلت له: يرحمك الله لِمَ يفطر الحاج في مكة؟

قال: لأنهم أضياف الكريم، والكريم لا ينزل ضيفه جياعاً، يريدُ يوم عرفة، وكذلك قال له: فلِمَ كره الصوم أيام التشريق؟

قال: لأن القوم زاروا الله وهم في ضيافته ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من أضافه.

قوله: زاروا الله، يعني طواف الزيارة.

فقال له: فلِمَ يتعلق الناس بأستار الكعبة؟

فقال: هذا مثل السيد يكون عليك غضبان، فإذا ركب أخذت بطرف ثوبه أو بحقويه حتى يرضى فجعلت الكعبة وأستارها مثلاً للسيد.

وقال أبو الفرج في حديثه: هو مثل الرجل يكون بينه وبين أخيه جناية فيتعلق بثوبه ويستحذي له ويتضرع إليه ليهب له جُرمه وجنايته.

ثم قال له: يا أبا الفيض فلِمَ يطوف الناس حولها؟

فقال له: مثل لما قالت الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾[1].

فكأنه كان اعتراضاً ثم ندمت على ما قالت فاجتمعت الملائكة وطافت حول العرش فلم تزل تدعو وتتضرع حتى جاءها العفو من الله تعالى.

قال ابن عباس فأمر الله عزّ وجلّ جبريل فقال: ابن لي بيتاً في الأرض، لأن في بني آدم من يجني الجنايات فإذا عصوا وجنوا طافوا حول بيتي في الأرض فيتضرعون ويستغفرون ويتملقون أغفر لهم وأعفو عنهم كما عفوت عن الملائكة المقربين.

قال له: لِمَ صير الموقف بعرفة بالحل ولم يجعل بالحرم؟

فقال: لأن الكعبة بيت الله الحرام والحرام حجابه وعرفة بابه فلما أن قصد الوافدون أوقفهم بالباب الأول، يتضرعون إليه حتى إذا أذن لهم وقفهم بالحجاب الثاني، هو المزدلفة. فلما نظر إلى تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم: فلما قربوا قربانهم وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم حجاباً دونه أمرهم بزيارة بيته على الطهارة.

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٣٠).

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت أبا الفضل يقول: سمعت أبا عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

إن الله لم يمنع الجنة أعداءه بخلاً ولكن صان أولياءه الذين أطاعوه لئلا يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا محمد بن عبد الملك بن هاشم. قال: سُئل ذو النون: ما لنا لا نقوى على النواقل؟

قال: لأنكم لاتصححون الفرائض.

وبالإسناد:

وقيل له: من أدوم الناس ذنباً؟

قال: من أحب دُنيا فانية.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان وابن محمد بن عيسى الرازي. قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: حُرمةُ الجليس أن تَسُرَّهُ فإن لم تسره فلا تسوءه. لِمَ يكسب محبة الناس في هذا الزمان إلا دجان خفيف المؤنة عليهم وأحسن القول فيهم وأطاب العشرة معهم.

وبالإسناد:

قال ذو النون:

صدور الأحرار قبور الأسرار.

وبالإسناد:

سُئل ذو النون:

لِمَ أحب الناس الدنيا؟ أرزاقهم فمدُّوا أعينهم إليها[1].

---

(١) لعل السؤال هنا (لم أحب الناس الدنيا؟) والإجابة: (نظروا إلى قلّة أرزاقهم فمدُّوا أعينهم إليها).

وبالإسناد:

قال: سمعته يقول: الكيِّسُ من بادر بعلمه، وسوَّف لأمله واستعد لأجله.

ومن باب المعرفة والمعارف

ما ذكره ابن خميس عن ذي النون أنه قال:

سبحان من حجب أهل المعرفة عن جميع خلقه، حجبهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وعن أبناء الآخرة بأستار الدنيا.

وحدثنا أبو الثناء قال أنبأ تاج الإسلام بسنده إلى ذي النون أنه قال:

نظرت في هذا الأمر فنظرت رأس الدين أن يعرف المرءُ نفسه، ونظرت فإذا معرفة الله تعالى أن يعرف العبد قدره، ونظرت فإذا أحد لا يصل إلى الله وعليه من غيره بقية.

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو بكر بن عبد الله الرازي المذكر بنيسابور قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري رحمة الله عليه يقول:

تنال المعرفة بثلاث:

- بالنظر في الأمور كيف دبَّرها.
- وفي المقادير كيف قدَّرها.
- وفي الخلائق كيف خلقها.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي ثنا ابن عبد الكريم عن أبيه عبد الكريم بن هوازن قال: سئُل ذو النون المصري عن نفسه فقال:

من لا يعرف الله ولا يتعرفه.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان الخياط قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام المعرفة:

- الإقبال على الله.
- والانقطاع إلى الله.
- والافتخار بالله.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: العارف متلوث الظاهر، صافي الباطن، والزاهد صافي الظاهر متلوث الباطن.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

لو أن الخلق عرفوا ذُل أهل المعرفة في أنفسهم عند أنفسهم لحثوا التراب على رؤوسهم وفي وجوههم.

وقال رجل مريد كان حاضراً في المجلس فذكرت ذلك لطاهر المقدسي[1] فقال: سقى الله أبو الفيض حقاً ما قال ولكني أقول: لو أبدى الله نور أهل المعرفة للزاهدين والعابدين والمحجوبين عنه بالأحوال لاحترقوا واضمحلوا وتلاشوا حتى كأن لم يكونوا.

قال الرجل: فذكرت ذلك لأحمد بن أبي الحواري[2]، فقال: أما أبو الفيض عافاه الله فقال ذلك في وقت ذكره لنفسه، وأما طاهر فقال ذلك في وقت ذكره لربه، وكل مصيب والله أعلم.

وما أحسن ما فصّل ابن الحواري ولقد جرى لنا قريباً من هذه الحكاية، أعني من حالها في بدء أمري وذلك أني دخلت بإشبيلية على شيخنا أبي العباس العريبي رحمه الله.

فقال لي: يا بني عليك بربك، فخرجت من عنده مثل السكران من طيب إشارته أتمايل، ودخلت على شيخنا أبي عمران موسى بن عمران المارتلي[3] بمسجد الرضا فسلمت عليه

---

(١) (طاهر المقدسي) من جلة مشايخ الشام وقدمائهم، رأى ذا النون المصري، وصحب يحيى الجلاء، وكان عالماً، وهو الذي يسميه الشبلي حبر أهل الشام، تكلم في التصوف فقال: الاستشراف عن الحق بلوائح الوجد، والكشف لها بشمائل الفقد. وقال: حد المعرفة التجرد من المعلوم [illegible]. انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٠/٣١٧، الشعراني: الطبقات الكبرى، ١/٢٠٧، السلمي: طبقات الصوفية، ٢٧٥، الجامي: نفحات الأنس، ٤٤٣، المناوي: الكواكب الدرية، ١/٥٦٩.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عمران موسى بن عمران المارتلي، أثبته كحالة في **معجم المؤلفين** (المارتلي)، توفي رحمه الله سنة ٦٠٤هـ وترك من المؤلفات ديواناً من الشعر.
انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٣/٤٤.

فبشرني، وقال: يا بني عليك بنفسك فقلت له: يا سيدنا أنت تدلني على نفسي، وشيخنا أحمد يقول: عليك بربك فكيف العمل؟!

فقال الشيخ: يا بني كل واحد منا دلكَ على ما يقتضيه حاله في الوقت، والذي دَلكَ عليه الشيخ أبو العباس أولى والله يرزقني ذلك.

فرجعت إلى «العريني» فأخبرته فقال لي: يا حبيبي الوجهان صحيحان، تكلم أبو عمران في البداية والسلوك، ونبهتك أنا على الغاية المطلوبة حتى تكون في سلوكك رفيع الهمّة عن ما سوى الله.

أخبرنا أبو الثناء محمود اللبان بالموصل، ثنا تاج الإسلام بسنده عن ذي النون أنه قال:

تضاحكت الأشياء إلى أولياء الله تعالى: العارفين بأفواه القدرة من مليكها لما يرون من آثار صنعته فيها، ويعاينون من بدائع خلقه معها فلهم في كل شيء مُدَّكر.

وقال: حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار بمواصلة لطائف الأنوار.

وأنشد في المعنى:

لِلْعارِفينَ قُلُوبٌ يَعْرِفُونَ بِهَا ... نُورَ الإلَهِ بِسِرِّ السِّرِّ في الحُجُبِ

صُمٌّ عَنِ الخَلْقِ عُميٌ عَنْ مَناظِرهم ... بكمٌ عَنِ النُّطقِ في دَعْواه بالكَذِبِ

وقال أيضاً: حقيقة المعرفة تخلية السر عن كل إرادة وترك ما عليه العادة وسكون القلب إلى الله عزّ وجل بلا علاقة، وترك الالتفات منه إلى سواه.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر ببغداد سنة إحدى وستمائة. ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم. قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي بن خلف يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول: إن سكتَّ عَلِمَ ما تريد، وإن نطقت لم تنل بنُطقِك ما لا يريد، وعلمك بعلمه بمرادك ينبغي أن يغنيك عن مسألته أو ينجيك عن مطالبته.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال:

قال ذو النون: معاشرة العارف كمعاشرة الله يحتمل عنك، ويحلم عنك تخلقاً بأخلاق الله الجميلة.

ثم قال: أهل الذمة يحتملون على الخلال المحمودة والمباح من الفعل فما الفرق بين الذمي والحنفي، بل الحنفي أولى بالحلم والصفح والاحتمال.

وبالإسناد:

قال: وسئل ذو النون: متى يجوز للرجل أن يقول أراني الله كذا وكذا؟

فقال: إذا لم تطق ذلك.

وبالإسناد:

قال: سمعت ذا النون يقول: لا يزال العارف ما دام في دار الدنيا متردد بين الفقر والفخر فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر.

زاد ابن خميس في هذا الحديث بعد قوله: افتقر ثم تأوه وقال: الله فخرُنا وإليه فقرُنا.

وبالإسناد:

قال: وسئل ذو النون: بما عَرِف العارفون ربهم؟

فقال: إن كان بشيءٍ فيقطع، والأشراف منهم على اليأس مع التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها، وبذل المجهود من أنفسهم ثم إنهم ما وصلوا بعد إلى الله إلا بالله.

انظر ما ألطف إشارته رضي الله عنه في قوله: إن كان بشيء ثم ختم كلامه بما أشار إليه، وهو جواب الشرط على الحقيقة لا قوله فيقطع ثم تلطف بالعبارة تنبيهاً على قول القائل: سبحان من لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته وفي هذا الكلام بحار في علم التوحيد لا تُدْرَك قعورها ولا يتمكن لنا إيداعها حذاراً من العمى الذين ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[1].

وبالإسناد:

قال: وسمعت ذا النون وسأله رجل أي الأحوال أغلب على قلب العارف السرور والفرج أم الحزن والهموم؟

فقال: أوصلنا الله وإياكم إلى جميل ما نؤمله منه. والعلم في هذا عندي والله أعلم، أنه ليس هناك حال يشار إليه دون حال، ولا سبب دون سبب، وأنا أضرب لك مثلاً اعلم رحمَكَ الله أن مثل العارف في هذه الدار مثل رجل قد توج بتاج الكرامة، وأجلس على سرير في بيت، ثم

---

(١) سورة الروم، الآية رقم (٧).

علق فوق رأسه سيف بشعرة، وأرسل على باب البيت أسدان ضاريان فالملك يشرف ساعة بعد ساعة على الهلاك والعطب فأنّى له بالسرور والفرح على التمام، وبالله التوفيق.

ورُوينا عن بعض المشايخ أنه قال في تفسير هذا المثل: السيف معلق فوق رأسه الأحكام، والأسدان اللذان على الباب الأمر والنهي.

ذكر هذا الشرح تاج الإسلام في كتاب المناقب له.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال:

سألت ذا النون عن كمال المعرفة.

فقال: إذا كنت متعلقاً بالله في أحوالك لا بأعمالك، غير ناظرٍ إلى سواه فأنت كامل المعرفة.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا ظُفَرُ بن الحسين، ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو الحسن الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول:

لا يرى الله شيء فيموت كما لم يره شيء فيعيش لأن حياته باقية يبقى بها من يراها.

وبالإسناد:

عن ظفر، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سئل ذو النون ما أغلب الأحوال على العارف؟

قال: حُبُّه والحُبُّ فيه ونشر الآلاء، وهي الأحوال التي لا تفارقه.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبو أحمد عاصم بن محمد الأُبُلي.

قال: سمعت الفضل بن صدقة الواسطي[1].

يقول سمعت ذا النون المصري يقول:

---

(١) (صدقة بن الفضل المروزي) الحافظ الكبير، وشيخ مرو. هكذا ورد في طبقات الحفاظ للسيوطي وغيرها، روى عن أبي حمزة محمد بن ميمون السكري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب وغيرهم، وروى عنه البخاري والدارمي وأهل خراسان. توفي سنة ٢٢٦هـ وقيل غير ذلك.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٤٩٨/٢؛ السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ٢١٧.

إذا اطَّلع الخبير على الضمير فلم يجد في الضمير غير الخبير جعل فيه سراجاً منيراً.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال:

قلت لذي النون: متى أعرف ربي؟

قال: إذا كان لك جليساً ولم تر لنفسك سواه أنيساً.

قال: فيما تصلُبُ معرفتي؟

قال: إذا استوحشت من الدنيا، واشتد فرحك بنزولك البلاء.

وبالإسناد:

في صفة العارف

عن أحمد بن عبد الله، قال سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت العباس بن يوسف يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: من كان حَظُّهُ من الأشياء هو لا يبالي ما فاته مما هو دونه.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد قال: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت العباس بن حمزة[1] يقول: سمعت ذا النون يقول:

إن العارف لا يلزم حالةً واحدةً إنما يلزم ربه في الحالاتَ كلها.

وبالإسناد:

عن محمد قال: سمعت محمد بن إبراهيم الفارسي[2] يقول: سمعت ذا النون يقول: العارف كل يوم أخشع لأنه كل ساعة أقرب.

---

(١) (العباس بن حمزة) بن عبد الله بن أشوس، أبو الفضل النيسابوري الواعظ، صاحب لسان وبيان، رحل في طلب الحديث، وسمع بدمشق أحمد بن أبي الحواري وصحب ذا النون بمصر، كان يصوم النهار، ويقوم الليل، توفي رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة ٢٨٨هـ.
انظر ترجمته في: **تاريخ دمشق**، ٣٦٣/١٩، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ٢٥.

(٢) محمد بن إبراهيم الفارسي، أبو عمرو الزجاجي، النيسابوري صحب أبا عثمان، والجنيد، والنوري، والخواص، وغيرهم، وأقام بمكة، وكان شيخ الصوفية بها، وحج ستين حجة، توفي سنة ٣٤٨هـ.
انظر ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٢٣٥/١١، السلمي: **طبقات الصوفية**، ١٦٣.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا عبد الكريم عن أبيه قال: سُئل ذو النون عن العارف فقال: كان ها هنا فذهب.

سُئل الجُنَيد[1] عن هذا الكلام فقال:

العارف لا يحصره حال عن حال، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل، فهو مع كل أهل مكان بمثل الذي هم فيه، يجد مثل الذي يجدون، وينطق بمعانيها لينتفعوا.

وبالإسناد:

قال ذو النون: ركضت أرواح الأنبياء (صلى الله عليهم أجمعين وسلم تسليماً) في ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً) إلى روضة الوصال.

أخبرنا محمد بن القسم، ثنا المسعودي، ثنا الغانمي، ثنا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت محمد بن أحمد ابن سهل[2] يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

أعرف الناس بالله سبحانه أشدهم تحيُّراً فيه.

أخبرنا البكري وابن سُكَينة قال ابن سكينة قال ابن عبد الكريم، ثنا أبي قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول:

قيل لذي النون: بم عرفت ربك؟

فقال: عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي.

---

(١) (الجُنَيد) بن محمد، أبو القاسم الخزاز، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري. أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، صحب السَّرِيَّ السقطي، والحارث المحاسبي وغيرهما. مقبول على جميع الألسنة توفي رضي الله عنه سنة ٢٩٧هـ. أسند الحديث. وسئل من العارف فقال: (من نَطَق عن.. سِرّك وأنت ساكت).

انظر ترجمته في: السلمي: **طبقات الصوفية**، ١٥٥، القشيري: **الرسالة**، ٢٤، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢٥٥/١٠، ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٢٣٥/٢، الشعراني: **الطبقات**، ٩٨/١، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١٣/١١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ١٤٦/١، الخطيب: **تاريخ بغداد**، ٢٤١/٧، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٢٨/٢، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٤٥٤/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩م.

(٢) (محمد بن أحمد بن سهل) أبو الفضل الصيرفي، النيسابوري الأصم، حدّث عن سعيد بن عثمان بن عباس الخياط، صاحب ذي النون، وكان ثقة، توفي رحمه الله في المحرم سنة ٣٤٧هـ.

انظر ترجمته في: الخطيب: **تاريخ بغداد**، ٣٤٠/١، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ٢٠.

وقال: الزهاد مُلوك الآخرة [هم] وفقراء العارفين.

وقال: علامة العارف ثلاثة:

- لا يُطفئ نور معرفته نور ورعه.
- ولا يعتقد باطناً من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم.
- ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى عليه على هتك أستار محارم الله تعالى.

وذكر تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال: بأول قدم تطلبه تجده.

وقال: كيف يبعد عن الله من لا بُدّ له من الله.

ومن باب التوحيد

أنبا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد وأحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول:

الذي اجتمع عليه الحقائق في حقائقهم أن الله غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك فمن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغروراً، إنما الموجود عندنا معرفة وكشف علم بلا حال.

ما أحسن ما قال: وهذا معنى ما سمعته عن أحد من الطائفة أصلاً بمثل هذا التحقيق ولقد أوضح الطريق غاية الإيضاح حيث نفى الحال في هذا الضرب من العلم.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا حَمَدُ بن محمد بن أحمد، ثنا الفضل الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن السُلمي قال: قال ذو النون: من كان في توحيده ناظراً إلى نفسه لم ينجّه توحيده من النار.

أخبرنا ابن الأخضر، عن ابن الغزال، عن حَمَد، عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا عبد الحكم بن أحمد بن سالم الصُدفي قال:

سمعت ذا النون المصري:

يقول: قرأت في باب بَرابي مصر بسريانية[1] فتدبَّرتُهُ فإذا فيه: (يقدِّر المقدور والقضاء يضحك).

(١) على أحد أبواب البرابي بمصر مكتوب باللغة السريانية.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم، ثنا أبي قال: سمعت أبا حاتم السجستاني[1] يقول: سمعت أبا نصر الطوسي[2] السراج يحكي عن يوسف بن الحسين قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري فقال: أخبرني عن التوحيد ما هو؟

قال: هو أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلّة كل شيء صنعه، ولا علّة لصنعه، وليس في السموات العلى والأرضين السفلى مدبرٌ غير الله تعالى، كل ما تصور في وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك.

أخبرنا أبو محمد بن يحيى ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل، ثنا الحافظ أبو نعيم بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت علي بن حاتم العثماني بمصر[3] يقول: سمعت ذا النون يقول: القرآن كلام الله.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، عن عثمان بن محمد، عن أحمد بن محمد أبو الحسن الأنصاري. قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون المصري يوماً، وأتاه رجل فقال له: أوصني.

قال: بما أوصيك إن كنت أُيِّدت منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والصديقين وذلك خير لك من وصيتي وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء. وفي رواية: فإن النداء لا ينقذ الغرقى. وهي رواية عبد الكريم القشيري.

أخبرنا بها عبد الوهاب عن ابن عبد الكريم عنه وفيه من هذا الباب الإقرار بالسابقة.

---

(١) (أبو حاتم السجستاني) هو سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي، السجستاني، البصري، أبو حاتم لغوي، مقرئ. روى عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي وغيرهم وروى عنه المبرد، وابن دريد، وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥هـ. ترك عدداً من المؤلفات الهامة مثل إعراب القرآن، القراءات وغيرها. انظر ترجمته في: كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٨٥/٤، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ٢٧٣/١، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٢٥٧/٤، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٢/١١.

(٢) أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج الطوسي، الصوفي، الزاهد صاحب كتاب اللمع، والملقب بطاووس الفقراء، توفي رضي الله عنه سنة ٣٧٨هـ. سمع جعفر الخلدي، وأبا بكر محمد بن داود الدقي، وأحمد بن محمد السايح.

انظر ترجمته في: مقدمة كتاب **اللمع**، دكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ص ٥٥، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٨٩/٦، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٩١/٣، البغدادي: **هدية العارفين**، ١/ ٤٤٧.

(٣) (علي بن حاتم بمصر) العثماني، لم أقف له على ترجمة.

ومن باب العقل والعاقل

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد ابن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

بالعقول يجتنى ثمرة القلوب.

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا ابن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي.

قال: سمعت بكر بن أحمد يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: ما خلع الله عزّ وجل على عبد من عبيده خُلعة أحسن من العقل.

ومن دلائل العقل الخمول

أخبرنا يونس، ثنا ابن الغزال أبو بكر، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

من أعلام الخمول:

* ترك الكلام لمن يكفيه الكلام.
* ونفي الخوض في إظهار العلم عند القرناء.
* ووجدان الألم لكراهية الكلام عند المحاورة والموعظة.

أنبأنا عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك، ثنا محمد بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا الحافظ، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سألت ذا النون عن كمال العقل، فقال: إذا كنت قائماً بما أمرت به تاركاً لتكليف ما كفيت فأنت كامل العقل.

وبالإسناد:

عن الحافظ، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد، قال: قال ذو النون:

اعلموا أن العاقل يعترف بذنبه ويحسن ذنب غيره ويجود بما لديه ويزهد فيما عند غيره، ويكف أذاه ويحتمل الأذى من غيره.

ومن باب التؤدة والإفضال

ما أخبرنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد، ثنا حَمَدُ ابن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام التؤدة:

- التأني في الأحداث.
- والتوقر في الزلزال.
- والتوفيق في المقال.

وثلاثة من أعلام الإفضال:

- صلة القاطع.
- وإعطاء المانع.
- والعفو عن الظالم.

ومن باب مقام الشيوخ

أخبرنا محمد بن قاسم، عن أحمد بن محمد بن أحمد، عن الثقفي، عن أبي عبد الرحمن أن ذا النون المصري قال: من لم يكن له على نفسه حُكم لا يحل له أن يحكم على أحد.

ومن باب المُكر مكر بالعامة

حدثنا أبو الثناء محمود اللبان بالموصل، بدكان أبيه، وهو يبكي، ثنا أبو عبد الله، تاج الإسلام الحسين بن نصر بن محمد بن خميس بسنده قال:

قال ذو النون: علامة سخط الله على العبد: خوفه من الفقر.

مكره بالمريد

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: سئل ذو النون عن الآفة التي يخدع بها المُريد عن الله تعالى فقال: بُرؤية الكرامات والألطاف والآيات. قيل: فبم يخدع قبل وصوله إلى هذه الدرجة؟ فقال: بوطء الأعقاب وتعظيم الناس له والتوسع له في المجالس وكثرة الأتباع فنعوذ بالله من مكره وخدعه.

ومن ذلك ما أخبرنا به يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل، ثنا أحمد بن عبد الله، بالإسناد قال: سمعت ذا النون وسئل: أي الحجاب أخفى الذي يحتجب به المريد عن الله.

فقال: ويحك ملاحظة النفس وتدبيرها هذا من خفي المكر.

وأمّا مكره بالعارف

ما حدثنا به محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله ثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن عبيد الله[١]، ثنا أحمد بن عيسى الوشاء بتنيس. قال: سمعت سعيد بن الحكم[٢] يقول سمعت ذا النون يقول:

لكل قوم عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله. قال ابن خميس: المحب بدلاً من العارف.

ومن مكره بالطائفة

ما أخبرنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

أشدّ المريدين نفاقاً من لحظ لحظة أو نطق بكلمة بلا حجة استبانها فيما بينه وبين ربه.

ثم سئل عن الحجة فعبر نفسه بحجةٍ كان قبل الفعل في الوقت غافلاً عنها.

ولقد سمعت صاحبنا عبد العزيز المهدوي بمجلسه بتونس يصرح بمثل هذا وينهى عنه أصحابه ويتشدد في ذلك ورأينا جماعة ممن يدّعي المعرفة يقع في هذا كثيراً يخرج عنه أمر ما على وجه. فإذا سئل عنه ربما يلوح له عندما يسأل عن ذلك وجه آخر أعلى منه فيجيب به ويسكت عن الأول.

بالإسناد:

قال: وسمعت ذا النون وقد سئل عن أساس قسوة القلب. المريد يحته عن علوم رضي الله نفسه بتعليمها دون استعمالها والوصول إلى حقائقها.

---

(١) أبو الحسين محمد بن محمد بن عبيد الله الجرجاني رحال، جوال، سمع عمران بن موسى، وابن خزيمة وأبا العباس السراج وغيرهم، روى عنه أبو نعيم. توفي بعد سنة ٣٦٠هـ.
انظر الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٩٨٤/٣.

(٢) (سعيد بن الحكم) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع.

ومن ذلك

ومن باب العَثَرات

ما أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: قال ذو النون:

ما هلك من هلك إلاَّ بطلب أمرٍ قد أخفاه أو إنكار أمرٍ قد أبراه يعني على غير بصيرة.

أخبرنا العماد أبو الثناء، عن ابن خميس وهو تاج الإسلام بسنده عن ذي النون أنه قال:

كلُّ مُدَّعٍ محجوب بدعواه عن شهود الحق، لأن الحق شاهد لأهل الحق، فإن الله تعالى هو الحق، وقوله الحق فلا يحتاج يدعي إذا كان الحق شاهداً له، وأمَّا إذا كان غائباً فحينئذٍ يَدَّعي لأن الدعوى إنما تقع للمحجوبين.

صحيح ما قاله رضي الله عنه من كل وجهٍ وعلى كل حالٍ والذي يربط باب الدعوى هو ما تقول أن الدعوى لا يصح في الطريق، فإذا ظهرت فلا تظهر إلاَّ من ثلاثة أشخاص:

- كاذب
- أو مأمور بها.
- أو صاحب غلبة حال غيره.

وكيف ما كانت فلا تكون إلا مع الحجاب فالكاذب مخذول متدرج. والمأمور مؤيد منصور وصاحب الحال موقوف على المشيئة قد يخذل وقد ينصر ولا رابع لهم أصلاً.

ومن روايته في المكر

وهذا المكر يتعلق بملامسة هذا الوقت لغلبة الجهل عليهم وفساد أصلهم.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي أنبأ المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبيد الله، ثنا أحمد بن عيسى الوشا، ثنا أبو عثمان سعيد بن الحكم قال: سمعت ذا النون يقول سُئل جعفر بن محمد عن السفلة. فقال: من لا يبالي ما قال، ولا ما قيل فيه.

هذا الباب يحتاج إلى ميزان.

ومن باب التصوف والصوفي

ما أخبرنا به عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن، ثنا أبي، قال: سمعت أبا حاتم السجستاني قال: سمعت أبا نصر السراج يقول:

سئل ذو النون عن التصوف فقال:

هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله تعالى على كل شيء.

وقال أيضاً: الصوفي إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

قال: سئل عن التصوف، هل هو مشتق أو لقبٌ. فقال: قيل في الأُصل صفوته وستروا ذلك الصفا بالتصوف على ستر العمل. وكتابه عما يوجب الرياء.

ومن باب ترتيب الأحوال والمقامات

حدثنا يونس بن يحيى قال، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني. قال: قرئ على أبي الحسين أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله، فإذا أسكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من الطاعة الرجا، فإذا سكن درجة الرجا، تولدت من الرجا المحبة. فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق، فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله، فإذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم، ونهارهُ في نعيم، وسره في نعيم وعلانيته في نعيم.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا ظفر، ثنا محمد بن أحمد، حدثني أحمد بن عبد الله بن ميمون.

قال: سمعت ذا النون يقول: وقد سئل عن أول درجة يلقاها العارف؟ قال:

التحير، ثم الافتقار، ثم الاتصال، ثم انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد بن يعقوب البغدادي، ثنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هاشم.

قال: قلت لذي النون كم الأبواب إلى الفطنة؟

قال: أربعة:

- أولها الخوف.
- ثم الرجاء.
- ثم المحبة.
- ثم الشوق.

ولها أربعة مفاتيح.

- فالفَرضُ مفتاح باب الخوف.
- والنافلة مفتاح باب الرجاء، وحب العبادة.
- والشوق مفتاح باب المحبة وذكر الله الدائم بالقلب.
- واللسان مفتاح باب الشوق، وهي أربع درجات[1] إلى الله:

فأقربها منه درجة:

- الشوق: وهي درجة الولاية فإذا هممت بالارتقاء في هذه الدرجة فتناول مفتاح باب الخوف، فإذا فتحته وصلت إلى باب الرجاء فتناول مفتاحه، فإذا فتحت وصلت إلى باب المحبة فتناول مفتاحه، فإذا فتحت أفضيت إلى باب الفطنة مفتوحاً لا غلق عليه، فإذا دخلته فلا أظنك تطيق ما ترى فيه، حينئذٍ يحوز شرفك الأشراف ويعلو ملكك مُلك الملوك. واعلم أي أخي أنه ليس بالخوف تنال الفرض ولكن بالفرض تنال الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة، ولكن بالنافلة تنال الرجاء كما أنه ليس بالأبواب تنال المفاتيح ولكن بالمفاتيح تنال الأبواب.

واعلم أنه من تكامل فيه الفرض فقد تكامل فيه الخوف، ومن جاء بالنافلة فقد جاء بالرجاء، ومن جاء بمحبة العبادة فقد وصل إلى الله، ومن شغل قلبه ولسانه الذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه، وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه حتى يكون الله جلّ ثناؤه هو الذي يناوله من يشاء من عباده.

ومما لحق هذا الباب وإن كان من النُّعوت ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن عبد الله القريابي صاحبنا، ثنا أبو محمد بن يحيى العباسي، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت

---

(١) في نسخة الأصل المخطوط (دَرَج).

ذا النون يقول: كل مُطيع مستأنس وكل عاصٍ مستوحش، وكل مُحِبّ ذليل خائف هارب، وكل راج طالب.

ومن باب الموعظة والتذكر

ما أخبرنا به العماد أبو الثناء، ثنا الإمام تاج الإسلام يسنده إلى ذي النون المصري قال ذو النون رحمهُ الله: كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها واليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حباً ولها طلباً. كان الرجل ينفق ماله على علمه، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالاً، وكان يرى على صاحب العلم زيادة في باطنه وظاهره واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر.

وقال أيضاً إنما دخل الفساد على الخلق من ستَّةِ أشياء:

الأول: ضعف النية لعمل الآخرة.

والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.

والثالث: غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل.

والرابع: آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق.

والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سُنَّة نبيهم عليه الصلاة والسلام وراء ظهورهم.

والسادس: جعلوا قليل زلات السلف حُجّة لأنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم.

ومن هذا الباب

ما حدثنا به ابن الأخضر عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت رجُلاً سأل ذا النون، فقال: رحمك الله، ما الذي أنصَبَ العبّاد وأضناهم؟

فقال له: ذكر المقام، وقلة الزاد، وخوف الحساب، ولِمَ لا تذوب أبدان العمال وتذهل عُقُولهم والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار، ثم قال: مثلوا هذا في نفوسكم واجعلوه نصب أعينكم.

أخبرنا العماد أبو الثناء، ثنا ابن خميس تاج الإسلام بسنده إلى محمد بن الحسن الجوهري[1] قال: سمعت ذا النون يقول:

(١) محمد بن الحسن الجوهري، كنيته (أبو بكر) وهو من أهل بغداد، ومن تلاميذ ذي النون المصري، كان رجلاً جليلاً.–

أيها الناس هذا أوانٌ ينصح فيه الأحياء إذ الأموات في غمرتهم يعمهون حين غدا الدين غريباً منبوذاً، وغدا أهله غرباء مهيؤون قد أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ورفضوا المعروف وأقبلوا على المنكر، وتركوا الجهاد فأظلمت الأرض بعد نورها ورضيت العلماء من العلم بعلمهم فانتبهوا أيُّها الأموات أبناء الأموات وإخوان الأموات وجيران الأموات. وعن قليل أنتم أموات قد أخليتم الدور وعمّرتم القبور ألا فقد برح الخفا لمن فهم كثر الجفا وخلت العلماء وقلّت الخطباء، وكثرت الدواهي وقلت النواهي، وكثر الأشرار وقلت الأخيار، وافتكهوا الآثام، وقطعوا الأرحام ورضوا بالسلام، وجلس بعضهم مجالس العلماء.

يقولون ما لا يعلمون، عبيد الدنيا فهم لها متصنعون، وعليها يتخشعون غنيهم فقير وجارهم ذليل، لا يبالي غنيهم ما طوي عليه جاره من جوع أو عُري، إن سألوا ألحوا وإن سُئلوا شَحُوا.

لبسوا الثياب على قلوب الذئاب اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم وجمع إخوانهم لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة.

أخبرنا ابن الأخضر عبد العزيز، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال أحمد بن عبد الله، ثنا أيضاً عثمان بن محمد العثماني، ثنا عبد الله بن جعفر المصري، ثنا عبيد الله بن محمد البرقي قالا: قال أبو الفيض ذو النون:

الدنيا لله أمَة والخَلق لله عبيد خلقهم للطاعة، وضمن لهم أرزاقهم، ونهاهم عن أمته وحذّرهم وأنذرهم، فحرصُوا على ما نهاهم الله عنه، وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها الله لهم، فلا هم على أمته قدروا، ولا في أرزاقهم استزادوا ثم قال: عجباً لقلوبكم لا تتصدع ولأجسامكم لا تتضعضع إذ كنتم تسمعون ما أقول لكم ولا تعقلون، ثم قال:

عَجَباً لِقَلْبِكَ كَيْفَ لا يَتَصَدَّعُ	وَلِرُكْنِ جِسْمِكَ كَيفَ لاَ يَتَضَعْضَعُ
فَاكْحَل بَمِحْلُولِ السُّهادِ لِذي الدُّجى	إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَا أقُولُ وَتَسْمَعُ
مَنَعَ القُرآنُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ	مُقَلَ العُيونِ بِلَيْلِها أَنْ تَهْجَعُ
فَهِمُوا عَنِ المَلِكِ الكَريمِ كَلامَه	فَهماً تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي والمحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي،

= توفي رحمه الله في القرن الثالث الهجري.
انظر ترجمته في الجامي: **نفحات الأنس**، ٤٣٢.

ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

من ذبح حنجرة الطمع بسيف الإياس وردم خندق الحرص ظفر بكيمياء الخدمة، ومن استقى بحبل الزهد على دلو العزوف، استقى من حب الحكمة، ومن سلك أودية الكمد حيا حياة الأبد، ومن حصد عشب الذنوب بمنجل الورع أضاءت له روضة الاستقامة، ومن قطع لسانه بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة، ومن تدرع درع الصدق قوي على مجاهدة عسكر الباطل، ومن فرح بمدحة الجاهل ألبسه الشيطان ثوب الحماقة.

وبالإسناد:

قال وسمعته يقول: أسفرت منازل الدُجى، وثبتت حجج الله على خلقه، فآخذ بحظه ومضيع لنفسه فمنارة حكمته وحجته كتابه فقامت الدُنيا ببهجتها فأقعدت المُريد وألهت الغافل ولا المُريد يطلب دواؤه ولا الغافل عَرف داءه.

ثم خصّ الله خصائص من خلقه، فَعرَّفهم حكمته، فنظروا بين أعين القلوب إلى محجوب فساحت أرواحهم في ملكوت السماء، ثم عادت إليهم بأطيب جنى ثمار السرور، فعِنْد ذلك صيّروا الدنيا معبراً والآخرة منزلاً، همتهم وقلوبهم عند ربهم.

فأوّل ابتداء نعمة الله على من اختص الله من خلقه أهاجت النفوس على مناظرة العقول فعند ذلك أقام لها شواهد من أهل المعرفة يقف به عند العجز والتقصير، وهما حالان يورثان الهم، ويحثان على الطلب ولن تعنى النفس إلا بالعلم بالله.

أخبرنا يونس، ثنا ابن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي[1] بنيسابور قال: سمعت يوسف بن الحسين قال أحمد بن عبد الله وقال أحمد بن العلاء الصُعدي، والسياق له، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، ثنا يوسف بن الحسين، ومحمد بن أحمد قالا: سمعنا ذا النون يقول:

طوبى لمن أنصف ربه عزّ وجلّ.

قيل: وكيف ينصف ربه؟

قال: يقرّ له بالآفات في طاعته، وبالجهل في معصيته، وإن أخذه بذنوبه رأى عدله، وإن غفر له رأى فضله، وإن لم يتقبل منه حسناته لم يره ظالماً لما معه من الآفات، وإن قبلها رأى إحسانه لما جاد به من الكرامات.

---

(١) محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي بنيسابور، هو: محمد بن عبد الله بن شاذان وتقدمت ترجمته.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول: وقد مرّ به قوم على الدواب وأنا جالس معه. فقالوا: هل ترى إلا كنيفاً على كنيف.

أخبرنا بقريب من هذه الحكاية أبو عبد الله بن خزر عن صاحبنا عبد الحليم العماد بمدينة سلا منقطع التراب.

قال: كنت معه جالساً في بعض شوارعها فمر بنا زعيم من زعماء البلد من بني عشرة فنظرت إليه وهو ذو شارة حسنة ومنظر بهيج تحته فرش عتيق.

فقال لي: يا أبا عبد الله هل ترى إلا تراباً راكباً على تراب فوعظني.

ومن باب الوَصايا والنصائح

ما حدثنا به العماد عن تاج الإسلام قال: قال رجل لذي النون: والله إني لأحبك فقال له ذو النون:

إن كنت عرفت الله فحسبُك الله وإن لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك على الله تعالى، وتتعلم منه حفظ الحرمة لمولاك.

وقال: اصحب الذين وصفهم الله تعالى في كتابه وهم أهل التقوى الذين هم على سمت محجّته لعلك أن ترقى في ملكوت السموات فتكون للأبرار جليساً وللأخيار في أمن ذلك المقيل أنيساً وإن كنت على التقوى عارفاً فالنجا النجا فيما بقي من عمرك.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا ابن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعت فارساً البغدادي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

قلت لذي النون في وقت مفارقتي له: مَنْ أُجالس؟ قال: عليك بصحبة من تذكرك الله عزّ وجل رؤيته، ويقع هيبته على باطنك، ويزيد في عملك منطقه، ويزهدك في الدنيا عمله، ولا يعصي الله ما دمت في قربه يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله، يريد وهو تارك لما يدلُّك عليه أي هو خالٍ من الفضائل لأن الرجل قد يكون على عمل من أعمال البر يقتضيه حاله ويدلك بقوله على عمل من أعمال البر يقتضيه حالك ولا يقتضيه حاله فيريد بقوله بلسان فعله أي أفعاله مستقيمة لا غير.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله،

ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، ثنا محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري قال: سمعت ذا النون يقول:

احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعاً قلت: وكيف ذلك؟

قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه.

ثم قال: تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصدّيقون بمؤلى الأسباب.

ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا، طلبهم منه العطايا. ومن علامة تعلق قلب الصدّيق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به.

ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال.

ثم قال: اعقل فإن هذا من صفوة التوحيد.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا أبو نعيم الحافظ، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام [التوحيد][(1)]:

- اغتمام القلب بمصائب المسلمين.
- وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم.
- وإرشادهم إلى مصالحهم، وإن جهلوه وكرهوه.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا ثنا حمدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عمر بن ظفر[(2)] قال ثنا جعفر بن أحمد، ثنا عبد العزيز بن الأزجي[(3)]، ثنا ابن جهضم قال أحمد بن محمد الرازي، ثنا محمد بن أحمد بن سلمة قال: سمعت ذا النون يقول: وقد سألته عند الفراق أن يوصيني.

فقال: لا يشغلنك عيوب الناس عن عيب نفسك، لست عليهم برقيب.

---

(1) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(2) (عمر بن ظفر) المغازلي الملقب مسند بغداد، أبو حفص والمحدث بها، توفي رحمه الله، عن إحدى وثمانين سنة وكانت وفاته في سنة ٥٤٢هـ.

انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٤/١٢٩٤.

(3) (عبد العزيز بن الأزجي) هو: عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل بن شكر، البغدادي، الأزجي، أبو القاسم، محدث، توفي رحمه الله في شهر شعبان سنة ٤٤٤هـ. له مصنفات منها مصنف في الصفات.

انظر كحالة: معجم المؤلفين، ٥/٢٥٣؛ سزكين: تاريخ التراث العربي، ١/٣٩٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ٣/ ٢٧١؛ الخطيب: تاريخ بغداد، ١٠/٤٦٨.

ثم قال: إنَّ أحب عباد الله إلى الله عزّ وجلّ أعقلهم عنه وإنما يستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله حسن استماعه للحديث وإن كان به عالماً، وسُرعة قبوله للحق وإن جاء ممَّن هو دونه، وأوثره على نفسه بالخطأ إذا جاء منه.

أخبرنا العماد أنبأ التاج قال: قال ذو النون: ليس بذي لُب من داس في أمر دنياه، وحمق في أمر آخرته، ولا مَنْ سَفه في مواطن حلمه وتكبر في مواطن تواضعه ولا من فقد منه الهوى في مواطن طمعه ولا من غضب من حق إن قيل له ولا من زهد فيما يرغب العاقل في مثله ولا فيما يزهد الأكياس في مثله ولا من استقل الكثير من خالقه عزّ وجلّ واستكثر قليل الشكر من نفسه، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، ولا من تسي الله في مواطن طاعته وذكر الله في مواطن الحاجة إليه، ولا جمع العلم فعرف به ثم آثر عليه هواه عند متعلمه، ولا من قلّ منه الحياء من الله على جميل ستره، ولا من أعقل الشكر عن إظهار نعمه، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته إذْ صبر عدوه على مجاهدته، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزيناً في مجلسه.

ثم قال: أستغفر الله إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع، وقام. وبه قال ذو النون: لم تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم والتزود لآخرتكم من دنياكم والاستعانة بربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه وبه.

وقال ذو النون: من نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه، ومن عني بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال، ومن هرب من الناس سلم من شرهم، ومن شكر المزيد زيد له.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حَمدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الله، ثنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا، أبو عثمان سعيد بن الحكم تلميذ ذي النون.

قال: سئل ذو النون ما سبب الذنب؟

قال: اعقل ويحك ما تقول؟ فإنها مسائل الصديقين سبب الذنب النظرة، ومن النظرة الخطرة، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تداركها امتزجت بالوساوس فتتولد منها الشهوة وكل ذلك بعده باطن لم يظهر على الجوارح فإن تداركت الشهوة، وإلا تولد منها الطلب فإن تداركت الطلب، وإلا تولد منه الفعل.

أخبرنا العماد التاج قال: قال محمد بن الحسين الجوهري: دخلت أنا وأبو الفضل ذات يوم على ذي النون وعنده نفر من المريدين وقد ذهب بهم الفكر وكأن على رؤوسهم هيبة له فانتفعنا برؤيته قبل أن نجلس فسلمنا عليهم فردوا السلام.

ثم قال ذو النون: اللهم كما جمعتنا على ذكرك فلا تخزنا بعذابك واجعلنا من أحبابك، واشغلنا بخدمتك.

فقال بعضهم: أوصنا بوصية ينفعنا الله بها.

فقال:

* آثروا الله على جميع الأشياء.
* واستعملوا الصدق فيما بينكم وبينه.
* وأحبوه بكل قلوبكم.
* والزموا بابه واشتغلوا به.
* وتوسدوا الموت إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم.
* وكونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بد لكم من الآخرة.
* واحفظوا ألسنتكم ولتحزنكم ذنوبكم وليكن افتخاركم بربكم.
* وكونوا من خالصي الله لتسلموا ويسلم منكم الناس فتنالوا غداً مناكم.

ثم قال:

* أستغفر الله فإن للكلام حلاوة في الدُّنيا وما أعظم مؤنته في الآخرة.

ثم قال:

* ليسأل الصادقين عن صدقهم وفي دون ما قلت كفاية.

أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

* إياك أن تكون في المعرفة مُدَّعياً.
* وتكون بالزهد متحرفاً.
* أو تكون بالعبادة متعلقاً.

فقيل له: يرحمك الله فسّر لنا ذلك.

فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء أنت مُعَرّى من حقائقها كنت مدَّعياً. وإذا كنت في الزهد موصوفاً بحالة وبك دون الأحوال كنت متحرّفاً، وإذا علقت قلبك

بالعبادة وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله في العبادة كنت بالعبادة متعلقاً لا بوليّها والمنّان عليك به.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا الحسن بن أبي الحسن المصري، ثنا محمد ابن يحيى بن آدم، ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الخواص قال: سمعت ذا النون يقول:

من أدرك طريق الآخرة فليكثر مسائلة الحكماء، وليكن أول شيء يسأل عنه العقل لأن جميع الأشياء لا تدرك إلاّ بالعقل، ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لمن تخدم ثم اخدم.

أخبرنا العماد قال أنبأ تاج الإسلام قال: قال إبراهم البنا البغدادي صحبت ذا النون من إخميم إلى الإسكندرية فلما صرنا في بعض الطريق وكان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحاً كان معي.

فقلت: هلم رحمك الله.

فقال لي: ملحك مدقوق؟

قلت: نعم، قال: ليس تفلح. فنظرت إلى مزوده وإذا فيه قليل سويق شعير يشتَفّ كل ليلة منه ما قسم له حتى جئنا إسكندرية وقد تقاصرت إلى نفسي فلما أردت فراقه قلت له: يا أبا الفيض عظني بموعظةٍ أحفظها عنك.

قال: وتفعل؟

قلت: نعم إن شاء الله.

فقال: يا إبراهيم احفظ عنيّ خمساً فإن أنت حفظتهن لم تبال ماذا أصبت بعدهن.

قلت: وما هن رحمك الله؟

قال: عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعادِ الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك هذه الخمسة خَمساً: العلم، والعمل، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والوفاء، بالعهود.

ولن تصل إلى هذه الخمسة إلاّ بخمس:

* علم غزير
* ومعرفة شافية
* وحكمة بالغة

* وبصيرة نافذة
* ونفس راجية.

والويل كل الويل لمن بُلي بخمس:

حرمان، وعصيان، وخذلان، استحسان النفس بما يرضي الله، والازدراء على الناس بما يأتي.

وأقبح القُبح خمس:

* قبح الفعال.
* ومساوئ الأعمال.
* ثقل الظهور بالأوزار.
* والتحسين على الناس بما لا يحب الله.
* ومبارزة الله فيما يكره.

وطوبى ثم طوبى لمن أخلص خمسة:

* من أخلص علمه وعمله
* وحبه وبغضه
* وأخذه وعطاؤه
* وكلامه وصمته
* وقوله وفعله.

واعلم يا إبراهيم أن وجود الحلال خمسة:

* تجارة بالصدق
* وصناعة بالنصح
* وصيد البر والبحر
* وميراث حلال الأصل
* وهدية من موضع ترضاها.

فكل الدنيا فضول إلا خمسة:

* خبز يشبعك
* وماء يرويك

- وثوب يسترك
- وبيت يكنك
- وعلم تستعمله.

ويحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء:

- الإخلاص
- والنية
- والتوفيق
- موافقة الحق
- وطيب المطعم والملبس.

وخمسة أشياء فيها الراحة:

- ترك قرناء السوء
- والزهد في الدنيا
- والصمت
- وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين
- وترك الإزراء على عباد الله حتى لا ترى أحداً يعصي الله.

وعندها تسقط عنك خمس:

- المِرَاء
- والجدال
- والرياء
- والتزين
- وحب المنزلة.

وخمس فيهن جمع الهم:

- قطع كل علاقة دون الله
- وترك كل لذة فيها حساب
- والتبرم بالصديق والعدُوّ

* وبصيرة نافذة
* ونفس راجية.

والويل كل الويل لمن بُلي بخمس:

حرمان، وعصيان، وخذلان، استحسان النفس بما يرضي الله، والازدراء على الناس بما يأتي.

وأقبح القُبح خمس:

* قبح الفعال.
* ومساوئ الأعمال.
* ثقل الظهور بالأوزار.
* والتحسين على الناس بما لا يحب الله.
* ومبارزة الله فيما يكره.

وطوبى ثم طوبى لمن أخلص خمسة:

* من أخلص علمه وعمله
* وحبه وبغضه
* وأخذه وعطاؤه
* وكلامه وصمته
* وقوله وفعله.

واعلم يا إبراهيم أن وجود الحلال خمسة:

* تجارة بالصدق
* وصناعة بالنصح
* وصيد البر والبحر
* وميراث حلال الأصل
* وهدية من موضع ترضاها.

فكل الدنيا فضول إلا خمسة:

* خبز يشبعك
* وماء يرويك

- وثوب يسترك
- وبيت يكنك
- وعلم تستعمله.

ويحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء:

- الإخلاص
- والنية
- والتوفيق
- موافقة الحق
- وطيب المطعم والملبس.

وخمسة أشياء فيها الراحة:

- ترك قرناء السوء
- والزهد في الدنيا
- والصمت
- وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين
- وترك الإزراء على عباد الله حتى لا ترى أحداً يعصي الله.

وعندها تسقط عنك خمس:

- المِرَاء
- والجدال
- والرياء
- والتزيّن
- وحب المنزلة.

وخمس فيهن جمع الهم:

- قطع كل علاقة دون الله
- وترك كل لذة فيها حساب
- والتبرم بالصديق والعدُوّ

* وخفة الحال
* وترك الادخار.

وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم:

* نعمة زائلة
* أو بلية نازلة
* أو منية فاضية
* أو فتنة قاتلة
* أو ترك قدمٍ بعد ثبوتها.

حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتك.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا محمدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون وأتاه رجل فقال: يا أبا الفيض دلني على طريق الصدق والمعرفة؟

فقال: يا أخي أدِّ إلى الله صدق حالك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسُّنَّة، ولا ترق حيث لا ترق، فتزل قدمُك، فإنه إذا دَلَّ بك لم تسقط، وإذا ارتقيت أنت تسقط، وإياك أن تترك ما تراه يقيناً لما ترجوه شكاً.

أخبرنا عماد الدين أبو الثناء محمود اللبان، ثنا تاج الإسلام أبو عبد الله بن خميس بسنده إلى يوسف بن الحسين قال: قال سمعت ذا النون وهو يوصي رجلاً ويقول له:

ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك احكام ما افترض الله عليك واتقاء ما نهاك عنه، فإن تعبدك الله به خير لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك، وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريدك التي تؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك.

إنما ينبغي للعبد أن يراعي أبداً ما وجب عليه من فرض فيحكمه على تمام حدوده وينظر إلى ما نهي عنه فيتقيه على أحكام ما ينبغي، فالذي قطع العباد عن ربهم عزّ وجلّ وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان، وعن أن يبلغوا حقائق الصدق وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة وما أعدّ الله فيها لأوليائه وأعدائه حتى يكونوا كأنهم مشاهدين، إنما قطعهم تهاونهم عن أحكام ما فرض عليهم في قلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وألسنتهم، وأيديهم وأرجلهم، وبطونهم، وفروجهم. ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخل عليهم البر إدخالاً يعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم من حسن معونته، وفوائد كرامته ولكن أكثر القرّاء والنُّسّاك حقروا

محقرات الذنوب وتهاونوا بالقليل منها ومما فيهم من العيوب فحرموا ثواب لذة الصادقين في العاجل واستغفر الله مِمَّن[1] يقول ولا يفعل.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا محمد بن أحمد المذكر عن بعض أصحابه قال: قال ذو النون لفتى من النُّسَّاك:

يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة واقمعها برد الظلامة، تلبس غداً سرابيل السلامة، واقصرها في روضة الأمان وذوقها مضض فرائض الإيمان تظفر بنعيم الجنان، وجرّعها كأس الصبر ووطنها على الفقر حتى تكون تام الأمر فقال له الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟

فقال: نفسٌ على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خَطَرت، نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثُنيًا، نفس تدرعت رهبانية القلق، ودَعت الدجى إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الحنادس سلكت، وهجرت اللذات فملكت، وإلى الآخرة نظرت وإلى العيناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى النزر من القوت اقتصرت ولجيوش الهوى قهرت، وفي ظلام الدياجي زهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة وإلى عزيزها في غلس الدُّجى مشمرة قد نبذت المعايش ورعت الخشائش هذه نفس خدوم علمت ليوم القدوم وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

أخبرنا العماد، أنبأ تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال:

أوصَى[2] أخاه ذا الكفل فقال له:

يا أخي كن بالخير موصوفاً ولا تكن للخير وصافاً.

وقال تاج الإسلام. قال محمد بن الحسين الجوهري سمعت ذا النون يقول: ينبغي لمن علم أن له مقاماً بين يدي الله عزّ وجلّ ليسأله عما سلف في هذه الدار أن لا يؤثر القليل الحقير على الجزيل الكثير، ولا التأني والتقصير على الجدّ والتشمير، ولا سيما إذا كان ممن قد أيّده الله منه بإتقان العلم، ولَقّح عقله بدَلالاَتِ الفهم، أن لا يتحير في ظلمة الغفلة، التي تحير فيها الجاهلون، والعجب كل العجب لأهل هذه الصفة كيف استوحشوا من طاعة الله وأنسوا بغيره، وركنوا إلى الدنيا وتقلب حالاتها وكثرة آفاتها، ولا زادتهم الدنيا إلا هواناً ولا ازدادوا لها إلا إكراماً. فما من مستيقظ من وسنته يخلع وثيق الغل من عنقه ويهتك جلباب الران عن قلبه، وإن من

---

(١) في نسخة المخطوط (مما).

(٢) في نسخة المخطوط (أوحا أخاه).

أنصح النصحاء لك يا أخي من حملك من أمرك على المحجة وأمرك بالرحلة ولم يحسّن لك (سوف، وأرجو) ولعل ويكون فما رأيت هذه الخصال تورث صاحبها إلا الخسارة والندامة فكابدوا التسويف بالعزم، وبادروا التفريط بالحزم، فقد وضح لكم الطريق والله المستعان والمرشد والدليل.

وقال أيضاً: سمعت ذا النون، وقد سأله رجل فقال له: يرحمك الله ما أعون ما يجده العبد على تسكين الشهوة؟

قال: الصيام بالنهار، والقيام بالليل، وحذف الشهوات، والإغفال عنها، وترك محادثة النفس بذكرها.

فقال له السائل: فإنّ الرجل يصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يأكل الشهوات ويجد في نفسه حركة واضطراباً.

فقال له: ذلك من فضل شهوة مقيمة فيه من الأول، فليقطع أسباب المادة فيها جهده ويسكنها عن نفسه بالهموم والأحزان ويسكن سلطانها بذكر الموت فإن القوم ما وجدوا شيئاً هو أعون لهم على الزهد فيها والانقطاع عنها، والتخلي منها من ذكر الموت وتقريب الأجل، وقصر الأمل، وما يشغل القلوب. اقطع عن نفسك الشهوات واستقبل المراقبة لمن هو عليك رقيب، والمحافظة على طاعة من هو عليك حسيب، نسأل الله عزّ وجلّ التوفيق على بلاغ الطريق والخروج من كل ضيق إنه قوي شفيق.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

من وثق بالمقادير استراح، ومن صحح استراح، ومن تقرب قرب، ومن صفا صفي له، ومن توكل وثق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه.

وقال أيضاً:

من تقرب إلى الله بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه. خرّجه التاج في المناقب، وكذلك خرّج أيضاً عنه فيه فقال: قيل لذي النون: بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس:

- استقامة ليس فيها زوغان
- واجتهاد ليس معه سَهْو
- ومراقبة لله في السر والعلانية
- وانتظار الموت بالتأهب له

« والمحاسبة لنفسك قبل أن تحاسب.

وقال: كن عارفاً خائفاً ولا تكن عارفاً واصفاً.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي بنيسابور يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قلت لذي النون: لما أردت توديعه: أوصني رضي الله عنك بوصية أحفظها عنك.

فقال: لا تكن خصماً لنفسك على ربك، تستزيده في رزقك وجاهك ولكن كن خصماً لربك على نفسك، فإنه لا يجتمع معك عليك ولا تلقين أحداً بعين الازدراء والتصغير، وإن كان مشركاً خوفاً من عاقبتك فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: سمعت عبد الحكم بن أحمد الصوفي يقول: سمعت ذا النون يقول:

تعوذوا بالله من النبطي إذا استعرب. وسبب ذلك، ما حدثنا به يونس بن يحيى عن أبي بكر ابن عبد الباقي عن أبي الفضل عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن إبراهيم قال: سمعت عبد الحكم بن أحمد بن سلام يقول: سمعت ذا النون يقول:

رأيت في بربا موضع يقال له دندرة فإذا كتاب فيه مكتوب احذروا العبيد المعتقين والأحداث المتقربين والجند المتعبدين والقبط المستعربين.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أحمد بن محمد بن سهل النيسابوري، ثنا أبو الفضل، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان بن عباس الخياط قال سمعت ذا النون يقول: لا تثقنّ بمودة من لايحبك إلا معصوماً.

وبالإسناد:

قال وسمعته يقول:

من صحبك ووافقك على ما تحب وخالفك فيما يكره، فإنما يصحب هواه ومن صحب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد قال: سمعت محمد بن إبراهيم الفارسي يقول: سمعت

فارساً يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

يا معشر المريدين من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهّاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت.

أخبرنا العماد أبو الثناء محمود اللبان، ثنا تاج الإسلام الحسين بن نصر قال: قال ذو النون المصري (رضي الله عنه): ينبغي أن تطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.

ومن روايته في هذا الباب ما حدثنا به عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد حدثني سالم بن جميل الواسطي قال: سمعت الشمشاطي[1] يقول: سمعت ذا النون رحمه الله يقول:

أوحى الله إلى موسى (عليه السلام) يا موسى كن كالطير الواحد أي يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من القراح، إذا جَنَّهُ الليل آوى إلى كهف من الكهوف استئناساً بي، واستيحاشاً ممن عصاني يا موسى آلَيتُ على نفسي أن لا أتم لمدبر دوني عملاً، يا موسى لأقطعن أمن كل مؤمل يؤمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري ولأعرضن عمّن أحب حبيباً سواي.

يا موسى إن لي عباداً، إن ناجوني أصغيت إليهم، وإن دنوا مني قربتهم، وإن تقربوا مني أكنفتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، هم في حماي وبي يفتخرون، أنا مدبر أمورهم، وأنا سايس قلوبهم، وأنا متولي أحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلاّ في ذكري، فذكري لأسقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلاّ بي ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي ولا يستقر بهم القرار في الإيواء إلاّ إليّ.

ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ما حدثنا به أبو محمود بن أبي نصر بن المبارك، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن إسحاق، ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري، ثنا أبو عصمة[2] قال كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئاً.

قال: فمرت امرأة ذات جمال وخلق.

---

(١) (الشمشاطي) علي بن محمد العدوي، الشمشاطي، أبو الحسن أبو القاسم الأديب، اللغوي، العالم، أقام بالجزيرة وتوفي بدمشق. ترك مصنفات منها شرح **الحماسة**، **مختصر فقه أهل البيت**، **غريب القرآن**، توفي سنة ٤٥٣هـ.
انظر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢١٤/٧.

(٢) (أبو عصمة) لم أقف على ترجمته.

قال: فجعل الفتى يسارق النظر إليها.

قال: ففطن له ذو النون فلوى بعنق الفتى وأنشأ يقول:

دَعِ المَصُوغَاتِ مِن مَاءٍ وطِين   واشْغِلْ هَوَاكَ بِحُورٍ خُرَّدٍ عِينِ

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن زبان يقول: رأى ذا النون عَلَيَّ خفاً أحمر فقال:

انزع هذا يا بني فإنه شهوة ما لبسه النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما لبس النبي (صلى الله عليه وسلم) خفين ساذجين أسودين. هذا وإن لم يكن لباس الخف الأحمر من باب المنكر فالتأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) أولى ولا سيما عند هذه الطائفة التي مذهبها اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم).

وقد حُكي:

عن أحمد بن حنبل[1] إمام الأمة رضي الله عنه أنه ترك أكل البطيخ فكان إذا سئل عن ذلك يقول:

ما بلغني كيف كان يأكله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلذلك لا آكله فعلى هذا جرت أفعال الطائفة رضي الله عنها.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا أبو الفضل بن أحمد قال: ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف قال سمعت إسرافيل يقول: كنت مع ذي النون في سفينة يعني في النيل وأجد في فمي بلة فبزقتها في الماء.

فقال لي: يا... تعست يا بغيض تبزق على نعمة الله.

---

(١) (الإمام أحمد بن حنبل) هو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنة، أصله من مرو، وولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ثم رحل لطلب العلم متنقلاً لدراسة الحديث واستقر ببغداد. ولما رحل الشافعي من بغداد إلى مصر قال في حقه: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل». توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ بعد أن ترك بصمات واضحة ومؤلفات هامّة في الفقه والحديث.

انظر ترجمته في: ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ١٧٦، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ٤٧/١، الخطيب: **تاريخ بغداد**، ٤١٢/٤، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ١٦١/٩، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٩٦/٢، ابن الجوزي: **مناقب الإمام أحمد**، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٩٦/٢، سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ١٩٦/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩م، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٣٠٤/٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٣٢٥/١٠.

هذا وإن كان ليس هذا الفعل من باب المنكر فتركه على هذا النظر أولى والقوم رضي الله عنهم أهل حضور مع الله في حركاتهم وفيما فيه وإليه يتحركون وربما يقول من لا معرفة له بما تواطآنا عليه أن ذا النون قال منكراً من القول في قوله: تعست يا بغيض فهو أولى بأن ينكر عليه. قيل له: ليس كما ظننت وإن القوم لما كانوا أهل الله حاضرين معه في أفعالهم ولا نشك أن الماء الفرات من أكبر النعم التي تكون بها حياة الأشياء وقوامها كالخبز وغيره لكن فسح المشارع في غسل النجاسات في القذورات به فلم يترك الملعون إبليس هذا الفقير الحاضر مع الله حتى أغفله عما يقتضيه بابه فكان دُعاء ذي النون بتعست يا بغيض على الشيطان الذي أنساه ذكر نعمة ربّه في الماء.

وقد روينا ما يشبه هذا عن سيد الطائفة شيخنا أبي مدين ببجاية وذلك أنه وقع بينه وبين الشيخ أبي الحسن بن الدقاق[1]، خرج فانقطع ابن الدقاق عن زيارته. فقال الشيخ: ما بال أبي الحسن لا يصل إلينا. فقالوا: وقعت عنده حشمة وخجل ما جرى منه بين يديك.

فقال: لا تفعل قولوا له يأتي إلينا فأتى إليه أبو الحسن محتشماً.

فقال له: يا أبا الحسن نحن ننقطع لماذا؟ شيطاني خاصم شيطانك وانفصل أمرهما وننقطع نحن في أي شيء؟ لا تفعل يا ولدي. وأضاف ذلك الواقع إلى الشيطان.

قال تعالى عن صاحب موسى: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾[2].

أخبرنا عبد العزيز، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون متى آمر بالمعروف؟

قال: إذا كان شفقتك على غيرك، وخالفت العباد لمحبة ربك.

ومن باب المكاتبات

ما حدثنا به يونس بن يحيى الهاشمي، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

اعتل رجل من إخواني فكتب إليّ أن ادعو الله لي.

---

(١) الشيخ (أبو الحسن الدقاق) تقدمت ترجمته.

(٢) سورة الكهف، الآية رقم (٦٣).

فكتبت إليه: سألتني أن أدعو الله لك يزيل عنك النعم، واعلم يا أخي أن القلة مجراه يأنس بها أهل الصفا والهمم والضياء في الحياة ذكرك للشفاء ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء، ومن لم يأمن الشفيق على نفسه فقد آمن أهل التهمة على أموره، فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى والسلام.

قلنا لما كانت الشمس معدن الحياة استعار الضياء للحياة وجعله عين ذكره للشفاء، والشفاء: عبارة عن تقوية الحياة وتضعيف ما يضادها وهنا كلام لا يتمكن لنا بسطه إلا مع المتكلم.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أبو بكر البغدادي، قال: قال لي أبو الحسن علي بن الحسن كتب الوليد بن عتبة الدمشقي[1] إلى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله: فكتب إليه ذو النون:

كتبت إليّ تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به ومن حالي، وأنا بين خلال موجعات أبكي منهن أربع حب عيني للنظر، ولساني للفضول، وقلبي للرياسة، وأجابني عدو الله إبليس فيما يكره الله، وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة، وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة، وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا، ومعرفة كلما قلبتها. وحدثني بالله أجهل وأضناني منها أني عدمتُ خير خصال. الإيمان ـ الحياء ـ وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفنيت أيامي بمحبة الدنيا وتضييعي قلباً لا أقتني مثله أبداً.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي ببغداد، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن القشيري، ثنا أبي، قال: أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً وقال له: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة.

فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة.

فقال ذو النون:

هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

ومن روايته في هذا الباب ما حدثنا به العماد أبو الثنا قال: ثنا تاج الإسلام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس قال ذو النون:

كانت العلماء يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث:

:: من أحسن سريرته أحسن الله علانيته.

---

(1) الوليد بن عتبة الدمشقي، لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مراجع

* ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.
* ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي بن خلف قال: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول:

كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك ودينك.

فكتب إليه العالم:

أثبت العلم الحجة، وقطع عمود الشك والشبهة، وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني. فكتب الرجل:

العلم نور لصاحبه، ودليل على حظه، ووسيلة إلى درجات الشعداء.

فكتب إليه العالم: أبليت إليه في طلبه حدّ الشباب، وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

ومن باب نعته للطائفة رضوان الله عليها

ما أخبرنا به العماد أبو الثنا محمود قال: ثنا شيخنا تاج الإسلام قال: قال يوسف بن الحسين سُئل ذو النون عن حملة القرآن، فقال: هم الذين أمطرت عليهم سحاب الأشجان فأنصبوا الركب والأبدان، وتسربلوا الخوف والأحزان، وشربوا بكأس اليقين وراضوا أنفسهم رياضة الموقنين فكان قرة أعينهم فيما قلَّ ورجا وبلغ وكفى وستر، ووراوا كحل أبصارهم بالسهر وغضّوها عن النظر، وألزموها العبر. وأشعروها الفكر. فقاموا ليلهم أرقاً واستملت آماقهم نسقاً، وتبادرت دموعهم سَحاً لكم[1] توقاً، نهارهم صيام شُغباً، وليلهم قيام تعباً، متبتلين إليه في ساعات الليل والنهار، قد نصبت منهم الأبدان وتغيرت منهم الألوان، صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة ودموع وابلة، وزفرات قاتلة، فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين، وغاية آمال الراغبين. فأضاءت عبراتهم من وعيده، وشابت ذوائبهم من تحذيره فكان زفير النار تحت أقدامهم وكان وعيده نصب قلوبهم، ترمضهم قوارعه وتشفيهم منافعه، لم يشفقوا بحمله ولم يرغبوا عن عدله، ولم يرغبوا عنه، آمنوا بتنزيله، وجاهدوا في سبيله بغيرة وبيان، وحجة وبرهان، فلو رأيتهم رأيت قوماً جعلوا الركب للتراب مهاداً، والتراب لجباههم وساداً، تقربوا بخاص

(١) في المخطوط (سحاناكم).

القربان، مضوا على شرائع الإسلام والإيمان، واستناروا بنور الرحمن، فأقل ما لبثوا أن أنجزهم القرآن موعوده ووفى لهم عهوده، وأحلّهم سعوده فنالوا به الرغايب، وعانقوا فيه الكواعب، وآمنوا به المعاطب، نظروا إلى الدنيا بأعين قالية وأنفس مريضة، أتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها، ومن المطايا عزيزها، ومن القصور مشيدها، بلى ولكنهم نظروا بتوفيق الله تعالى ومحبته فرفضوا الدنيا قبل أن ترفضهم، وتركوها قبل أن تتركهم وسمعوا صوت المنادي يقول:

﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتّقين﴾[1].

فما عاجوا ولا انتظروا واستبطأوا أنفسهم وخافوا أن يحال بينهم وبين السباق فشمروا وقصدوا إلى الله عزّ وجلّ إيماناً به ووفاء بعهده وإيقاناً بمعرفته كما قال تعالى:

﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[2].

احتملوا في الدنيا المصائب لما يرجون في الآخرة من الرغائب، فلم يجدوا ألم البلاء ولم يحسوا ببعض الأذى استصغروا عند تحقيق المعرفة بالله عزّ وجلّ كلّ ما نالهم، طيبة بذلك نفوسهم، صحيحة لله تعالى نيّاتهم، سليمة لأولياء الله صدورهم، عرفوا شدة فقرهم إليه قطعوا الرجاء من غيره، عزفت أنفسهم عن الدنيا وتطلعت إلى الآخرة قلوبُهم، فما نظروا إلى الدنيا نظرة راغب، ولا تزودوا منها إلاّ كزاد الراكب، خافوا الهلاك فأسرعوا ورجوا النجاة فأدلجوا سيراً إلى الله. لا عن العلم مقصرين ولا غافلين، جعلوا القرآن صراطهم المستقيم فثبتوا عليه أقدامهم وأصغوا إليه آذانهم فكان لهم إلى الخير داعياً وإلى النجاة دليلاً هادياً.

﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾[3].

وقد ورد عنه في نعت الصفوة الأخيار كلام يجتمع مع هذا في ألفاظ كثيرة والله أعلم لاختلاف المجالس.

قوله في نعت الصفوة الأخيار

رضوان الله علينا وعليهم ورحمته.

ما أخبرنا به أبو محمد بن أبي نصر بن المبارك، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا حَمْدُ بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان

(١) سورة آل عمران، الآية رقم (١٣٣).
(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم (٢٣).
(٣) سورة الزمر، الآية رقم (١٨).

الخياط، ثنا ذو النون أبو الفيض بن إبراهيم المصري فقال:

إن لله صفوة من خلقه، وإن لله لخيَرةً من خلقه.

فقيل له: يا أبا الفيض فما علامتهم؟

قال: إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة ثم قال:

مَنَعَ القُرآنُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ مُقَلَ العُيونِ بِلَيلِها أن تَهْجَعِ

فَهِمُوا عَنِ المَلِكِ الكَريمِ كَلامَهُ فَهْماً تَذِلُّ لَهُ الرِّقابُ وَتَخْضَعِ

فقال له بعض من كان في المجلس حاضراً: يا أبا الفيض من هؤلاء القوم رحمك الله؟

قال: ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وساداً، والتراب لجنوبهم مهاداً، هؤلاء قوم خالط القُرآنُ لحومَهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج وحركهم بالإدْلاج فوضعوه على عليّ أفئدتهم فانفرجت وضموه إلى صدورهم فانشرحت، وتضرعت هممهم به فكلحت، فجعلوه لظلمتهم سراجاً، ولنومهم مهاداً، ولسبيلهم منهاجاً، ولحجتهم أفلاجاً، يفرح الناس ويحزنون، وينام الناس ويسهرون، ويفطر الناس ويصومون، ويأمن الناس ويخافون، فهم خائفون يحذرون، وَجِلون، مشفِقُون، مُشمِّرون، يُبادرون من الفوت ويستعدون للموت يتصغر جسيم ذلك عندهم لعظم ما يخافون من العذاب، وخطر ما يوعدون من الثواب، درجوا على شرائع القرآن، وتخلصوا بخالص القربان، واستناروا بنور الرحمن، فما لبثوا أن أنجز لهم القرآن موعوده، وأوفى لهم عهوده، وأجلهم سُعوده وأجارهم وعيده، فنالوا به الرغائب وعانقوا به الكواعب وآمنوا به العواطب، وحذروا به العواقب لأنهم فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية، ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين راضية، واشتروا الباقية بالفانية. فنعم ما اتجروا! ربحوا الدارين وجمعوا الخيرين واستكملوا الفضلين، بلغوا أفضل المنازل بصبر أيام قلائل، قطعوا الأيام باليسير، حذار أيام قمطرير، وسارعوا في المهلة، وبادروا خوف حوادث الساعات ولم يركبوا أيامهم باللهو واللذات، بل خاضوا الغمرات للباقيات الصالحات أوهن والله قُوَّتهم التعب، وغيَّر ألوانهم النصب، وذكروا ناراً ذات لهب، مسارعين إلى الخيرات منقطعين عن اللَّذَّات يرسون من الريب والخنا، فهم خرس فصحاء، وعُمْي بُصراء. فعنهم تقصُر الصفات، وبهم ترفع النقمات وعليهم تنزل البركات، فهم أحلى الناس منطقاً ومذاقاً، وأوفى الناس عهداً وميثاقاً، سراج العباد ومنار البلاد، ومصابيح الدجى ومعادن الرحمة، ومنابع الحكمة، وقوام الأمة، تجافت جنوبهم عن المضاجع، فهم أقبل الناس للمعذرة وأصفحهم بالمغفرة وأسمحهم بالعطية، فنظروا إلى ثواب الله بأنفس زائقة، وأعين رامقة، وأعمال موافقة، فخلوا عن الدنيا مطي رحالهم، وقطعوا منها جمال آمالهم، لم يَدَعْ لهم خوف ربهم من أموالهم تليداً، ولا عتيداً، أفتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها، ولا من

الأوبار حزورها ولا من المطايا عزيزها، ولا من القصور مشيدها، بلى ولكنهم نظروا بتوفيق الله عزّ وجلّ وإلهامه لهم فحرّكهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل فضموا أبدانهم عن المحارم، وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم، وهربوا بأنفسهم عن المآثم، فسلكوا من السبيل رشاده، ومهدوا للرشاد مِهَادَه، فشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم عَزَوا عن الرزايا، وغصص المنايا، هابوا الموت وسكراته، وكرباته وفجعاته، ومن القبر وضيقه، ومنكر ونكير، ومن ابتدارهما وانتهارهما وسؤالهما ومن المقام بين يدي الله عزّ وجلّ.

وقال رضي الله عنه في نعت المشتاقين رضي الله عنهم

أخبرنا أبو الثناء عماد الدين بالموصل قال: أخبرنا تاج الإسلام أبو عبد الله قال: قال يوسف ابن الحسين وصف ذو النون المشتاقين فقال:

ساقهم من صِرْفِ المودّة شَرْبةً فماتت شهوتهم في القلوب من خوف عواقب الذنوب، وذهلت أنفسهم عن المطاعم، من حذر فوت المناعم. في دار يستطاب فيها المكاره قد أنحلوا الأبدان بالجوع والأحزان، وصفوا القلوب من كل كدر فهي معلقة بمواصلة المحبوب.

ثم قال يا حسن عرايس الأشجان في رياض الكتمان وقد تمت في صحن مروج القلوب، قد سقوه من ماء المنى فالأحزان تبهجهم والشوق يقلقهم، ثم تنفس وقال:

شَـوْق أضَـرَّ بِمُـهْـجَـةِ المُشْـتَـاقِ ... وَجَـرَى سَـوَابِـق عَـبْـرَةِ الآمَـاقِ

لَـعِـبَـتْ يَـدُ الـعَـبَـرَاتِ فِـي وَجَـنَـاتِـه ... وَكَـذا بِـهِ لَـعِـبَـتْ يَـدُ الأَشْـوَاقِ

وقال في نعت الأبدال وتميزهم عن سائر الرجال رضي الله عنهم

أخبرنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي، بمكة قال: أخبرنا أبو بكر يحيى بن أبي منصور، ثنا عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الغزال قال: ثنا أبو الفضل حَمْدُ بن أحمد الحداد، قال: ثنا الحافظ أبو نعيم ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم قال: ثنا العباس بن يوسف الشكلي(١) قال حدثني محمد بن عبد الملك قال: قال عبد الباري قلت لذي النون: صف لي الأبدال قال: إنك لتسألني عن دياجي الظلم لأكشفها لك.

---

(١) (العباس بن يوسف الشكلي) وكنيته: أبو الفضل كان من قدماء مشايخ بغداد، ومات رحمه الله يوم الأحد بالعشي في رجب سنة ٣١٤هـ روى عن السري السقطي، وكان صالحاً، كان يقول: من كان بالله مشغولاً فلا تسأله عن الإيمان.
انظر ترجمته في: الخطيب: **تاريخ بغداد**، ١٥٣/١٢، السلمي: **طبقات الصوفية**، هامش ٢١، الجامي: **نفحات الأنس**، ٢٢٠.

عبد الباري هم قوم ذكروا الله تعظيماً لربهم لمعرفتهم بجلاله فهم حجج الله على خلقه ألبسهم النور الساطع من محبته ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لإرادته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته، طَهَّر أبدانهم بمراقبته، وطيَّبهم بطيب أهل معاملته وكساهم حُللاً من نسج مودته، ووضع على رؤوسهم تيجان كرامته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب، فهي معلقة بمواصلته، فهمومهم إليه ثائرة وأعينهم إليه بالغيب ناظرة قد أقامهم على باب النظر من قربه، وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته.

ثم قال: إن أتاكم عليل من فقدي فداووه، أو مريض من تبرقي فعالجوه، أو خائف مني فأمّنوه، أو آمن مني فحذّروه، أو راغب في مواصلتي فمنّوه، أو راحل نحوي فزوّدوه، أو جبان في متاجرتي فشجّعوه، أو آيسٌ من فقدي فعدّوه، أو راج لإحساني فبشّروه، أو حسن الظن بي فباسطوه، أو محب لي فواظبوه، أو معظّم لقدري فعظّموه، أو مستوضع نحوي فأرشدوه، أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه، ومن واصلكم في فواصلوه، ومن غاب عنكم فافتقدوه، ومن ألزمكم جناية فاحتملوه، ومن قصر في واجب حقي فاتركوه، ومن أخطأ خطيئة فناصحوه، ومن مرض من أوليائي فعُودُوه، ومن حزن فبشّروه، ومن استجار بكم ملهوف فأجيروه، يا أوليائي لكم عاتبت، وفي إياكم رغبت ومنكم الوفاء طلبت، ولكم اصطفيت وانتخبت، ولكم استخدمت واختصصت لأني لا أحب استخدام الجبارين ولا مواصلة المتكبرين، ولا مصافاة المخلطين، ولا مجاورة المخادعين، ولا قرب المعجبين، ولا مجالسة البطالين ولا موالاة الشرهين، يا أوليائي جزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أجزل العطاء، وبذلي لكم أفضل البذل، وفضلي عليكم أكثر الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة ومطالبتي لكم أشد المطالبة. أنا مجتبي القلوب وأنا علام الغيوب، أنا مراقب الحركات، أنا ملاحظ اللحظات، أنا المشرف على الخواطر، أنا العالم بمجال الفكر فكونوا دعاء الذي لا يعز عليكم ذو سلطان سوائي، فمن عاداكم عاديته، ومن والاكم واليته، ومن آذاكم آذيته، ومن أحسن إليكم جازيته، ومن هجركم قليته.

وقال أيضاً في نعت أهل المحبة والوفاء المخصوصين بتجليات الصفاء رضي الله عن جميعهم

وما وصف رضي الله عنه أحداً من الطائفة بصفة قُدسيّة إلاَّ وكان هو الراقي في ذروتها والمحل الأقدس لها.

أخبرنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي العباسي رضي الله عنه بمكة، قال، ثنا يحيى

ابن عبد الله بن محمد بن جعفر من أصله، ثنا أبو بكر الدينوري[1] المفسر سنة ثمان وثمانين ومائتين، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي[2] قال: سمعت ذا النون يقول:

إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته، وهيّج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوق إليه أنفسهم، وأدنى منه هممهم، صفت له صدورهم، سبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم، وطبيب أسقامهم.

إلهي لك تواضعت أبدانهم، وإلى الزيادة منك انبسطت أيديهم فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ما طيبت به عيشهم، وأدمت به نعيمهم، ففتحت لهم أبواب سمواتك، وأبحت لهم الجولان في ملكوتك، بك آنست محبة المحبين، وعليك معول شوق المشتاقين، وإليك حنت قلوب العارفين، وبك آنست قلوب الصادقين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصّرين، قد يئست الراحة من فتورهم، وقلّ طمع الغفلة فيهم، فهم لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم، ولا يفترون عن التعب والسهر بألسنتهم، ويتضرعون إليه بمسكنتهم، ويسألونه العفو عن زلاتهم والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم.

فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان، وخدموه خدمة الأبرار، الذين توقفت قلوبهم بسرّه وعاملوه بخالص من سره حتى خفيت أعمالهم على الحفظة، فوقع بهم ما أملوا من عفوه، ووصلوا إلى ما أرادوا من محبته. فهم والله الزهاد السادة من العُبّاد الذين حملوا أثقال الزمان فلم يألموا بحملها وتقووا في مواطن الامتحان فلم تزل أقدامهم عن مواضعها حين مال بهم الدهر، وهانت عليهم المصائب، وذهبوا بالصدق والإخلاص عن الدنيا.

إلهي: فيك نالوا ما أمّلوا، كنت لهم سيدي مؤيداً، ولعقولهم مؤدياً، حتى أوصلتهم أنت إلى مقام الصادقين في عملك، وإلى منازل المخلصين في معرفتك، فهم إلى ما عند سيدهم متطلعون، وإلى ما عنده من وعيده ناظرون، ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته، ولما أفادهم من طرائف الفوائد من عنده.

فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس ظلمته، وهدأت عيونهم عنهم بأصوات خليقته، وقد قاموا إلى سيدهم الذي له يأملون، فلو رأيت أيها البطال أحدهم وقد قام إلى صلاته، فلما وقف

---

(١) (أبو بكر) أحمد بن داود بن وَنَنْد أبو حنيفة الدينوري، كان لُغوياً وراوياً ثقة، ورعاً، زاهداً. وصنّف في كثير من العلوم منها كتاب تفسير القرآن، ولحن العامة، الشعر والشعراء، النبات، إصلاح المنطق، وغير ذلك. توفي رحمه الله سنة ٢٨٨هـ، وقيل سنة ٢٩٠هـ.

انظر ترجمته في: الداودي: طبقات المفسرين، ٤٢/١، كحالة: معجم المؤلفين، ٢١٨/١، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧٢/١١، القفطي إنباه الرواق، ٤١/١.

(٢) (محمد بن أحمد الشمشاطي)، انظر ما تقدم من ترجمة الشمشاطي.

في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، فانخلع قلبه وذهل عقله، فقلوبهم في ملكوت السموات معلقة، وأبدانهم بين يدي الخلق عارية وهمومهم بالفكر دائمة، فما ظنك بأقوام أخيار أبرار، قد خرجوا من رزق الغفلة واستراحوا من وثاق الفترة، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الحياة والمراقبة، بلّغنا الله وإياكم هذه تأملوا وفقكم الله ما أُدرج في هذه النعوت من الأسرار والفوائد تروا عجباً.

وقال أيضاً في:

نعت النجباء والمستخلصين والأصفياء الأوصياء (رضوان الله على جميعهم) وريحانه

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

إن لله خالصة من عباده، ونجباء من خلقه، وصفوة من بريّته، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها في الملكوت معلقة، أولئك نجباء الله من عباده، وأمناء الله في بلاده والدعاة إلى معرفته والوسيلة إلى دينه، وهيهات بعدوا وفاقوا ووارتهم بطون الأرض وفجاجها على أنه لم تخل الأرض من قائم لله بحجته على خلقه لأن لا تبطل حجج الله، ثم قال: وأين أولئك قوم حجبهم الله عن آفات الدنيا وفتنتها ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين، واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم، واستدلوا على فساد أعمالهم بالمعرفة، وهربوا من وحشة الغفلة، وتسربوا بالعلم لإبقاء الجهالة، واحتجزوا عن الغفلة بخوف الوعيد وجدوا في صدق الأعمال، لإدراك القوت، وخلوا عن مطامع الكذب، ومعانقة الهوى وقطعوا عرى الارتياب بروح اليقين، وجازوا ظل الدُّجى وأدحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن، وبادروا الانتقال عن المكروه قبل فوت الإمكان، وسارعوا في الاحسان تعريضاً للقعود عن الإساءة، وتلقوا النعم بالشكر استجلاباً لمزيده وجعلوه نصب أعينهم عند خواطر الهمم وحركات الجوارح من زينة الدنيا وغُرورها، فزهدوا فيها عياناً، وأكلوا منها قصداً، وقدموا فضلاً، وأحرزوا ذُخراً، وتزودوا منها التقوى وشمّروا في طلب النعيم بالسير الحثيث والأعمال الزكية، وهم يظُنّون بل لا يشكون أنهم مقصرون وذلك أنهم عقلوا فعرفوا، ثم اتقوا وتفكروا، ثم تفكروا فاعتبروا حتى أبصروا فلما أبصروا استولت عليهم طرقات أحزان الآخرة فقطع بهم الحزن حركات ألسنتهم عن الكلام من غير وعي خوفاً من التزين فيسقطوا من عين الله فأمسكوا، وأصبحوا في الدنيا مغمومين، وأمسوا فيها مكروبين مع عقول صحيحة ويقين ثابت وقُلوب شاكرة، وألسن ذاكرة، وأبدان وجوارح مطيعة، أصل صدق ونصح وسلامة، وذكر، وحياء، وصبر، وتوكل، ورضا، وإيمان، عقلوا عن الله أمره فشغلوا

الجوارح فيما أمروا به، وقطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق، وهجروا الهوى بدلالات العقول، وتمسكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن، ولهم في كل تارة منها دمعة ولده وفكره وعبره لهم مقام على المزيد للزيادة. فرحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين.

وقال أيضاً في نعت السائرين أصحابُ النُّجُبِ والحُجُبِ رضوان الله عليهم وروحه وريحانه

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور بن محمد، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال:

سمعت ذا النون يقول:

« إنّ لله عباداً فتقوا الحُجُب، وعلوا النُّجب، حتى كشفت لهم الحجب، فسمعوا كلام الرب.

« إنّ لله عباداً على الأرائك يسمعون كلام الله إذا كلم المحبين في المشهد الأعلى، لأنهم عبدوه سراً فأوصل إلى قلوبهم طرائف البر. عملوا ببعض ما علموا، فلما وقفوا في الظلام بين يديه هدى قلوبهم إلى ما لا يعلمون فحسرت ألبائهم لمعرفة الوقوف بين يديه.

وقال أيضاً في نعت العابدين أهل الرياضة

وبالإسناد:

عن محمد بن أحمد الشمشاطي قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

إن لله عباداً أسكنهم دار السلام فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام، وأغمضوا الجفون عن مناظرة الآثام، وقيدوا الجوارح عن فضول الآثام وطووا الفرش وقاموا على الأقدام في جفون الظلام. فطلبوا الحور الحسان من الحي الذي لا ينام، فلم يزالوا في نهارهم صياماً، في ليلهم قياماً، حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام.

وقال في نعت الخائفين وحلية أهل الخشية الخاشعين

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن إبراهيم حدثني سالم بن جميل الواسطي قال: سمعت الشمشاطي يقول: قال ذو النون: وقد ذكر ما ذكر الله لموسى في أوليائه وهو ما ذكرناه في باب الوصايا والنصائح، فقال ذو النون:

هم يا أخي قوم قد ذوّب الحزن أكبادهم، ونحل الخوف أجسامهم، وغيّر السهر ألوانهم، وأقلق خوف البعث قلوبهم، قد سكنت أسرارهم إليه، وتذللت قلوبهم عليه فنفوسهم عن

الطاعة لا تَسْلو وقلوبهم من ذكره لا تخلو، وأسرارهم في الملكوت تعلو لخشوع يخشع إذا سكتوا. والدموع تخبر عن خفي حرقهم إذا كمدوا، وقد سدوا فرج الشهوات بحلاوة المناجاة، فليس للغفلة عليهم مدخل، ولا للهوى فيهم مطمع، وقد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات، وحالت العصمة بينهم وبين اللذّات، فهم على بابه يكون، وإليه يكون، ومنه يكون فيا طوبى للعارفين ما أهنأ عيشهم، وما ألذّ شربهم، وما أجل حبيبهم.

وقال في نعت الصادقين في أحوالهم مع الله سبحانه

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال: سمعت ذا النون يقول:

إن لله عباداً عاملُوهُ بالتصديق فغداً يسلمون من صراط دقيق، ويفتح لهم حجاب المضيق، ويسامحهم الشفيق الرفيق، جعلوا الصيام غداً يسكنون مع الحور في الشرفات، ويأكلون مما اشتهت أنفسهم من الشهوات في جنات عدنٍ مع القاصرات، وقد أتاهم جبريل بالزيادة من صاحب السموات فمن مثل هؤلاء القوم، وقد كشف لهم حجاب عالم الخفيات، ونظر إليهم صاحب البر والكرامات.

وبالإسناد: في نعت الثائرين

وقال ذو النون: إن لله عباداً علموا أن الطريق إليه، والوقوف غداً بين يديه، فثارت القلوب إلى محجوب الغيوب فتجرعوا مرارة مذاق خوف المخافات، واستغنموا الظلام في رضا صاحب السموات، فسقاهم من أعين النعم والزيادات، وغوصهم في بحار السلامات، فهم غداً يسلمون من أهوال الزلازل والسطوات، فيسكنون الغرفات.

وبالإسناد: في نعت المهمومين

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان.

قال أحمد بن عبد الله وحدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد قال: قرأت على أبي الفضل محمد بن أحمد بن سهل، حدثكم أبو عثمان سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون، وسأله الحسن بن محمد عن صفة المهمومين فقال له ذو النون:

لو رأيتهم لرأيت قوماً لهم همومٍ مكنونة، خدمت من لباب المعرفة، فإذا وصلت المعرفة إلى قلوبهم سقاهم بكأس سرّ الشيء من مؤانسة سرّ محبته، فهاموا بالشوق على وجوههم فعندما لا يحطون رحال الهم، إلا بفناء محبوبهم، فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد أزعجتهم الهمم عن

أوطانهم، وثبتت الأحزان في أسرارهم فهممهم إليه سائرة وقلوبهم إليه من الشوق طائرة قد أضجعهم الخوف على فرش الأسقام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطع نياط قلوبهم كثرة بكائهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الوَله إليه، قد هَدّ أجسامهم الوعيد، وغيّر ألوانهم السهر الشديد، إلى الهرب من المواطن والمساكن والأغلاق، إلى أن تفرقوا في الشواهق والغياض والآكام، أَكْلُهُم الحشيش وشربهم الماء القراح، يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام، فرحين في خلواتهم لا تفتر لهم جارحة في الخلوات ولا تستريح لهم قدم تحت ستور الظلمات، فيا لها نفوس طاشت بهممها، والمسارعة إلى مجيئها فما أملت من اتصال النظر إلى ربها نظرت فآنست ووصلت وعرفت ما أراد بها فركبت النُّجب، وفتقت الحُجب حتى كشفت عن هممها الكرب، فنظرت بِهِمَم مَحبّتِها إلى وجه الله الواحد القهار.

ثم أنشأ ذا النون يقول:

رجالٌ أطاعوا اللّه في السّرّ والجهر   فما شربوا اللّذّات حيناً مِن الدّهْرِ
أُناسٌ عليهم رحمةُ اللّه أُنزلتْ   فظلُّوا سُكُوناً في الكُهُوف وفي القفْرِ
يُراعون نجْم اللّيل لا يرقُدونهُ   فباتوا بإدْمان التّهجّد والصّبْرِ
فداخل همّ القوْم للخلْق وحْشةٌ   فصاح بهم أنْسُ الجليل إلى الذِّكْرِ
فأجسامُهُم في الأرْض هوْناً مُقيمةٌ   وأرواحُهُم تسْري إلى مَعْدن الفخْرِ
فهذا نعيمُ القوْم إنْ كُنْت تبْتغي   وتغْفلُ عنْ موْلاكَ آداب ذي القدْرِ

ومن روايته في هذا الباب

ما حدثنا به عبد العزيز بن أبي نصر، عن يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا ظفر بن الحسين الصوفي، ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو الحسين الرازي، ثنا يوسف بن الحسين. قال: سمعت ذا النون يقول: سمعت عابداً يقول: إنَّ للّه عباداً أبصروا فنظروا، فلما نظروا عقلوا، فلما عقلوا علموا، فلما علموا انتفعوا، فلما انتفعوا نفعوا، فلما نفعوا رُفع الحجاب فيما بينهم وبينه، فنظروا بأبصار قلوبهم إلى ما ذُخر لهم من خفي محجوب الغيوب فقطعوا كل محجوب، وكان هو المنى والمطلوب.

وسيرد من هذا الباب كثير إذا ذكرنا من لقي من العابدين والعابدات في البلدان والبراري والجبال وسواحل البحار وغير ذلك إن شاء الله.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله.

أنشدنا عثمان بن محمد العثماني قال: أنشدني العباس بن أحمد لذي النون المصري رحمه الله:

إذا ارْتَحَلَ الكِرَامُ إلَيْكَ يَوْماً ... لِيَلْتَمِسُوكَ حَالاً بَعْدَ حَالِ

فَإنَّ رِحَالَنَا حُطَّت لِتَرْضَى ... بِحُكْمِكَ عَنْ حُلُولٍ وارْتِحَالِ

أَنِخْنَا فِي فِنَائِكَ يَا إلَهِي ... إلَيكَ مُعَرِّضِينَ بِلاَ اعْتِلاَلِ

فَسُسْنَا كَيْفَ شِئْتَ وَلاَ تَكِلْنَا ... إلَى تَدْبِيرِنَا يَا ذَا المَعَالِي

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الحسين بن علي بن خلف قال: سمعت إبراهيم بن خلف قال: سمعت إسرافيل يقول: أنشدنا ذو النون بن إبراهيم المصري:

تَرَنُّحُ مُرَاضٍ وَخَوْفُ مُطَالَبٍ ... وإشْفَاقُ مَهْمُومٍ وَحُزنُ كَئِيبِ

وَلَوْعَةُ مُشْتَاقٍ وزُفْرَةُ وَالِهٍ ... وَسَقْطَةُ مِسْقَامٍ بِغَيْرِ طَبِيبِ

وفِكْرَةُ جَوَّالٍ وفِطْنَةُ غَائِصٍ ... لِيأخذ مِنْ طِيبِ الصَّفَا بِنَصِيبِ

أَلَمَّتْ بِقَلْبٍ حَيَّرَتْهُ طَوَارِقٌ ... مِنَ الشَّوْقِ حَتَّى ذَلَّ ذُلَّ غَرِيبِ

يُكَاتِمُ لِي وَجْداً وَيُخْفِي مَحَبَّةً ... ثَوَت فَاسْتَكَنَّتْ فِي فُؤَادِ لَبِيبِ

خَلاَ فَهْمُهُ مِنْ فَهْمِهِ لِحُضُورِهِ ... فَمِنْ فَهْمِهِ فَهْمٌ عَلَيْهِ رَقِيبُ

يَقُولُ إذَا مَا شَفَّهُ الشَّوْقُ واحدى ... بِكَ العَيْشُ يَا أُنْسَ المُحِبِّ يَطِيبُ

فَهَذَا لَعَمْرِي عَبْدٌ صَادِقٌ مُهَذَّبٌ ... صَفَا فَاصْطَفَى فَالرَّبُّ مِنْهُ قَرِيبُ

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أحمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري ـ وذكر يوماً علو المراتب، وقرب الأولياء وفوائد الأصفياء، وأنس المحبين ـ فأنشأ يقول:

وفُتْحُ الإلَهِ فِي غَيْبِ أُنْسٍ ... مَلَكَ القَدرَ خَادِمُ الذي عَبْدُ

هُو عَبْدٌ وَرَبُّه خَيْرُ رَبٍّ ... مَا لِقَلْبِ الفَتَى عَنِ اللهِ صَدُّ

وأنشد ذو النون في باب التوكل

أنبأ عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد قال: قرئ على أبي الحسن الرازي قال: قرئ على ابن الحسين قال: قال ذو النون:

يَجُولُ الغِنَى والعِزُّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... لِيَسْتَوْطِنَا قَلْبَ امْرِئٍ إنْ تَوَكَّلاَ
وَمَنْ يَتَوكَّل كَانَ مَوْلاهُ حَسْبَهُ ... وَكَانَ لَهُ مِمَّا يُحَاوِلُ مَعْقِلا
إذا تَطَيَّبَتْ نَفْسِي بِمقْدور حظها ... تَعَالتْ فَكَانَتْ أَكْبَرَ النَّاس مَنْزِلاً

ولذي النون من باب القناعة

وبالإسناد:

لبِسْتُ بِالْعِفَّةِ ثَوْبَ الغِنَى ... فَصِرتُ أَمْشي شَامِخَ الرَّأسِ
أنطق لِي الصَّبْرُ لِسَانِي فما ... أخضع بالقولِ لِجُلاَّسِي
إذَا رَأيتُ التِّيه مِنْ ذِي الغِنَى ... تُهْتُ علَى التَّائِهِ بِاليأس

وقال أيضاً في باب التَّقَشُّف:

بالإسناد:

لِذَّ قَوْمٌ فَأَسْرَفُوا وَرِجَالٌ تَقَشَّفُوا
جَعَلُوا الهَمَّ واحِداً وَمَضُوا كَمَا كَانُوا
بِالفِتيانِ جَنَّةٌ آثَروهَا فَأُسْعِفُوا

وقال أيضاً في:

باب نعت قلوب العارفين

أخبرنا محمد بن اسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا ثنا حَمَدُ بن أحمد قال أحمد بن عبد الله، قال ثنا محمد بن محمد بن مقسم، قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف يقول: قال لي إسرافيل أنشدني ذو النون:

مَجَالُ قُلُوبِ العَارِفِينَ بِرَوْضَةٍ ... سَمَاوِيَّةٍ مِنْ دُونِها حُجُبُ الرَّبِّ
مُعَسْكَرِهَا فِيهَا ومَجْنَى ثِمَارِهَا ... تَنَسَّمُ رَوحُ الأُنْسِ بِاللَّهِ مِنْ قُرْبِ
تَكَنَّفَها مِنْ عَالِمِ السِّرِّ قُرْبَةٌ ... فَلَولا مَدَى الآجالِ مَاتَتْ مِن الحُبِّ
وأَرْوِي صَدَاهَا صِرْفَ كَاسَاتِ حُبّهِ ... وَبَرْدِ نَسِيمٍ جَلَّ عَنْ مُنْتَهَى الخَطْبِ
فَيَا لِقُلُوبٍ قُرِّبَتْ فَتَقَرَّبَتْ ... لِذِي العَرْشِ مِمَّنْ زَيَّنَ المُلْكَ بِالقُرْبِ
رَضِيهَا فَأرْضَاهَا فَحَازَتْ[1] مَدَى الرِّضَا ... وَحَلَّتْ مِنَ المحْبُوبِ بِالمَنْزِلِ الرَّحْبِ
لَهَا مِنْ لَطِيفِ الفَهْمِ عَزْمٌ سَرَتْ بِهِ ... وَتَهتِكُ بِالأفكَارِ مَا دَاخَلَ الحُجُبِ

(١) غير واضحة في نسخة المخطوط.

أنشدنا عثمان بن محمد العثماني قال: أنشدني العباس بن أحمد لذي النون المصري رحمه الله:

إِذَا ارْتَحَلَ الكِرَامُ إِلَيْكَ يَوْماً ... لِيَلْتَمِسُوكَ حَالاً بَعْدَ حَالِ

فَإِنَّ رِحَالَنَا حُطَّتْ لِتَرْضَى ... بِحُكْمِكَ عَنْ حُلُولٍ وارْتِحَالِ

أَنِخْنَا فِي فِنَائِكَ يَا إِلَهِي ... إِلَيكَ مُعَرِّضِينَ بِلاَ اعْتِلاَلِ

فَسُسْنَا كَيْفَ شِئْتَ وَلاَ تَكِلْنَا ... إِلَى تَدْبِيرِنَا يَا ذَا المَعَالِي

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الحسين بن علي بن خلف قال: سمعت إبراهيم بن خلف قال: سمعت إسرافيل يقول: أنشدنا ذو النون بن إبراهيم المصري:

تَرَجُّعِ مراضٍ وَخَوْفُ مُطَالِبِ ... وإشفاقِ مَهْمُومٍ وَحُزن كَئِيبِ

وَلَوْعَةُ مُشْتَاقٍ وزُفْرَةَ وَالِهِ ... وَسَقْطَةُ مِسْقَامٍ بِغَيْرِ طَبِيبِ

وفِكْرَةِ جَوَّالٍ وفِطْنَةُ غَائِصٍ ... لِيأخذ مِنْ طِيبِ الصَّفا بِنَصِيبِ

أَلَمَّ بِقَلْبٍ حَيَّرَتْهُ طَوَارِقٌ ... مِنَ الشَّوْقِ حَتَّى ذَلَّ ذُلَّ غَرِيبِ

يُكَاتِمُ لِي وَجْداً وَيُخْفِي مَحَبَّةً ... ثَوَتْ فَاسْتَكَنَّتْ فِي فُؤَادِ لَبِيبِ

خلا فَهْمُهُ مِنْ فَهْمِهِ لِحُضُورِهِ ... فَمِنْ فَهْمِهِ فَهْمٌ عَلَيْهِ رَقِيبُ

يَقُولُ إذا مَا شَفَّهُ الشَّوْقُ واحدي ... بِكَ العَيْشُ يا أُنْسَ المُحِبِّ يَطِيبُ

فَهذا لَعَمْرِي عَبْدٌ صَادِقٌ مُهَذَّبٌ ... صَفَا فَاصْطَفَى فَالرَّبُّ مِنْهُ قَرِيبُ

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أحمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري ـ وذكر يوماً علو المراتب، وقرب الأولياء وفوائد الأصفياء، وأنس المحبين ـ فأنشأ يقول:

وَمُحِبُّ الإِلَهِ فِي غَيْبِ أُنْسٍ ... مَلَكَ القَدرَ خَادِمُ الذي عَبَدْ

هو عَبْدٌ وَرَبُّهُ خَيْرُ رَبٍّ ... مَا لِقَلْبِ الفَتَى عَنِ اللهِ صَدْ

وأنشد ذو النون في باب التوكل

أنبأ عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد قال: قرئ على أبي الحسن الرازي قال: قرئ على ابن الحسين قال: قال ذو النون:

يَجُولُ الغِنَى والعِزُّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لِيَسْتَوْطِنَا قَلْبَ امْرِئٍ إنْ تَوَكَّلا
وَمَنْ يَتَوَكَّل كَانَ مَوْلاهُ حَسْبَه وَكَانَ لَهُ مِمَّا يُحَاوِلُ مَعْقِلا
إِذَا نَضَيْتْ نَفْسِي بِمَقْدُور حظها تَعَالَتْ فَكَانَتْ أكبرَ النَّاس مَنْزِلاً

ولذي النون من باب القناعة

وبالإسناد:

لبِسْتُ بِالْعِفَّةِ ثَوْبَ الغِنَى فَصِرتُ أَمْشِي شَامِخَ الرَّأْسِ
أنطق لِي الصَّبْرُ لِسَانِي فَمَا أخضع بِالقَوْلِ لِجُلاَّسِي
إِذَا رَأَيْتُ التِّيهَ مِنْ ذِي الغِنَى تُهْتُ عَلَى التَّائِه بِاليَأسِ

وقال أيضاً في باب التَّقَشُّف:

بالإسناد:

لَذَّ قَوْمٌ فَأَسْرَفُوا وَرِجالٌ تَقَشَّفُوا
جَعَلُوا الهَمَّ واحِداً وَمَضُوا كَمَا كَانُوا
بِالفِتْيَانِ جَنَّةٌ آثَرُوهَا فَأُشْعِفُوا

وقال أيضاً في:

باب نعت قلوب العارفين

أخبرنا محمد بن اسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا ثنا حَمْدُ بن أحمد قال أحمد بن عبد الله، قال ثنا محمد بن محمد بن مقسم، قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف يقول: قال لي إسرافيل أنشدني ذو النون:

مَجَالُ قُلُوبِ العَارِفِين بِرَوْضَةٍ سَمَاوِيَّةٍ مِنْ دُونِهَا حُجُبُ الرَّبِّ
مُعَسْكَرِهَا فِيهَا ومَجْنَى ثِمَارُهَا تَنَسَّم رُوحَ الأُنْسِ بِاللَّه مِنْ قُرْبِ
تَكَنَّفَهَا مِنْ عَالِمِ السِّرِّ قُرْبَةٌ فَلَوْلا مَدَى الآجَالِ مَاتَتْ مِن الحُبِّ
وأرْوِي صَدَاهَا صِرْفَ كَاسَاتِ حُبِّه وَبَرْدِ نَسِيمٍ جَلَّ عَنْ مُنْتَهَى الخَطْبِ
فَيَا لِقُلُوبٍ قَرُبَتْ فَتَقَرَّبَتْ لِذِي العَرْشِ مِمَّنْ زَيَّنَ المِلْكَ بِالقُرْبِ
رَضِيهَا فَأَرْضَاهَا فَحَازَتْ[1] مَدَى الرِّضَا وَحَلَّتْ مِنَ المَحْبُوبِ بِالمَنْزِلِ الرَّحْبِ
لَهَا مِنْ لَطِيفِ الفَهْمِ عَزْمٌ سَرَتْ بِهِ وَتَهتك بِالأَفْكَارِ مَا دَاخِل الحُجُبِ

---

(١) غير واضحة في نسخة المخطوط.

فَإِنْ فَقَدت خَوفَ الفُرَاقِ لإِلفِهَا إذا مِتُّ حِينا تَطْلُبَ الأُنسَ مِنْ قُرْبِ
سَرَى سِرُّهَا بَيْنَ الحَبِيبِ وَبَيْنِهَا وأضحى مَصُوناً عَنْ سِوى الرَّبِّ فِي القَلْبِ

قال أيضاً في:

باب الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك بن محمود قال أنبأ أبو بكر بن الغزال قال: ثنا حَمَدُ بن أحمد قال ثنا أحمد بن عبد الله قال: ثنا في كتابه محمد بن أحمد البغدادي أبو بكر وقد رأيته، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال: أنشدني محمد بن عبد الملك بن هاشم لذي النون بن إبراهيم المصري رحمة الله عليه:

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لاَ نَفَاذَ لَهُ حَمْداً يَفُوتُ مَدَى الإِحْصَاءِ والعَدَدِ
وَيَعْجِزُ اللَّفظُ والأَوْهَامُ مَبْلَغَهُ حَمْداً كَثِيراً كَإِحصَاءِ الوَاحِدِ الصَّمَدِ
مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِينِ خُلِقَتْ وَوَزْنُهُنَّ وَضِعْفُ الضِّعْفِ فِي العَدَدِ
وَضِعْفُ مَا كَانَ أَوْ مَا قَدْ يَكُون إلى يَوْمِ القِيَامَةِ أَوْ يَفْنَى مَدَى الأَبَدِ
وَضِعْفُ مَا دَارَتِ الشَّمْسُ الشُّرُوقُ بِهِ وَمَا اختَفَى فِي سَمَاءٍ أَوْ ثَرى جُدَدِ
وضِعْفُ أَنْعُمِهِ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ وَكُلِّ نَفْسٍ واكْتِسَابِ يَدِ
شُكْراً لِمَا خَصَّنَا مِنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ مِنَ الهُدَى ولِطيبِ الصُّنْعِ والرِّفَدِ
رَبِّي تَعَالَى فَلاَ شَيءٍ يُحِيطُ بِهِ وَهُوَ المُحِيطُ بِنَا فِي كُلِّ مُرْتَصَدِ
لا الأَيْنِ والحَيْثُ والتَّكْيِيفُ يُدْرِكُهُ وَلاَ يَحِدُّ بِمِقْدَارٍ وَلاَ أَمَدِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُهُ حَدٌّ وَلَمْ تَرَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ فِي المِثْلِ مِنْ أَحَدِ؟
أَمْ كَيْفَ يُدْرِكُهُ وهم بِلاَ سِنَةٍ وَقَدْ تَعَالَى عَنِ الأَشْبَاهِ وَالوَلَدِ
مَن أَنْشَأَ الشَّيءَ قَبلَ الكَوْن مُبْتَدِعاً مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ قَدِيمٍ كَانَ فِي الأَبَدِ
وذَهَرِ الدَّهْرِ والأَوْقَاتِ واخْتَلَفَتْ بِمَا يَشَاءُ فَلَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
إِذْ لا انْتِمَاءَ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ شَبَحٍ فِي الكَوْن سُبْحَانَهُ مِنْ قَاهِرٍ صَمَدِ
مَا ازْدَادَ بِالخَلْقِ مُلْكاً حِين أَنْشَأَهُم فَلاَ يُرِيدُ بِهِم دَفْعاً لِمُضْطَهَدِ
وَكَيْفَ وَهُوَ غَنِيٌّ لاَ افْتِقَارَ لَهُ وَالخَلْقُ يَضْطَرُّ بِالتَّصْرِيفِ وَالأَوَدِ
وَلَمْ يَدَعْ خَلْقَ مَا لَمْ يُبْدِ خِلْقَتَهُ عَجْزاً عَلَى سُرْعَةٍ مِنْهُ ولا تُؤَدِ
إِحَاطَةً بِجَمِيعِ الغَيْبِ عَنْ قَدَرٍ أَحْصَى بِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ وَمُفْتَقَدِ
وَكُلُّهُم بِاضْطِرَارِ الفَقْرِ مُعْتَرِفٌ إِلَى فَوَاضِلِهِ فِي كُلِّ مُعْتَمَدِ

العالم الشيء في تصريف حالته ... ما عاد منه وما يمضي ولم يعد

ويعلم السرّ من جوى القلوب وما ... يخفى عليه خفي خالٍ وفي خلد

ويسمع الحسّ من كلّ الورى ويرى ... مدارج الذرّ في صفوانه الجلد

وما توارى عن الأبصار في ظلم ... تحت الثرى وقرار الغمر والثمد

الأوّل الآخر الفرد المهيمن لم ... يعزب ولم يذكر في القرب والبعد

دانٍ علي عليم لا زوال له ... ولم يزل أزلياً غير ذي فقد

وجلّ في الكنه عن وصف الصفات عن ... مقال ذي الشكّ والإلحاد والفند

من لا يجازى بنعمى من فواضله ... ولم تبله تمدح وصف مجتهد

وكلّ فكرة مخلوق إذا اجتهدت ... بمدحة لم تنل إلا إلى بلد

مسبّح بلغات العارفات به ... لم تدر ما غيره ربّاً ولم تجد

الفالق النور والظلمات وهي على ... ما تقاذف بالأمواج والزبد

إذ مدّها مدّ فوق الريح منشئها ... فسبّحت وهي فوق الماء في ميد

وشدّها بالجبال الصمّ فاطأدت ... أركانها بشداد الصخر والجلد

برا السموات سقفاً ثم أنشأها ... سبعاً طباقاً بلا عون ولا عمد

تقلّهن مع الأراضين قدرته ... وكلّ ذلك لم يثقل ولم يؤد

وبثّ فيها صنوفاً من بدايعه ... من الخلائق من مثنى ومن وحد

من كلّ جنس برا أصنافه ... وذر أشباحه بين مكسو ومنجرد

فيها الملائك بالتسبيح خاضعة ... لا يسأمون طوال الدهر والأمد

فمنهم تحت سوق العرش أربعة ... كالثور والنسر والإنسان والأسد

فكلّ ذي خلقة يدعو المشبهة ... في الخلق بالعيشة المرضية الرغد

يرى السماء بروجاً من كواكبها ... يجرين في فلك الأفلاك في كبد

منها جواد ومنها راكد أبداً ... والقطب في مركز منهنّ كالوتد

والشهب تحرق فيما بينهنّ إلى ... قذف الشياطين من جناتها المرد

وكلّ مسترق للسمع يتبعه ... منها شهاب نجوم دائم الرصد

ويرفع الغيم في إعصارها فترا ... فيها الصواعق بين الماء والبرد

على هواء دقيق في لطافته ... يجيء به كلّ ذي روح وذي جسد

وصيّر الموت فوق الخلق لا نجا ... منه ولا هرب منه إلى سند

فالموت مبيت وكلّ هالكون خلا ... وجه الإله الكريم الدائم الصمد

أَفْنَى الْقُرُونَ وَأَفْنَى كُلَّ ذِي عُمُرِ كَعُمْرِ نُوحٍ وَلُقْمَانٍ أَخِي لُبَدِ
يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو عَفْوٍ وَمَغْفِرَةٍ فَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ الْمَوْقِفِ النَّكِدِ
وَاجْعَلْ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَوْئِلَنَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالأَبْرَارِ فِي الْخُلْدِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزِّ مِنْ مَلِكٍ مَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِ رَبِّ الْعِبَادِ هُدِي

ومن روايته في نعت العارفين

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا ابن مقسم قال سمعت أبا محمد يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول: سمعت بعض المُتعبّدين بساحل بحر الشام يقول:

إن لله عباداً عَرَفوه بيقين من معرفته فشمروا قصداً واحتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان، وتنعّموا بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، وما تزودوا منها إلا كزاد راكب، خافوا البيات فأسرعوا، ورجوا النجاة فأزمعوا، بذلوا مُهَج أنفُسهم في رضا سيدهم، نصبوا الآخرة نصب أعينهم وأصغوا إليها بآذان قلوبهم، فلو رأيتهم رأيت قوماً ذبلاً شفاههم، خمصاً بطونهم، حزينة قلوبهم ناحلة أجسامهم، باكية أعينهم لم يصحبوا العلل والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف لبسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قفاراً خالية، هربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الأخدان، فلو رأيتهم رأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب، خمص لطول السرى، شُعْثٌ لفقد الكرى، قد وصلوا الكلال بالكلال، وتأهبوا للنقلة والارتحال رضي الله عنهم.

باب في ذكر من لقي من العابدين المجتهدين والعابدات بالبلاد والسواحل والجبال والشعاب وما نقل عنهم، من الأحْوال رضوان الله عليهم ورحمته، وروحه وريحانه

فمنهم رضي الله عنهم شابٌ كان حضر مجلسه رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال ثنا أحمد بن أحمد المتوكل قال ثنا أحمد بن علي بن ثابت، ثنا علي بن القسم الشاهد قال: سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري مدة ثم انقطع عنه زماناً ثم حضر عنده وقد اصفرَّ لونه ونحل جسمه وظهرت آثار العبادة عليه والاجتهاد، فقال له ذو النون:

يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحك بها، ووهبها لك واختصك بها؟ فقال الفتى: يا أستاذ، وهل رأيت عبداً اصطنعه مولاه من بين عبيده واصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن ثم أسرّ إليه سراً أيحسن أن يفشي ذلك السرّ ثم أنشأ يقول:

مَنْ سَارَرُوه فأَبْدى السّرّ مُجتهداً   لَمْ يَأْمَنُوهُ عَلَى الأَسْرارِ مَا عَاشَا
وَبَاعَدُوهُ فَلَمْ يَشْعُدْ بِقُرْبِهِمْ   وأَبْدَلُوهُ مِنَ الإِينَاسِ إِيحَاشَا
لاَ يَصْطَفُونَ مُذِيعاً بَعْضَ سِرِّهِمْ   حَاشَا وِدَادِهِم مِنْ ذَلِكُم حَاشَا

أخبرنا: الشاب في هذه الحكاية ذا النون من حيث لا يشعر الحاضرون أنه أفاده علم الأسماء الإلهية، ثم أسر إليه من جملة ما أسرّ إشارة إلى الكتمان فإن المجالس بالأمانة وهذا جليس الحق فأخبر أنه الأمين العليم.

ومنهم رضي الله عنهم شاب اجتمع به في مجلسه الكريم رضي الله عنهما

أخبرنا محمد بن إسماعيل قال ثنا أبو الفرج بن علي قال: ثنا أبو بكر بن حبيب العامري قال: ثنا علي بن أبي صادق قال: ثنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال: ثنا بكر بن أحمد الجيلي قال: سمعت يوسف بن الحسين قال: كنت قاعداً بين يدي ذي النون وحَوْلَه ناس وهو يتكلم عليهم والناس يبكون وشاب يضحك فقال له ذو النون: ما لك أيها الشاب الناس يبكون؟

فأنشأ يقول:

كُلُّهُم يَعْبُدونَ مِنْ خَوْفِ نَارٍ   وَيَرونَ النَّجَاةَ حَظّاً جَزِيلا
لَيْسَ لِي فِي الجِنَانِ والنَّارِ رَأْيٌ   أَنَا لاَ أَبْتَغِي بِحُبِّي بَدِيلا

فقال له: فإن طردك فماذا تفعل؟

فأنشأ يقول:

فَإِذا لَمْ أَجِدْ مِنَ الحُبِّ وَصْلا   رُمتُ فِي النَّارِ مَنْزِلاً وَمَقِيلا
ثم أعجبت أَهْلَهَا بِبُكَائِي   بُكْرَةً فِي ضَرِيعِهَا وَأَصِيلا
مَعْشَرَ المُشْرِكِينَ نُوحُوا عَلَيَّ   أَنَا عَبْدٌ خَشِيتُ مَوْلَى جَلِيلا
لَمْ أَكُنْ فِي الذي ادَّعيْتُ مُحِبّاً   فَجَزائِي مِنهُ العَذَابَ الطَّوِيلا

ومنهم شاب عجمي غريب اجتمع به في مسجده رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن إسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال، ثنا عمر بن ظفر

قال، ثنا جعفر بن أحمد السراج، ثنا عبد العزيز بن علي الأزجي، ثنا علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا عباس بن أحمد، حدثني عيسى بن محمد، حدثني أحمد بن علي الاخميمي قال:

كنا ذات يوم عند ذي النون وقد ذكر كرامات الله عزّ وجلّ لأوليائه فقال بعض من حضره: أنت رأيت منهم أحداً يا أبا الفيض.

فقال ذو النون: كان عندي فتى من أهل خُراسان أعجمي، بقي عندي في المسجد، سبعة أيام لا يطعم الطعام، وكنت أعرض عليه، فبينا نحن ذات يوم دخل سائل يطلب شيئاً فقال له السائل: ما لي إلى هذا المكان.

فقال له الخراساني: أي شيء تريد؟

فقال: ما سد فاقتي، وستر عورتي. فقام الخُراساني إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتاه بثوب جديد، وطبق فيه فاكهة فأعطاه السائل.

قال ذو النون: فقلت له: يا عبد الله لك هذا الجاه عند الله عزّ وجلّ وأنت منذ سبعة أيام لم تطعم شيئاً، فجثى على ركبتيه وقال: يا أبا الفيض كيف تنبسط الألسن بالمسألة، والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه.

قال ذو النون: فقلت له: فالراضون لا يسألون شيئاً.

فقال: منهم من يسأل من باب الإدلال، ومنهم من يملؤه غنًى به، ومنهم من يستخرج المسألة منه عطفة على غيره.

ثم أقيمت الصلاة فصلى معنا عشاء الآخرة، وأخذ ركوته وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة فلم أره بعد ذلك.

ومنهم رضي الله عنهم عابد دخل عليه في معبده بالمغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد قال: قرىء على أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: قال ذو النون: دخلت على بعض متعبدي المغرب.

فقلت له: كيف أصبحت.

فقال: أصبحت في بحابح نعمه أجول وبلسان فضله وإحسانه أقول، نعماؤه على باطنه وظاهره وغصون رياض بمواهبه عليّ مشرقةٌ زاهرة.

ومنهم رضي الله عنهم عابد لقيه ببيت المقدس شرفه الله

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن بعد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول: نظرت إلى رجل في بيت المقدس قد استفرغه الوله.

فقلت له: ما الذي أثار منك ما أرى؟ قال: ذهب الزهاد والعباد بصفو الإخلاص، وبقيت في كدر الانتقاص فهل من دليل مرشد أو من حكيم موقظ.

ومنهم رضي الله عنهم شاب سجّاد لقيه عند الكعبة المعظمة

أخبرنا عبد الوهاب بن علي، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن عن أبيه، ثنا محمد بن عبد الله الصوفي، ثنا بكران بن أحمد الجيلي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فقال: أنتظر الإذن من ربي في الانصراف قال: فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر يؤيد هذه الحكاية قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾[1].

ومنهم رضي الله عنهم مفلوج مجذوم كان بمصر حماها الله

أخبرنا أبو الثناء عماد الدين محمود، ثنا تاج الإسلام الحسين بن خميس. قال: روينا عن ذي النون المصري أنه خرج بمصر يستسقي استعان بمفلوج قد قطع الجذام يديه ورجليه. وسأله أن يستسقي فنظر المفلوج إلى السماء وضحك.

وقال: بقرب كان بيننا البارحة ثم قال: إلهي خلقتني ورزقتني وسترتني

وعن العبادِ بفضل ما خوّلتني أغنيتني
وإذا مرضتُ شفيتني وإذا دعوتُ أجبتني
وإذا هربتُ رددتني وإذا زللتُ أقلتني
وإذا عصيتُ رحمتني وإذا اطّلعتُ جزيتني

ثم قال: يا ذا النون: إن الله تعالى يريد قرب القلوب لعمل الجوارح.

قال: فمطرنا كأفواه القِرَب.

---

(١) سورة يونس، الآية رقم (٦٤).

ومنهم رضي الله عنهم شيخة ذي النون وأستاذته فاطمة النيسابورية[١] عارفة وقتها

قال السلمي: أتى إليها أبو يزيد البسطامي على جلالة قدره، وكان أبو يزيد البسطامي يقول: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة، والمرأة فاطمة النيسابورية ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عياناً.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن عبد الباقي.

قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب[٢]، ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، قال أحمد بن محمد بن مقسم إجازة قال: سمعت محمد بن الحسن بن علي بن خلف قال:

سمعت ابن مُلوك وكان شيخاً كبيراً رأى ذا النون المصري قال: وسألته من أجلّ من رأيت؟

قال: ما رأيت أحداً أجلّ من امرأة رأيتها بمكة يقال لها فاطمة النيسابورية كانت تتكلم في فهم القرآن فتعجبت منها فسألت ذا النون عنها.

فقال: هي ولية من أولياء الله تعالى: وهي أستاذتي فسمعتها تقول: من لم يكن الله عزّ وجلّ منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص.

قال: وقالت فاطمة: الصادق والمقرب في بحر تضطرب عليه أمواجه، يدعو ربه دعاء الغريق، يسأل ربه الخلاص والنجاة.

وقالت فاطمة: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص.

ينظر هذا الكلام إلى مقام الإحسان الذي سأل عنه جبريل محمد عليهما الصلاة والسلام.

---

(١) (فاطمة النيسابورية) كانت من المصطفيات العابدات، وهي أستاذة ذي النون المصري، وزارها أبو يزيد البسطامي، وقال: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة، وما حدثتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عياناً. كانت مقيمة بمكة، توفيت رضي الله عنها سنة ٢٢٣هـ.

انظر ترجمتها في: الشعراني: **الطبقات الكبرى**، ١/٥٦، النبهاني: **جامع الكرامات**، ٢/٢٣٢، المناوي: **الكواكب الدرية**، ١/٤٧٤، السلمي: **ذكر النسوة المتعبدات**، ٣٠/٦٠.

(٢) (رزق الله بن عبد الوهاب) بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد، أبو محمد التميمي، البغدادي، الحنبلي، المقرئ، الفقيه الواعظ، قال الذهبي في طبقات القراء: ولد سنة ٤٠٠هـ وقرأ القرآن على أبي بكر الحمامي، وسمع من أبي الحسين أحمد بن المتيم، وأبي عمر بن مهدي وجماعة وكان إماماً مقرئاً وفقيهاً ومحدثاً. توفي، رحمه الله في النصف من جمادى الأولى سنة ٤٨٨هـ عن ثمان وثمانين سنة.

انظر ترجمته في: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٤/١٢٠٨، الداودي: **طبقات المفسرين**، ١/١٧٧، رقم الترجمة (١٦٩).

فقال له: ما الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1].

والأول: مقام المشاهدة مطلقاً، صاحبها لا يتقيد بفعل فإنه في وقت رؤية الأفعال منه بالإيجاد.

والثاني: مقام المخلصين الذين خلصوا أفعالهم.

سألها ذو النون عن مسائل. وقال لها: عظيني وقد اجتمعنا بالبيت المقدس.

فقالت له: الزم الصدق، وجاهد نفسك في أفعالك.

كانت رضي الله عنها مُجاورة بمكة وربما رحلت إلى بيت المقدس ثم رجعت إلى مكة، ماتت فاطمة بمكة في طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة مُحبة لقيها متعلقة بأستار الكعبة تبكي

أخبرنا أبو محمد بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أبو نعيم بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثني محمد بن إبراهيم المذكر، ثنا العباس بن يوسف الشكلي، ثنا محمد بن يزيد[2] قال: سمعت ذا النون يقول:

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف إذا أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي ويقول في مكانه: كتمت بلائي من غيرك وبحت بسرِّي إليك، واشتغلت بك عمن سواك، عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك، ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك.

ثم أنشد يقول:

ذَوَّقْتني طَعْمَ الوِصَالِ فَزِدْتَني   شَوْقاً إِلَيْكَ مَخامِرُ الأَحْشَاءِ

---

(١) حديث: (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**)، رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن عمرو، وروي من غير حديثه أيضاً.

انظر العجلوني: **كشف الخفاء**، ٥٧/١، حديث رقم (١٤٠).

(٢) (محمد بن يزيد) الربعي، القزويني (أبو عبد الله بن ماجة الحافظ الثقة المعروف بإمامته في الحديث، وهو صاحب كتاب (السنن) المشهور، ولو لم يؤلف أو يكتب غيره لكفاه لأنه أحد الصحاح الستة المشهورة من كتب السنة. وغير ذلك له تفسير للقرآن وغير ذلك كثير، توفي رضي الله عنه سنة ٢٧٣هـ، من أهل قزوين.

انظر ترجمته في: ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**: ١٨٧، ابن العماد: شذرات الذهب، ١٦٤/٢، سنن ابن ماجة: المقدمة، طبعة الحلبي، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٨٩/٢، ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ٤٠٧/٣، ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ٥٣٠/٩، الداودي: **طبقات المفسرين**، ٢٧٣/٢، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٥٢/١١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٧/٣.

ثم أقبل على نفسه فقال أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما استحييت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت.

ثم قال: عزيزي ما لي إذا قُمْتُ بين يديك ألقيت علي النعاس، ومنعتني حلاوة مناجاتك لم قرة عيني لم؟

ثم أنشأ يقول:

رَوَّعَتَ قَلْبِي بِالفراقِ فَلَمْ أَجِدْ ... شيئاً أَمَرَّ مِنَ الفُراقِ وأوجعا

حَسْبُ الفراقِ بِأَنْ يُفرِّقَ بَيْنَنا ... ولَطَالَمَا قَدْ كُنْتُ مِنْهُ مُرَوَّعا

قال: فلَم أَتَمالك أن أتيت الكَعْبة مستخفياً فلما أحسّ بي تجلل بخمارٍ كان عليه ثم قال لي: يا ذا النون غض بصرك عن مواقع النظر فإني حرامٌ فعلمت أنها امرأة.

فقلت: والله لقد شغلني قولك عن كثير مما كنت فيه.

فقالت: ولم عافاك الله؟ أما علمت أن لله عباداً لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره، وأحبوا السكون، فاستحيت الجوارح من الكلام.

فقلت: يا أمَةَ الله متى تحوي الهموم قلب المحب؟

قالت: إذا كان للتذكار مجاوراً وللشوق محاضراً، يا ذا النون أما علمت أن الشوق يُورث السّقام وتجديد التذكار يورث الحزن.

ثم أَنْشَأَتْ تَقُول:

لَمْ أَذُقْ طَيِّبَ طَعْمِ وَصْلِكْ ... حَتَّى زَالَ عَنِّي مَحَبَّتِي لِلأَنَامِ

قال فأجبتها شعراً:

نِعْمَ الحُبُّ إذا تَزايَدَ وَصْلُه ... وَغَلَتْ مَحَبَّتُهُ بِعَقْبِ وِصَالِ

فقالت: أَوْجَعْتَني أوجعتني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه.

ومنهم رضي الله عنهم جارية عارفة لقيها متعلقة بأستار الكعبة المعظمة

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج بن علي، ثنا إبراهيم بن دينار[1] قال، ثنا اسماعيل

---

(١) (إبراهيم بن دينار) بن أحمد بن الحسين بن حامد بن إبراهيم النهرواني، الرزاز، الفقيه الحنبلي، الحكيم صاحب التصانيف في المذهب الحنبلي، شرح الهداية وكتب منه ٩ مجلدات ومات ولم يكمله سنة ٥٥٦هـ.
انظر ترجمته في: ابن العماد: **شذرات الذهب**، ١٧٦/٤، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣١/١.

ابن محمد قال، ثنا عبد العزيز بن أحمد قال: ثنا أبو الشيخ وهو عبد الله بن محمد بن حيان[1] قال، سمعت أبا سعيد الثقفي يحكي عن ذي النون المصري قال: كنت في الطواف فسمعت صوتاً حزيناً وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أَنْتَ تَدْرِي يَا حَبِيبِي يَا حَبِيبِي أَنْتَ تَدْرِي ... ونُحُولُ الجِسْمِ والدمع يبوحان بسرّي

يَا عَزِيزِي قَد كَتَمْتُ الحُبَّ حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت حتى انتحَبْت وبكيت.

وقالت: إلهي وسيدي ومولاي بحبك لي إلاّ ما غفرت لي.

قال: فتعاظمني ذلك، وقلت يا جارية أما يكفيك أن تقولي بحبي لك حتى تقولي بحبك لي.

فقالت: إليك يا ذا النون أما علمت أن الله عزّ وجلّ يقول:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾[2] فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له.

فقلت: من أين علمت أني ذو النون.

فقالت: يا بطّال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك. ثم قالت انظر من خلفك فأدرت وجهي فلا أدري السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها!

ومنهم رضي الله عنهم امرأة متعبدة دخل عليها مصبحاً

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن عيسى الوشاء، ثنا أبو عثمان سعيد بن الحكم. قال سمعت ذا النون وقال أحمد بن عبد الله وحدثنا أيضاً يوسف قال: قال ذو النون دخلت على متعبدة فقلت لها: كيف أصبحت؟

قالت: أصبحت من الدنيا على فناء ومبادرة للجهاد متأهبة لهول يوم الجواز.

أعترف لله ما أنعم عليّ بتقصيري عن شكرها، وأقر بضعفي عن إحصائها وذكرها، قد

---

(١) أبو الشيخ (عبد الله بن محمد بن حيان) الإمام، الحافظ، المسند أبو محمد، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني صاحب المصنفات الشهيرة مثل كتاب العظمة، وغيرها، والتفسير وكتاب الثواب، وطبقات المحدثين بأصبهان. توفي رحمه الله سنة ٣٦٩هـ.

انظر ترجمته في: كحالة: **معجم المؤلفين**، ١١٤/٦، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٤٧/٣، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ١٣٦/٤، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦٨/٣، البغدادي: **هدية العارفين**، ٤٤٧/١، الداودي: **طبقات المفسرين**، ٢٢٩/٢٤٦/١.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم (٥٤).

غفلت القلوب عنه وهو مُنشئها وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والأنعام.

ومنهم رضي الله عنهم عابد رَحَلَ إليه إلى بلاد المغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي، أبو بكر بن أحمد القزويني.

قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

وُصِفَ لي رجُل بالمغرب وذُكِرَ لي من حكمته وكلامه ما حملني على لقائه فرحلت إليه ـ إلى المغرب ـ فأقمت على بابه أربعين صباحاً على أن يخرج من منزله إلى المسجد ويقعد فكان يخرج وقت كل صلاة يصلي ويرجع كالواله لا يكلم أحداً.

فقلت له: يا هذا إني مقيم ها هنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلمني؟

فقال: يا هذا لساني سبع إن أنا أطلقته أكلني.

فقلت له: عظني رحمك الله موعظة أحفظها عنك.

قال: وتفعل.

قلت: نعم إن شاء الله.

قال: لا تحب الدنيا، وعبد الفقر غنى، والبلاء من الله نعمة، والمنع من الله عطاء، والوحدة مع الله أنساً، والذّل عزاً، والطاعة حرفة، التوكل معاشاً، والله تعالى لكل شيء عدة. ثم مكث بعد ذلك شهراً لايكلمني فقلت: رحمك الله إني أريد الرجوع إلى بلدي فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة فقال: اعلم أن الزهد في الدنيا قوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك ولباسه ما ستره، ومجلسه والقرآن حديثه والله الجبار العزيز أنيسه، والذكر رفيقه، والصمت جنته، والخوف سجيّته، والشوق مطيته، والنصيحة نهمته. والصبر وسادُهُ، والصديقون إخوانه والحكمة كلامه، والعقل دليله، والجوع أدْمُه، والبكاء دأبه، والله عدته.

قلت: بما تتبين الزيادة من النقصان؟

قال: عند الله المحاسبة للنفوس.

ومنهم رضي الله عنهم عارف رَحَل إليه إلى اليمن فلقيه

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبيد الله، ثنا نصر بن شافع المقدسي، ثنا موسى بن علي الإخميمي قال: قال ذو النون:

وُصِفَ لي رجلٌ باليمن، قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين، وذكر لي باللب والحكمة، فخرجت حاجاً فلما قضيت نُسُكي مضيت إليه لأسمع من كلامه، وأنتفع بموعظته أنا وناس كانوا معي يطلبون منه مثل ما أطلب، وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين، وكان مُصْفرَّ اللون من غير مرض، أعمش العينين من غير عمش ناحِلَ الجسم من غير سقم يحب الخَلْوة ويأنس بالوحدة فتراه أبداً كأنه قريب عهد بالمصيبة فلما أتينا الرجل أستأذنّا عليه فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام وصافحه فأبدى إليه الشيخ البشر والترحيب ثم سلمنا عليه.

فقال الشاب: إن الله بمنّه وفضله قد جعلك طبيباً لسقام القلوب ومعالجاً لأوجاع الذنوب وبي جُرْحٌ نغل وداؤه قد استكمل فإن رأيت أن يتلطف لي ببعض من أهمك وتعالجني برفقك.

فقال الشيخ: سل ما بدا لك يا فتى.

فقال له الشاب: يرحمك الله ما علامة الخوف من الله؟

قال: أن تؤمنه خوفه كل خوفٍ غير خوفه.

قال: متى يتبين للعبد خوفه من الله؟

قال: إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة السقيم فهو يحتمي من أكل الطعام مخافة السقام ويصبر على مضض كل دواء مخافة طول الضنا فصاح الفتى صيحة ثم بقي ساعة ثم قال:

رحمك الله ما علامة المحب لله؟

فقال له: حبيبي إن درجة الحب درجة رفيعة.

قال: فأنا أحب أن تصفها لي.

قال: إن المحبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عن حلال الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم حُجُبيَّة، وعقولهم سماوية تسير بين صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبدوه بمبلغ استطاعتهم حباله لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار. فشهق الفتى وصاح صيحةً كانت فيها نفسه.

قال: فأكب الشيخ عليه يلثمه ويقول: هذا مصرع الخائفين وهذه درجة المجتهدين.

ومنهم رضي الله عنهم عارف وصف له فرحل إليه ليطلبه

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا محمد بن أحمد الواعظ، ثنا العباس بن يوسف الشكلي. قال: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: وصف لي رجل فتى هرب

فقصدته، فأقمت على بابه أربعين يوماً، فلما كان بعد ذلك رأيته، فلما رآني هرب مني فقلت له: سألتك بمعبودك إلا وقفت عليَّ وقفة؟

فقلت سألتك بالله بم عرفت الله؟ وبأي شيء تعرف إليك الله حتى عرفته؟ فقال لي: نعم رأيت أن لي حبيباً إذا قربت منه قرَّبني وأدناني، وإذا بعدت منه صوَّت بي وناداني، وإذا قمت بالفترة رغبني، ومنّاني، وإذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني، وإذا عملت بالمعصية صبر عليَّ وتأنّاني، فهل رأيت حبيباً مثل هذا؟! انصرف عني، ولا تشغلني، ثم ولّى وهو يقول:

حسب المحبين في الدنيا بأنَّ لهم ... من ربهم سبباً يُدني إلى سببِ

قَومٌ جسومهم في الأرض سائرةٌ ... نعم وأزواحهم تختالُ في الحُجُبِ

لَهفي على خلوةٍ منه تُسدّدني ... إذا تضرّعتُ بالإشفاقِ والرّغَبِ

يا ربِّ يا ربِّ أنتَ اللّه مُعتَمَدي ... متى أراك جهاراً غيرَ مُحتجِبِ

فصل

ومنهم رضي الله عنهم والهٌ لقيهُ في بعض أسفاره في طلب المناجاة

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا ثنا محمد بن أحمد قال ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبيد الله بن يزيد، ثنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا، ثنا سعيد بن عبد الحكم.

قال: سمعت ذا النون يقول: خرجت في طلب المناجاة، فإذا أنا بصوت، فعدلت إليه، فإذا أنا برجل قد غاص في بحر الوله، وخرج على ساحل الكمد، وهو يقول في دعائه:

أنت تعلم أني لا أعلم أن الإصرار مع الاستغفار لوم وأن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك عجز، إلهي أنت الذي خصصت خصائصك بخالص الإخلاص، وأنت الذي أسلمت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس، وأنت الذي آنَسْتَ المُسْتَأْنسين من أوليائك وأعطيتهم كفاية المتوكلين عليك تكلؤهم في مضاجعهم، وتطلع على سائرهم، وسرّي عندك مكشوف، وأنا إليك ملهوف.

قال: ثم سكن صرخته فلم يسمع له صوتاً.

ومنهم رضي الله عنهم شاب لقيه وهو سائر إلى مكة فضلّ عن الطريق فاجتمع به رحمه الله

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو العباس بن العلاء، أحمد بن عيسى قال ذو النون:

حججت سنة إلى بيت الله الحرام فضللت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد.

فأشرفت على الهلكة فلاحت لي أشجار كثيرة ومحراب فطرحت نفسي في فيء شجرة

فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغير اللون، نحيل الجسم، يؤم المحراب فَرَكَلَ برجله ربْوَة من الأرض فظهرت عين تبيضُ بماءٍ عذبٍ فشرب وتوضأ وقام في محرابه، فقمت إلى العين فشربت ماءً عذباً وتوضأت وقمت أصلي بصلاته حتى برق عمود الصبح فلما رأى الصبح وثب قائماً على قدميه ونادى: ذهب الليل بما فيه وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقض من خدمتك وطراً. آه لخبيرٍ مَنْ تعِبَ لغيرك بَدَنه، وألجأ إلى سواك همه، فلما أراد أن يمضي ناديته، بالذي منحك لذيذ الرغب وأذهب عنك ملال التعب إلاّ خفضت لي جناح الرحمة فإني غريب، أريد البيت الحرام، وقد ضللت.

فقال: يا بَطَّال وهل قطع بوفده دون البلوغ إليه ثم قال: اتبعني فرأيت الأرض تطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجة وسمعت ضجَّة.

فقال: ها قومك ثم أنشأ يقول:

مَـنْ عَـامَـلَ الـلّـه بـتـقْـوَاه وَكَـان فـي الخَلْـوَةِ يَـرْعَـاهُ
سَـقَـاهُ كَـأسـاً مِـنْ صَـفـا حُـبِّـه تَـسْـلُـبُـه لَـذَّةَ دُنْـيَـاهُ
فَـأبْـعَـدَ الخَلْـقَ وأقـصـاهـم وَانْـفَـرَدَ الـعَـبْـدُ بمَـوْلاَهُ

ومنهم رضي الله عنهم العابد الذي لقيه على عرش البلوط في مسيرةٍ بلاد المغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي، ثنا عبد العزيز بن سعيد السُّلْماسي، ثنا يوسف بن الحسين.

وأخبرنا أيضاً: محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي.

وأخبرنا يونس بن يحيى، وعبد العزيز بن الأخضر قالا، ثنا أبو بكر بن الغزال قالوا، ثنا حمد ابن أحمد.

وأخبرنا أيضاً: الحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد، ثنا أبو الظفر القاشاني، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قالا سمعنا ذا النون يقول: بينما أنا سائر في بلاد المغرب وإذا أنا برجل على عريش من البلوط وعنده عين ماء تجري فأقمت عليه يوماً وليلة أريد أن أسمع كلامه فأشرف عليَّ بوجهه فسمعته يقول:

شهد قلبي لك في النوازل، وكيف لا يشهد قلبي بذلك وكل الأمور إليك، أفيَحسن بمن اعتز بك أن يألف قلبه غيرك. هيهات هيهات لقد خاب لديك المقصِّرون، ثم أدخل رأسه في عريشه، وفاتني كلامه فلم أزل واقفاً إلى أن طلع الفجر، ثم أخرج رأسه فنظر إلى القمر.

فقال: أشرقت بنورك السموات، وأنارت بنورك الظلمات وحجبت بجلالك عن العيون، فوصلت به معارف القلوب ثم قال: بالتجائي إليك في حزني لتنظر لي نظرة مَنْ ناديته فأجاب: سيدي ما أحلى ذكرك أليس قصدك مؤملوك فنالوا ما أمَّلوا وجُدْتَ لهم بالزيادة على ما طلبوا.

فقلت له: يا حبيبي إني مقيم عليك منذ يوم وليلة أريد أن أسمع كلامك فقال لي: قد رأيتك يا بطَّال حين أقبلت ولكن ما ذهب روعك من قلبي إلى الآن.

فقلت له: ولم ذلك وما الذي أفزعك مني.

فقال: بطالتك في يوم عملك وتركك الزاد ليوم معادك، ومقامك على الظنون يا ذا النون.

فقال له: إن الله كريم ما ظن به أحد شيئاً إلاَّ أعطاه.

فقال: إنه لكذلك إذا وافقه العمل الصالح والتوفيق.

فقلت له: يا حبيبي ما ها هنا فتية تأنس بهم؟

فقال: بلى ها هنا فتيةٌ متفرقون في رؤوس الجبال.

فقلت له: فما طعامهم في هذا المكان؟

قال: أكلهم الفلق من خبز البلوط ولباسهم الخِرَق من الثياب، قد يئسوا من الدنيا، ويئست الدنيا منهم، قد لصقوا بالأرض، وتلففوا بالخرق، فلو رأيتهم رأيت رجالاً إذا جنَّهم الليل ذبحوا أنفسهم بسكاكين السهر.

فقلت: حبيبي فما مع القوم دواء يتعالجون به من الألم؟

قال: بلى.

قال: وما ذاك الدواء؟

قال: إن أكلوا ضافوا الكلال بالكلال، وجدُّوا بالارتحال فتسكن العروق ويهدأ الألم.

فقلت: يا حبيبي فلا ينيرون نجد.

فقال: هكذا تقول يا بطَّال القوم أعطوا المجهود من أنفسهم فما دبرت المفاصل من الركوع، وقرحت الجباهُ من السجود، وتغيرت الألوان من السهر، ضجوا إلى الله بالاستعانة فهم أحلاف اجتهاد، يهيمون فلا تقربهم الأوطان، ولا يسكنون إلى غير الرحمن فقلت له يا حبيبي أوصني.

فقال: عليك بمعاتبة نفسك إذا دعتك إلى بليةٍ، ومنابذتها إذا دعتك إلى الفترة فإن لها مكراً وخداعاً، فإذا فعلت هذا الفعل أغناك عن المخلوقين، وسلاَّك عن مجالسة الفاسقين.

قال ذو النون: فوقعت مغشياً عليَّ فما أفقت إلّا بِحَرّ الشمس، ثم رفعت رأسي فلم أره ولا العريش فقمت فسرت وفي قلبي منه حسرةٌ.

ومنهم رضي الله عنهم فتى من العُبّاد العارفين الحكماء لقيه في بعض الطرق رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أحمد بن أحمد المتوكلي، ثنا أحمد بن ثابت[1]، ثنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، ثنا محمد بن عبد الله بن شاذان، قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا أسير في بعض الطرق فإذا فتى حسن الوجه أثر التهجد بين عينيه فقلت: حبيبي من أين قدمت؟

قال: من عنده.

فقلت: وإلى أين؟

فقال: إلى عنده.

قال: فعرضت عليه النفقة فنظر إليَّ مغضباً ثم ولّى، وأنشأ يقول:

وَكَـافِـرٌ بِـالـلّـه أمْـوالُـهُ ... تَـزدادُ أضْـعـافـاً عـلـى كُـفْـرِهِ

ومـؤمـنٌ آيـسَ لـه دِرْهَـمٌ ... يَـزدادُ إيمـانـاً عَـلـى فَـقْـرِهِ

لا خَـيـرَ فِـيـمَـن لَمْ يَـكُـن عـاقـلاً ... يَـمُـدُّ رِجْـلَـيْـهِ عَـلَـى قَـدْرِهِ

ومنهم رضي الله عنهم امرأة مُحِبّة عارفة لقيها في بعض أسفاره رضي الله عنها

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي قال ثنا أبو بكر بن حبيب، ثنا أبو سعيد بن أبي صادق، ثنا ابن باكويه الشيرازي، ثنا بكران بن أحمد قال سمعت يوسف بن الحسين.

قال عبد الرحمن بن علي أيضاً وحدثنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز[2]، ثنا أحمد بن علي

---

(١) أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي الأصبهاني، محدّث وأديب، تلقى العلم في أصفهان ونيسابور وهراة وغيرها. توفي رحمه الله بعد سنة ٥٢٠هـ.

انظر **بروكلمان**: ٦١٤/٣، الطبعة العربية القاهرة، الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ٤١/١.

(٢) (عبد الرحمن بن محمد القزّاز) وهو: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيباني البغدادي، ويعرف بابن زريق القزاز، المسند المعروف، ذكره الذهبي فيمن توفي سنة ٥٣٥هـ.

انظر الذهبي: **تذكرة الحفاظ**. ١٢٨١/٤.

ابن ثابت، ثنا القاضي أبو القسم عبد الواحد بن محمد النحلي، ثنا جعفر بن محمد الخلدي[1]، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق[2]، اللفظ له.

وحدثنا أيضاً، يونس بن يحيى وابن الأخضر قالا، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أحمد بن محمد بن أبان قالا، ثنا سعيد بن عثمان، قال حدثني ذو النون. قال ابن الحسين، وابن مسروق سمعت ذا النون المصري يقول: بينما أنا في بعض مسيري لقيتني امرأة فقالت لي: من أين أقبلت؟

قلت: رجل غريب.

فقالت لي: ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة، وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء.

فقالت لي: ما يبكيك.

قلت: وقع الدواء على قرح فأسرع في نجاحه.

قالت: إن كنت صادقاً فلم بكيت والصادق لا يبكي.

قلت: إن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب.

قالت: هذا ضعف عند الأولياء يا بطّال فبقيت متعجباً من كلامها.

فقالت لي: ما لك؟

قلت: تعجباً من هذا الكلام.

قالت: وقد أنسيت القرحة التي سألت عنها.

قلت: لا.. علّميني شيئاً ينفعني الله به.

قالت: وما أفادك الحكيم في مقامك هذا من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوايد.

---

(١) جعفر بن محمد بن نصير، أبو محمد الخلدي، بغدادي المنشأ والمولد، صحب الجنيد بن محمد، وعرف بصحبته، وصحب أبا الحسن النوري وسمنون، وأبا محمد الجريري وغيرهم من مشايخ الوقت. كان يقول: عندي مائة ونيف وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية، توفي رحمه الله سنة ٣٤٨هـ.

انظر ترجمته في: السلمي: **طبقات الصوفية**، ٤٣٤، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣٨١/١٠، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣٧٨/٢، الشعراني: **الطبقات الكبرى**، ١٣٨/١.

(٢) أحمد بن محمد بن مسروق أبو العباس من أهل طوس، سكن بغداد، ومات بها. صحب الحارث بن أسد المحاسبي، والسري السقطي وغيرهما، توفي رحمه الله ببغداد سنة ٢٩٩هـ، أسند الحديث.

انظر ترجمته في: السلمي: **طبقات الصوفية**، ٢٣٧، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢١٣/١٠، القشيري: **الرسالة**، ٢٠، ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ١٠٤/٤، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٢٧/٢.

قالت: إن صدقت أحِبْ رَبَّكَ واشتق إليه فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأساً لا يظمأون بعدها.

قالت: ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يساعدني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت، وقال ابن الحسين في حديثه ثم مضت وهي تقول:

إذَا كَانَ داءُ العَبْدِ حُبُّ مَلِيكِهِ ... فَمَنْ دُونَهُ يَرْجُو طَبِيباً مُدَاوِيا

مَعَ اللّه يَمْضِي دَهْرَه مُتَلَذِّذاً ... مُطِيعاً يَرَاهُ كَانَ أَوْ كَانَ عَاصِيا

يَقُولُونَ لِي قَدْ جنتَ مِنْ بَعْد ... صِحَّةٍ وَمَا بِي جُنُونٌ مِنْ خَلِيلٍ مُواتِيا

وقال أيضاً في حديثه بعد قولها من أين أقبلت.

قلت: من عند حكيم لا يوجد مثله فصاحت وقالت: ويحك وكيف فارقته وهو أنيس الغرباء، فأوجعني كلامها فبكيت.

فصل

ومنهم رضي الله عنهم عابد محب مجروح الفؤاد لقيه في بعض البراري

أخبرنا يونس بن يحيى قال، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن ابن علي، ثنا ابن ناصر وكل واحد منهما يزيد على صاحبه فجمعت الروايات وضممت بعضها إلى بعض قالا، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو جعفر أحمد بن علي بن عبد الله بن مهران الخزان[1] بالكوفة، ثنا عبد الله بن محمد السمناني[2]، ثنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد البغدادي[3] المكفوف، ثنا أبو الفيض بن إبراهيم المصري ذو النون: سنة خمس وأربعين ومائتين بسُرّ من رأى[4].

قال: رأيت رجلاً في برية يمشي حافياً وهو يقول: المحب مجروح الفؤاد ولا راحة له قد

---

(١) أبو جعفر محمد بن علي بن عبد الله بن مهران البغدادي الوراق، ولقبه: حمدان سمع عبد الله بن موسى وأبا نعيم وغيرهما وعنه ابن صاعد، وابن مخلد وغيرهما. قال الدارقطني: ثقة، توفي سنة ٢٧٢هـ.
انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٥٩٠/٢، السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ٢٦٥.

(٢) (عبد الله بن محمد السمناني) المحدِّث الجوّال أبو الحسين وقد ذكره الذهبي في **تذكرة الحفاظ**، ٧٠٣/٢، فيمن مات ٣٠٣هـ، وقال صاحب **معجم المؤلفين**، **وهدية العارفين**، إنه محدِّث وله تصانيف في الحديث.
انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٧٠٣/٢، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٣٠/٦، البغدادي: **هدية العارفين**، ٤٤٣/١.

(٣) أبو يعقوب يوسف بن أحمد البغدادي المكفوف، لعله: أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن إبراهيم الشيرازي ثم البغدادي الصوفي، المحدث، الحافظ. ولد ببغداد وتولى بها مشيخة الصوفية بالرباط الأرجواني، ورحل في طلب الحديث إلى بلاد فارس، والحجاز، وغيرها، توفي في رمضان سنة ٥٨٥هـ.
انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٤٥٤/٤، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٦٩/٢.

(٤) (سُرّ مَن رأى) مدينة عظيمة كانت على طرف شرقي دجلة بين بغداد وتكريت، بناها المعتصم سنة ٢٢١هـ وأنفق على جامعها خمسمائة ألف دينار، وبنى المنارة التي كانت إحدى العجائب، وبنى الملوك والأمراء بها قصوراً وكذلك الخلفاء بنوا قصوراً عجيبة.
انظر عجائب التفاصيل حول سبب بنائها في: القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**.

زعزعت الجرحة الداء وأزعج الداء الدواء فاجتمعا والقلب بينهما يجول ويرتكض فسلمت عليه.

فقال لي: وعليك السلام يا ذا النون.

قلت: عرفتني قبل هذا؟

قال: لا. قلت: فمن أين لك هذه الفراسة؟

فقال: ممن يملكها، ليست مني هو الذي نوّر قلبي بالفراسة حتى عرّفني إياك من غير معرفة سبقت لي يا ذا النون، جسمي عليل وقلبي مشغول به، وأنا سائح في البرية، أسير فيها منذ عشرين سنة، لا أعرف بيتاً ولا يكنني سقف يسترني من الشمس إذا كظّت، ويحفظني من الرياح إذا هَبّت، ويكلؤني من الحر والبرد جميعاً، فصف لي بعض ما أنا فيه إن كنت وصافاً ثم جلس وجلست. فقلت: القلب إذا كان عليلاً جالت الأحزان والأسقام فيه، ليس للقلب مع ما يحول في الأسقام دواء إنما يستجلب الأحزان من استجليها بطول سقمه ليشكوه أو يشكو إليه فصرخ صرخة ثم قال: ما لي وللشكوى أما لو طال البلوى حتى أصير رميماً ما تحركت لي جارحة بالشكوى.

قال ذو النون: فقلت: طرقت الفكرة في قلوب أهل الرضا فمالت بهم ميلة فزعزعت الجوى ودكدكت الضمير فاختلفا جميعاً فالتويا فعرفا طريق الرضا، مَنحهم بالألفة إليه فوهب لهم هبة ثم ألحقهم بتحفة الرضا، فماجت في بحار قلوبهم موجة فهيجت منها اللذة لا بل هيجت منها هيجان اللذات فشخصت بالحلاوة التي أتحف إليّ من أتحفها فمرّت تطير من خوف الجوى فأي طيران يكون أبهى من قلوب تطير إلى سيدها لقد هبّت إليه بلا أجنحة تطير لقد مرت في الملكوت أسرع من هبوب الرياح ومن بردها، وهو يدعوها إليه، لقد فتح لها الباب حين هبّت إليه طائرة فدخلت قبل أن تقرع الباب لقد مهد لها مهاداً فتنزهت في روح رياض قدسه فهي له ومعه.

فقال: يا ذا النون زدت الجرح قرحاً وقتلت مما أوجعت يا هذا ما صحبت صاحباً منذ صحبته، أصحبك اليوم.

قلت: فقم بنا. فقمنا جميعاً نسير بلا زاد فأوغلنا في البرية، وطوينا ثلاثاً.

قال لي: قد جعت.

قلت: نعم، قال فاقسم عليه حتى يطعمك.

قلت: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا مسألته شيئاً إن شاء أطعم وإن شاء ترك.

قال: فتبسم.

وقال: امض الآن فلقد أفيض علينا من أطايب الأطعمة، ولذائذ الأشربة حتى دخلنا مكة سالمين ثم فارقني وفارقته.

قال يوسف: فلقد رأيت ذا النون كلما ذكره بكى وتأسّف على صحبته.

ومنهم رضي الله عنهم صبي من أهل اليقين لقيه في التِّيه

أخبرنا: يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن إسحق[١].

قال: سمعت عمر بن بحر الأسدي[٢] قال: سمعت أبا الفيض يقول: كنت في تيه بني إسرائيل أريد الحج فرأيت غلاماً أمرد على المحجة يؤم البيت العتيق بلا زاد ولا راحلة.

فقلت لرفيقي إنا لله إن كان مع هذا الغلام يقين وإلا هلك فلحقته.

فقلت: يا فتى.

فقال: لبيك.

فقلت: في مثل هذا الموضع في مثل هذا الوقت بلا زادٍ ولا راحلة.

قال: فنظر إليّ ثم قال: يا شيخ ارفع رأسك انظر هل ترى غيره؟

فقلت: يا حبيبي اذهب إلى حيث شئت.

ومنهم رضي الله عنهم أسْوَدٌ صاحبُ حالٍ ومعرفة ولسان لقيه في تيه بني إسرائيل

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا محمدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم.

حدثني أحمد بن عثمان المكي الصوفي، عن أبيه قال، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أيضاً عثمان قال: سمعت الحسن المذكر يذكر عن بعض شيوخه قالا:

قال لنا ذو النون: والسياق لعثمان صحبت في التيه زنجياً مفلفل الشعر كلما ذكر الله ابيضَّ لونه.

فقلت له: يا هذا إنك إذا ذكرت الله تحول لونك وانقلبت عيناك فجعل يخطر في التيه ويقول:

---

(١) أحمد بن إسحاق تقدمت إشارته.

(٢) عمر بن بحر الأسدي تقدمت إشارته. وهو عمر بن بجير.

ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا نَسِينَا فَنَذْكُرُ ... وَلَكِنْ نَسِيمُ القُرْبِ يَبْدُو فَيَبْهَرُ
فَأَحْيَا بِهِ طَوراً وَأَحْيَا بِهِ لَهُ ... إِذَا الحَقُّ عَنْهُ مُخْبِرٌ وَمُعَبِّرُ

إلى هنا انتهى حديث ابن مقسم، وزاد عثمان قال ذو النون:

فلما طرق سمعي حكمة ذلك الزنجي فعلمت أن لله عباداً تغلي قلوبهم بالأذكار كما تغلي الأطيار في الأوكار ولو فتشت منهم القلوب لما وجد فيها غير حُب المحبوب قال: ثم بكى ذو النون وأنشد يقول:

وَأَذْكُرُ أَصْنَافاً مِنَ الدَّهْرِ حَشْوُهَا ... وِدَادٌ وَشَوْقٌ يَبْعَثَانِ عَلَى الذِّكْرِ
فَذِكْرُ أَلِيفُ الحُبِّ مُمْتَزِجٌ بِهَا ... تَحُلُّ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي طُرْقِهَا يَسْرِي
وَذِكْرٌ يُعَزِّي النَّفْسَ مِنْهُ لأَنَّهُ ... لَهَا مُتْلِفٌ مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَلاَ تَدْرِي
وَذِكْرٌ عَلا مِنِّي المُفَارِقَ وَالذُّرَى ... يَحِلُّ عَنِ الأَوْصَافِ بِالوَهْمِ وَالفِكْرِ

ولما حكيت هذه الحكاية بحلب لصاحبنا عبد الله بدر الحبشي المسعود[1] قال: عبد الله حدثني بمثلها شيخنا مكي بن عباس الواسطي المقري المجاور، وكان صاحب معرفة صادق الحال لا يفتر قال: كان ببغداد أستاذ حبشي من أستاذي الخليفة، وكان رجلاً صالحاً صادق فكنت أراه إذا استفرغه الحال ابيضّ رحمهما الله، نفعت بهما وبالصالحين.

ومنهم رضي الله عنهم جارية سوداء والهة في حب الله لقيها في تيه بني إسرائيل عارفة

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري قال، ثنا أبو سعيد الحيَري[2] قال: ثنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي، ثنا علي ابن حفص الشيباني[3] حدثني محمد بن محمد بن زنجويه[4]، ثنا أبو بكر محمد بن هارون

---

(١) (عبد الله بدر الحبشي المسعود) هو: أبو عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي، الصوفي، المسعود. من تلاميذ محيي الدين بن عربي وناسخ كتبه، وآثاره. ترك بعض الكتب هي: (الإنباه على طريق الله) قيل هو مما سمعه من شيخه ابن عربي، توفي رحمه الله سنة ٦٣٨هـ نفس العام الذي توفي فيه شيخه.

انظر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣٩/٣، ومخطوط **تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الروحانية**. ٤٢٦ تصوف جاري تحقيقه وسننتهي منه قريباً إن شاء الله.

(٢) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري، النيسابوري، أصله من الرّي، صحب قديماً يحيى بن معاذ الرازي، وشاه بن شجاع الكرماني، ثم رحل إلى نيسابور، إلى أبي حفص، وصحبه، وأخذ عنه طريقته، وكان في وقته من أوحد المشايخ في سيرته ومنه انتشر التصوف بنيسابور. مات رحمه الله أبو عثمان في سنة ٢٩٨هـ.

انظر ترجمته في: السلمي: **طبقات الصوفية**، ١٧٠، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢٤٤/١٠، الشعراني: **الطبقات الكبرى**، ١٠٦/٢، القشيري: **الرسالة**، ٢٥، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١٥/١١.

(٣) (علي بن حفص الشيباني) لم أقف على ترجمة له.

(٤) (محمد بن محمد بن زنجويه) الحافظ أبو بكر البغدادي الغزال صاحب الإمام أحمد، واسع الرحلة. سمع يزيد بن=

الصوفي[1]، ثنا محمد بن الحسين المصري قال: سمعت ذا النون المصري. يقول: بينما أنا أسير في تيه بني إسرائيل، إذا أنا بجارية سوداء استلبها الولهُ من حب الرحمن شاخصة ببصرها نحو السماء.

فقلت: السلام عليك يا أختاه.

فقالت: وعليكم السلام يا ذا النون.

فقلت لها: من أين عرفتني يا جارية؟

فقالت: يا بطَّال، إن الله عزّ وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أدارها حول العرش فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[2]، فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان.

قلت: إني لأراك حكيمةً علميني شيئاً مما علمك الله.

فقالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كلما كان لغير الله، ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب عزّ وجل فعند ذلك يقيمك على الباب ويوليك ولاية جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة فقلت: يا أختاه زيديني.

فقالت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك وأطع الله إذا خلوت بحبك إذا دعوت.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة سائحةٌ مُحبةٌ لَقِيهَا في التّيه

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أبو بكر بن حبيب، ثنا ابن أبي صادق قال: حدثني ابن باكويه قال، ثنا عبد الواحد بن بكر قال، ثنا محمد بن أحمد ابن يعقوب قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون بن ابراهيم يقول: كنت في تيه بني إسرائيل ومعي صاحب لي.

وحدثنا عبد العزيز بن الأخضر واللفظ له، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد بن عثمان العثماني، ثنا محمد بن أحمد الواعظ، ثنا

هارون، وعبد الرزاق، ومحمد بن يوسف الفريابي وغيرهم حدّث عنه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم. توفي رحمه الله في سنة ٢٥٨هـ.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢/٥٥٤.

(١) (محمد بن هارون الصوفي) الهاشمي، لم يقل عنه شيئاً الذهبي في الترجمة وقال: لم يكن شيئاً! هكذا.
انظر السلمي: طبقات الصوفية، هامش ٢٥٢؛ الذهبي: ميزان الاعتدال، ٣/١٤٤.

(٢) حديث (إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام)، لم أقف على تخريجه.

العباس بن يوسف الشكلي، ثنا سعيد بن عثمان قال كنت مع ذي النون في تيه بني إسرائيل فبينما نحن نسير إذا أنا بشخص قد أقبل.

فقلت: يا أستاذ.. شخص.

فقال لي: انظر فإنه لا يضع قدمه في هذا المكان إلا صدّيق فنظرت فإذا امرأة.

فقلت إنها امرأة صدّيقة وربِّ الكعبة فابتدرها فسلم عليها فردّت السلام ثم قالت: ما للرجال ومخاطبة النساء.

فقال لها: إني أخوكِ ذو النون ولست من أهل التهم.

فقالت: مرحباً حيّاك الله بالسلام.

فقال لها: ما حملك على الدخول إلى هذا الموضع.

قالت: آية في كتاب الله قوله عزّ وجل ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[1].

فكلما دَخَلْتُ إلى موضع يُعصى الله فيه لم يهنني القرار فيه بقلب قد أذهلته شدة محبته وهام بالشوق إلى رؤيته.

فقال لها: صفي لي المحبة.

فقالت: يا سبحان الله أنت عارف تتكلم بلسان المعرفة تسألني.

فقال: يحق للسائل الجواب.

فقالت: نعم المحبة عندي لها أول وآخر.

فأولها: لهج القلب بذكر المحبوب والحزن الدائم والشوق اللازم، فإذا صاروا إلى أعلاها شغلهم وجدان الخلوات عن كثير من أعمال الطاعات، ثم أخذت في الزفير والشهيق.

وأنشأت تقول:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبُّ الهَوَى ... وَحُبّاً لأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَا
فَأَمَّا الَّذي هُوَ حُبُّ الهَوَى ... فَذِكْرٌ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وأَمَّا الَّذي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّى أَرَاكَ

ثم شهقت شهقةً فإذا هي قد فارقت الدنيا.

وفي حديث عبد الرحمن أول المحبة تبعث على الكَدِّ الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى

---

(١) سورة النساء، الآية رقم (٩٧).

أعلى الصفا جرعهم من محبته لذيذ الكؤوس وليس في حديثه ذكر الآية ولا ذكر موتها ولا تنزيه نفسه عن التهم.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة لقيها بأرض البحة

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج بن علي، ثنا عبد الملك بن عبد الله الكروجي[1]، قال: أنبأنا محمد بن علي بن عمير قال ثنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامي[2]، قال ثنا أبو سعيد محمد بن أحمد بن يوسف، حدثني محمد بن المنذر شكر[3]، قال: حدثني محمد بن يعقوب الفرجي[4] قال: سمعت ذا النون يقول: رأيت امرأة بنحو أرض البحّة، قال: فناديتها.

فقالت: وما للرجال أن يكلموا النساء لولا ضعف عقلك لرميتك بشيء.

فقلت لها: بالله كيف تعرفين الزيادة.

قالت: بتفقد الأحوال انصرف.

قال: فما ناطقها بعد ذلك.

---

(١) (عبد الملك بن عبد الله الكروجي) المحدِّث الصادق، أبو الفتح الهروي، المجاور، توفي في سنة ٥٤٨هـ. أورده الذهبي أثناء وفاة الإمام الحافظ السِّنجي المروزي. انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٣١٣/٤.

(٢) (أبو الفضل محمد بن محمد الفامي)، لم أقف له على ترجمة.

(٣) الحافظ الثقة الرحالة أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر بن سعيد الهروي، ولقبه (شكر) سمع محمد بن رافع، وعلي بن حشرم، وأحمد بن عيسى المصري، وعمر بن شبة وغيرهم، جمع وصنّف التصانيف، وتوفي رحمه الله، في أحد الربيعين بهراة، سنة ٣٠٣هـ.

انظر: الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٧٤٨/٢.

(٤) (محمد بن يعقوب الفرجي) أبو جعفر، الصوفي، من أهل سامراء، أنفق مالاً كثيراً على العلماء والفقراء، وله مصنفات في معاني التصوف والورع، وصفات المريدين وغيرهما، توفي سنة ٢٩٠هـ.

انظر الزركلي: **الأعلام**، ١٦/٨، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١١٧/١٢، **الأنساب**، ٤٢٨، **طبقات الصوفية**، ١٤٦.

فصل

ومنهم رضي الله عنهم عابد مصطفى لقيه بين جبال الشام

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن، ثنا محمد بن ناصر السلامي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي. قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا سائر بين جبال الشَّام إذا شيخ على تلعة من الأرض قد سقطت حاجباه على عينيه كبراً، فتقدمت إليه فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ثم جعل يقول:

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً، ويا من قصده الزاهدون فوجدوه حبيباً ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه مجيباً ثم أنشأ يقول:

وَلَـهُ خـصـائـصُ مُـصْـطـفـونَ لِحُبِّـهِ اخـتـارَهـم فـي سَالِـفِ الأزْمَـانِ
اخْـتـارَهـم مِـن قَـبْـلِ فِـطْـرَةِ خَـلْـقِـهِ فَـهُـمْ وَدَائِـعُ حِـكْـمَـةٍ وَبَـيـانِ

ثم صرخ صرخة فإذَا هو ميت.

ومنهم رضي الله عنهم عابد محب لقيه بجبال بيت المقدس

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن محمد بن محمد، ثنا أحمد بن عيسى الوشا.

قال: سمعت أبا عثمان سعيد بن عبد الحكم يقول: سمعت أبا الفيض ذا النون بن ابراهيم يقول: بينما أنا أسير ليلة ظلماء في جبال المقدس إذ سمعت صوتاً حزيناً وبكاءً جهيراً وهو

يقول: يا وحشتاه بعد أُنساه، ويا غربتاه عن وطنه، وافقراه بعد غناه، واذلاه بعد عزّاه. فتبعت الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه فإذا هو رجل ناحل كالشن المحترق.

فقلت: يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام.

فقال: دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأ يقول:

كَـانَ لِـي قَـلْـبٌ يَـعِـيـشُ بِـه   فَـرَمَـاهُ الحُبّ فَـاحْـتَـرَقَـا

فقلت له:

لِمَ تَـشْـتَـكِـي أَلَمَ الـبَـلا   وَأَنْـتَ تَـنْـتَـحِـلُ المَحَبَّـه

إِنَّ المُحِـبَّ هُـوَ الصَّـبُـور   عَـلَـى الـبَـلاءِ لِمَنْ أَحَـبَّـه

حُـبُّ الإِلَـهِ هُـوَ الـسُّـرُورُ   مَـعَ الـشِّـفَـاءِ لِـكُـلِّ كُـرْبَـه

ومنهم رضي الله عنهم عابد هرم لقيه ببعض جبال الشام

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد، ثنا أحمد بن عيسى الوشا، ثنا سعيد بن الحكم قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا أسير في بلاد الشام فإذا أنا بعابد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إليّ استتر بين تلك الأشجار ثم قال: أعوذ بك يا سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوى العارفين، وحبيب التوابين، ومعين الصادقين، وغاية أمل المحبين، ثم صاح واغمّاه من طول البكاء، واكرباه من طول المكث في الدنيا.

ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه، ولا شيء ألذّ عندهم من ذكره، الخلوة بمناجاته، ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس قدوس فناديتُهُ: أيها العابد قف لي، فوقف لي وهو يقول: اقطع عن قلبي كل علاقة واجعل شغله بك دون خلقك فسلمت عليه، ثم سألته أن يدعو الله لي فقال: خفّف الله عنك مؤن نصيب السير إليه، وأدّاك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة ثم سعى بين يدي كالهارب من السبع.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم عابد صاحب أنس لقيه بجبل المقطم[1]

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب، أبو سعيد بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا أبو الطيب السامري[2] قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري يقول:

وصف لي رجل في جبل المقطَّم فقصدته فرأيت رجلاً متعبداً فمكث معه أربعين يوماً لا أكلمه فاستخرت الله تعالى يوماً في كلامه، وسألت الله تعالى أن يوفقه لي.

فقلت: أيها الشيخ فيما النجاة.

فقال: في التقوى والمراقبة.

فقلت: زدني.

فقال: فِرَّ من الخلق ولا تَسْتَأْنِسْ بهم.

فقلت: زدني.

فقال: إن لله عباداً نظروا إلى باطن الدنيا لما نظر الخلق إلى ظاهرها فأماتوا منها ما خشوا أن يُمِيْتهم إنهم قوم صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن فسقاهم كأساً من محبته فهم في عطشهم أرويِاء وفي ريهم عطاش.

قال: فقلت: زدني.

قال: إنهم أقوياء في توكلهم.

* * *

(١) جبل المقطم بمصر، وهو جبل مشرف على القرافة؛ عليه مساجد وصوامع لا نبت فيها ولا ماء ـ كان هذا زمان المؤلف ـ أما الآن فالأمر اختلف كثيراً فقد أصبح على جبل المقطم أفضل المساكن والأرض الخضراء. ومن علامات هذا الجبل أن الميت به لا يبلى، وبها موتى كثيرون لم يبل منهم شيء. هكذا يقول القزويني وسأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فكتب إليه أن استخبره لأي شيء بذل ما بذل؟ فقال المقوقس: إننا نجد في كتبنا أنه غراس الجنة! فقال عمر: غراس الجنة لا نجد إلاّ للمؤمنين، وأمره أن يتخذه مقبرة.

انظر: **آثار البلاد وأخبار العباد**، للقزويني، ص ٢٧٠.

(٢) (أبو الطيب السامري)، عبد الله بن الحسين بن حسنون، السامري (أبو أحمد) مقرئ، لغوي، نشأ ببغداد، ونزل مصر وتوفي بها سنة ٣٨٦هـ. ترك بعض المؤلفات منها: اللغات في القرآن الكريم.

انظر: الزركلي - **الأعلام**، ٢٠٨/٤، كحالة: **معجم المؤلفين**، ٤٥/٦.

انظر: **آثار البلاد وأخبار العباد**، للقزويني، ص ٢٧٠.

ومنهم رضي الله عنهم عابد موحد مغزى لقيه ببعض جبال المغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا عمر بن ظفر، ثنا جعفر ابن أحمد، ثنا عبد العزيز بن علي الأزجي، ثنا علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا عبيد الله بن محمد بن الحسن العيشي حدثني محمد بن عبد الله القرشي عن ذي الكفل[1] أخي ذي النون قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا في جبال المغرب إذ وقعتُ على رجل عابدٍ في رأس جبل فسلمت عليه فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال: وعليكم السلام.

قال ذو النون: ما مقامك في هذا المكان؟

فقال: معي بُضيعة قد هربت بها من الأسواق، وقد جئت بها لأدفنها في هذا المكان.

قلت: وما بضاعتك هذه؟

قال: عقد توحيدي وخالص ضمير مكنوني.

فقلت: لو آنست بالناس.

فقال: منهم هربت وقد قصدت إلى من قصد غيري من الراجين فوجدوه مؤنساً، ثم رفع طرفه نحو السماء.

وقال: أنت أنت.

قال ذو النون: فرفعت طرفي في موضع رفع طرفه ورددت طرفي فلم أرَه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم عابد شاب عارف صاحب حال لقيه ببعض جبال بيت المقدس.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن عبد الله بن حبيب، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا أحمد بن هارون الفارسي، ثنا الحسن بن محمد بن أحمد المقرئ، ثنا أحمد بن محمد الأنصاري. قال: سمعت أحمد بن محمد النيسابوري. قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا في بعض جبال بيت المقدس سمعت صوتاً وهو يقول: ذهبت الآلام عن أبدان

---

(١) ذو الكفل أخو ذي النون المصري لم أقف له على ترجمة وافية فيما بين يدي من مراجع.

الخدام وولهت بالطاعة عن الشراب والطعام وألِفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام فَتَبِعْتُ الصوت، فإذا شاب أمرد قد علا وجههُ اصفرار يميل ميل الغصن إذا مالته الريح، عليه شمْلة قد ائتزر بها، وأخرى قد اتّشح بها، فلما رآني توارى عني بالشجر.

فقلت له: أيها الغلام ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين فكلمني وأوصني فخرّ ساجداً وجعل يقول: هذا مقام من لاذ بك واستجار بمعرفتك وألِفَ محبّتك فيا إله القلوب وما تحويه جلال عظمتك احجبني عن القاطعين لي عنك.

قال ذو النون: ثم غاب عني فلم أره.

٭ ٭ ٭

ومنهم رضي الله عنهم عابد صاحب حال ومحبّة وشوق ومعرفة لقيه بجبل اللكام[1]

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا محمد بن زيد السائح[2]، ثنا محمد بن جعفر بن سهل السامري[3] قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا سائر في جبل اللكام مررت على وادٍ كثير الأشجار والنبات فبينما أنا واقف أتعجب من حسن زهرته، ومن خضرة العشب في حياته إذ سمعت صوتاً أهطل مدامعي، وهيّج بلابل حزني، فاتبعت الصوت حتى وقف بي بباب مغارة في سفح ذلك الوادي، فإذا الكلام يخرج من جوف المَغارة، فاطلعت فيها فإذا أنا برجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول: سبحان من أمرح قلوب المُشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر، فهي لا تعتمد إلاّ عليه، سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة، فهي لا تحن إلاّ إليه ثم أمسك فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان وقرين الأشجان.

---

(١) (جبل اللكام) هو جبل بالشام يسكنه أو يقيم عليه الأولياء من خواص أهل الشام، إذ هم من الأبدال لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون ولا يسكنون إلاّ جبل اللكام، كلما مات منهم واحد قام بدله آخر.
انظر القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص ٢٠٦.

(٢) (محمد بن زيد السائح)، لم أقف على ترجمة له ولعله أبو إبراهيم السائح.
انظر المناوي: **الكواكب الدرية**، ١/٣٥٧.

(٣) محمد بن جعفر بن سهل السامري، الخرائطي (أبو بكر) محدّث وأديب، سكن الشام، وتوفي بفلسطين من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٧هـ، ترك مؤلفات هامة منها: **اعتلال القلوب**، **فضيلة الشكر**، **مكارم الأخلاق** وغيرها.
انظر ترجمته في: كحالة: **معجم المؤلفين**، ٩/١٥٤، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١/١٩٠، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٣/ ٤٨، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٣/٢٦٥، البغدادي: **هدية العارفين**، ٢/٣٤.

فقال: وعليك السلام ما الذي أوصلك إلى من قد أفرده خوف المسائلة عن الأنام، واشتغل بمحاسبة نفسه عن التطبع في الكلام.

قلت: أوصلني إليك الرغبة في النصح والاعتبار.

فقال: يا فتى إن لله عزّ وجلّ عباداً قدَح في قلوبهم زند الشغف نار الومق فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت وتنظر إلى ما دخر لها في حجب الجبروت.

قلت: صفهم لي قال أولئك قوم أووا إلى كَنَفِ رَحْمته ثم قال سيدي بهم ألحقني ولأعمالهم فوفقني.

قلت: ألاَ توصني بوصية.

قال: أحب الله شوقاً إلى لقائه فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه وأنشأ يقول:

قَدْ كَانَ لِي وَضَحٌ فَأَفْنَيْتَهُ ... وَكَانَ لِي جَفْنٌ فَأَدْمَيْتَهُ
وَكَانَ لِي جِسْمٌ فَأَبْلَيْتَهُ ... وَكَانَ لِي قَلْبٌ فَأَضْنَيْتَهُ
وَكَانَ لِي يَا سَيِّدِي نَاظِرٌ ... أَرَى بِهِ الجَوَّ فَأَعْمَيْتَهُ
عَبْدُكَ أَضْحَى سَيِّدِي مُوثَقاً ... لَوْ شِئْتَ قَبْلَ اليَوْمِ دَاوَيْتَهُ

* * *

ومنهم رضي الله عنهم عجوز عارفة لقيها في بَعْض جبال الشام

أخبرنا مُحمد بن إسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب قال، ثنا ابن أبي صادق، ثنا ابن باكويه، ثنا عبد الله بن أبي القسم، ثنا عبد الملك بن هاشم قال: سمعت ذا النون يقول:

كنت سائراً في بعض جبال الشام فإذا أنا بكوخ فقصدته فإذا أنا بعجوزٍ قد عميت من البكاء فدنوت منها فسلمت وقلت: يا عجوز حدثيني ما الغنى؟

قالت: الزهد في الدنيا.

قلت: فما الزهد؟

قالت: ترك طلب المفقود حتى تفقد الموجود.

فصل

ومنهم رضي الله عنهم جارية لقيها على شاطئ نيل مصر تدعو

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال سمعت ذا النون المصري يقول: بينما أنا سائر على نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو، وهي تقول في دعائها، يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب الذاكرين، يا من هو عند فكرة الحامدين، يا من هو على نفس الجبارين والمتكبرين. قد علمت ما كان مني يا أمل المؤملين قال:

ثم صرخت صرخة خرت مغشية عليها.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة [ ][1] لقيها بساحل البحر

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا عمر بن ظفر وشهدة بنت أحمد[2] قالا ثنا أحمد بن جعفر السراج، ثنا عبد العزيز بن علي، ثنا علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا محمد بن عبد الله الشكلي.

قال: حدثني محمد بن جعفر القنطري[3] وحدثنا ابن الأخضر قال، ثنا يحيى بن عبد

---

(١) ما بين المعقوفين كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٢) (شهدة بنت أحمد) بن الفرج الكاتبة، أخذ عنها ربيعة بن الحسن بن علي الحافظ المحدّث وهي من طبقة ابن الخشاب والسلفي وغيرهما، وكان ربيعة قد ولد سنة ٥٢٥هـ.
انظر السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ٤٩٠.

(٣) (محمد بن جعفر القنطري) أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة باسم (محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطري أبو بكر) وكان ينزل قنطرة البردان، ويشبه بشر بن الحارث في الزهد، والورع، والشغل عن الدنيا وأهلها. توفي رحمه الله يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٢٦٠هـ.
انظر ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٤٣٢/١، ابن الخطيب: **تاريخ بغداد**، ٢٥٦/٣،

الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا المفسر أبو بكر الديتوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي وكل واحدٍ منهما يزيد على صاحبه فضممت الزيادات بعضها إلى بعض وجمعت بين الروايتين في السياق فأما القنطري فقال: قال ذو النون، وأما الشمشاطي فقال سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر وإذا هي ناحلة ذابلة فدنوت منها لأسمع ما تقول: فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج.

فبينما هي كذلك إذ بصرت بحوتٍ ينساب بين الموجين. فرمت بطرفها نحو السماء فصرخت ثم سقطت إلى الأرض، فلما أفاقت نحبت ثم قالت:

سيدي بك تفرد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك ولعظيم رجاء ما عندك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك وهيبتك اصطفقت الأمواج المتلاطمات، ولموانستك استأنست بك الوحوش في الفلوات، ولجودك وكرمك قصداً إليك، يا صاحب البرّ والمسامحات، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، وكل شيء عندك بمقدار.

يا مُؤنِسَ الأبرار في خلواتهم ... يا خيرَ مَنْ حطّت به النُّزّالُ

مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ هَلْ يَنَالُ تَفَجُّعاً ... القَلْبُ يَعْلَمُ أنَّ ذاكَ مُحَالُ

فقلت: زيدينا من هذا.

فقالت: إليك عني ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الوِدَادِ ... وحُبّاً لأنَّكَ أهْلٌ لِذَاكَ

فَأمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الوِدَادِ ... فَحُبٌّ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَ

وأمَّا الَّذِي أنْتَ أهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّى أرَاكَ

فَلاَ الحَمْدُ فِي ذَا وَلاَ ذَاكَ لِي ... وَلَكِنْ لَكَ الحَمْدُ فِي ذَا وذَاكَ[1]

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا، فبقيتُ أتعجب مما رأيت منها، فإذا أنا بنسوةٍ قد أقبلن، عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عني فغسّلنها، ثم أقبلن بها في أكفانها.

---

(١) لا يخفى على فطنة القارئ مدى التشابه أو المقابلة إن صح القول بين هذه الأبيات والأبيات التي ذكرت من قبل، وأنها هي نفسها الأبيات التي قالتها رابعة العدوية. علماً بأن رابعة العدوية توفيت سنة ١٣٥هـ أي قبل زمن ذي النون بما يزيد على مائة عام تقريباً. انظر وتأمل وراجع.

فقلن لي: تقدم فَصلِّ عليها فتقدمت فصليت عليها وهن خلفي ثم احتملنها ومضين.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم امرأة لقيها بين زروع سواد نيل مصر

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال سمعت ذا النون يقول:

دخلت إلى سواد نيل مصر فقمت بين زروعها. فإذا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها، ثم امتنعت عليها فتركتها وبكت.

وتقول: يا من بذرت حباً يابساً في أرضه ولم يك شيئاً أنت الذي صيرته حشيشاً ثم تنبته عوداً قائماً، وجعلت فيه حباً متراكماً، ودورته فكونته بتكوينك وأنت على كل شيء قدير.

وقالت: عجبتُ لمن هذه قدرته كيف يعصى، وعجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع، وعجبت لمن هذا صنعته كيف يشتكى، فدنوتُ منها.

فقلت: من يشكو أمل المؤملين.

فقالت لي: أنت يا ذا النون إذا اعتللت فلا تجعل علّتك إلى مخلوق مثلك، واطلب دواؤك ممن ابتلاك وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة البطالين.

ثم أنشأت تقول:

وَكَـيْـفَ تَـنَـامُ الـعَـيْنُ وَهْـيَ قَـرِيـرَةٌ ... وَلَمْ تَـدْرِ فـي أيِّ المَحَلَّـيْن تَـنْـزِلُ

* * *

ومنهم رضي الله عنهم الواله في حب الله سعدون المجنون[1]
له به رضي الله عنهما اجتماعات

اجتماعه به في مقبرة البصرة.

أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أبو نعيم الحافظ، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ علي أبي الحسن أحمد بن موسى بن

---

(١) (سعدون المجنون) عرف في بغداد بأنه من عقلاء المجانين. قال عنه الفتح بن شخرف: كان سعدون صاحب محبة لله، صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنوناً. توفي رحمه الله بعد سنة ٢٥٠هـ.
انظر ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٤٨٩/١، الجامي: **نفحات الأنس**، ٢٤١، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ١٣٣/٢، **فوات الوفيات**، ١٦٨/١.

عيسى الرازي حدثكم يوسف بن الحسين. قال: حدثني بعض الصوفية وهو فتح بن شخرف قال: سمعت ذا النون يقول:

رأيت سعدون في مقبرة البصرة في يوم حار يناجي ربه ويقول بصوت عالٍ أحد أحد فسلمت عليه فردّ عليّ السلام.

فقلت: بحق من ناجيته ألا وقفت. فوقف ثم قال لي: قل وأوجز.

قلت: أوصني بوصية أحفظها منك أو تدعو لي بدعوة فأنشأ يقول:

يَا طَالِبَ العِلْمِ هَا هُنَا وهُنَا ... وَمَعْدِنِ العِلْمِ بَيْنَ جَنْبَيْكَا

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الجِنَانَ تَسْكُنُهَا ... فَاذْرِفِ الدَّمْعَ فَوْقَ خَدَّيْكَا

وَقُمْ إِذَا قَامَ كُلُّ مُجْتَهِدٍ ... يَدْعُوهُ كَيْمَا يَقُولُ لَبَّيْكَا

ثم مضى وقال: يا غيّاثَ المستغيثين أغثني.

فقلت له: ارفق بنفسك فَلَعلَّه يلحظك بلحظة فيغفر لك، فصرف يده من يدي وغدا وهو يقول:

آنَسْتُ بِهِ فَلا أَبْغِي سِوَاهُ ... مَخَافَةَ أَنْ أَضِلَّ وَلاَ أَرَاهُ

فَحَسْبُكَ حَسْرَةً وَضَنًى وسقماً ... بِطَرْدِكَ مِنْ مَجَالِسِ أَوْلِيَاهُ

ومنها اجتماع آخر بالبصرة في استسقاءٍ

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر العامري، ثنا أبو سعيد بن أبي صادق الحيري، ثنا ابن باكويه، ثنا بكران بن أحمد، حدثني محمد بن أحمد بن يعقوب حدثني أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

خرج الناس إلى الاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج فبينما أنا مار بين الناس إذا بيدين قبضتا على رجلي فقلت: من أنت خَلِّ عني؟

فقال: أنا سعدون المجنون أين تريد يا أبا الفيض؟

قلت: أريد المصلى أدعو الله.

فقال: بقلب سماوي أو بقلب جافٍ.

فقلت: لا بل بقلب سماوي.

قال: انظر يا ذا النون لا تُبَهرِجْ فإن الناقد بصير.

وقال: تدعو الله وأؤمّن على دعائك أو أدع الله وتؤمن على دعائي.

فقلت: تدعو الله وأؤمّن عليه فصَفَّ قدميه ثم قال: إلهي بحق البارحة إلاَّ أمطرتنا.

قال ذو النون: فوالله لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التقَّت فجاءنا المطر كأفواه العزالى.

فقلت له: بحق معبودك: أي شيء كان بينك وبين الله البارحة.

فقال لي: لا تدخل بيني وبين قرة عيني.

قلت: لا بد أن تخبرني.

فأنشأ يقول:

آنَسْتُ بِهِ فَلا أَبْغي سِواهُ   مَخافَةَ أَنْ أَضِلَّ فَلاَ أَرَاهُ

فَحَسْبُكَ حَسْرَةً وَضَنَى وَسُقْماً   بِطَرْدِكَ عَنْ مَجَالِسِ أَوْلِيَاهُ[1]

ومنها اجتماع آخر بمجلسه بفسطاط مصر

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حَمَدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني.

قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن موسى بن عيسى الرازي، حدثكم يوسف بن الحسين.

قال: قال الفَتْح بن شُخْرف وكان سعدون صاحب محبة لله لهج بالقول صام سنين حتى جَفَّ دماغه فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة قال الفتح: فغاب عنا زماناً وكنت إلى لقائه مشتاقاً، لما كان وصف لي من حكمة قوله: فبينما أنا بفسطاط مصر قائماً على حلقة ذي النون فرأيته عليه جُبّة صوف على ظهره مكتوب لا تباع ولا تشترى، وذو النون يتكلم في علم الباطن فناداه سعدون متى يكون القلب أميراً بعد ما كان أسيراً.

فقال ذو النون: إذا اطّلع الخبير على الضمير فلم يرَ في الضمير إلا حبه لأنه الجليل العزيز.

قال فصرخ صرخة خر مغشياً عليه ثم أفاق من غشيته.

وهو يقول:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكا   ولا بد من شكوى إذا لم يَكُن صبرُ

ثم قال: أستغفر الله غب عن حبيبي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قال: يا أبا الفيض إن من القلوب قلوباً تستغفر قبل أن تذنب.

قال: نعم تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع.

---

(١) بالرغم من تكرار البيتين فإن الاجتماع مختلف والموقفين مختلفين.

قال: يا ابا الفيض اشرح لي ذلك فقال: يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم قد قطموا النفوس من روح الشهوات فهم رهبان من الرهابين، ملوك في العباد، وأمراء في الزهاد للغيث الذي مطر في قلوبهم الولهة بالقدوم إلى الله عزّ وجلّ شوقاً فليس فيهم من أنس لمخلوق، ولا مسترزق من مرزوق فهو بين الملأ حقير ذليل، وعند الله خطير جليل.

قال: يا ذا النون فمتى يصل إليه.

فقال: يا سعدون صحح العزم بطرح الأذى وسل الذي بسياسته تولى.

قال الفتح: فأدخل سعدون رأسه فيما بين الحلقة فما رأيته بعد.

ومنهم رضي الله عنهم الواله في حب الله شيبان المصاب لقيه بجبل لبنان فمات

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا عمر بن ظفر، ثنا جعفر بن أحمد، ثنا عبد العزيز بن علي الأزجي، ثنا علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا أحمد ابن محمد بن عيسى الرازي، ثنا محمد بن أحمد بن سلمة، حدثني سالم قال: بينما أنا سائر مع ذي النون في جبل لبنان إذ قال لي مكانك يا سالم حتى أعود إليك فغاب عني في الجبل ثلاثة أيام وأنا أنتظره إذ هاجت عليّ النفس أطعمتها من نبات الأرض وسقيتها من ماء الغدران فلما كان بعد الثالث رجع لي متغير اللون ذاهب العقل فقلت له بعد ما رجعت إليه نفسه يا أبا الفيض أسَبُعٌ عارَضَك؟

فقال: لا دعني من تخويف البشرية إني دخلت كهفاً من كهوف هذا الجبل فرأيت رجلاً أبيض الرأس واللحية وأشعث أغبر نحيفاً نحيلاً كأنما أخرج من قبره ذا منظر مهول وهو يصلي فسلمت عليه بعد ما سلم فرد عليّ السلام وقام إلى الصلاة فما زال راكعاً وساجداً حتى صلى العصر واستند إلى حجر بحذاء المحراب يسبح ولا يكلمني فبدأته بالكلام.

فقلت له: رحمك الله. أوصني بشيء ادع الله لي بدعوة.

فقال: يا بني آنسك الله بقربه ثم سكت. ثم قلت: زدني.

فقال: يا بني من آنسه بقُربه أعطاه أربع خصال:

- عزاً من غير عشيرة.
- وعلماً من غير طلب.
- وغنى من غير مال.
- وأنساً من غير جماعة.

ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام ثم قام فتوضأ من غير ماء إلى جنب الكهف، وقال

لي يا بني كم فاتني من الفرائض صلاة أو صلاتان أو ثلاث قلت: قد فاتك صلاة ثلاثة أيام بلياليهن.

فقال:

إن ذكـر الحبيـب هيـج قـلـبـي ثـم حبُّ الحبيـب أذهـل عـقـلـي

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين وقد أنست بذكر رب العالمين، انصرف عني بسلام.

فقلت له: رحمك الله وقفت عليك ثلاثة أيام رَجاء الزيادة وبليت.

فقال: أحبيت مولاك ولا ترد بحبّه بدلاً والمحبون لله تعالى هم تيجانُ العباد وعلم الزهاد وهم أصفياء الله وأحباؤه. ثم صرخ صرخةً فحركته فإذا هو قد فارق الدنيا فما كان إلا هُنَيْهَة وإذا بجماعة من العباد منحدرين من الجبل حتى واروه التراب فسألت ما اسم هذا الشيخ.

قالوا: شيبان المُصاب[١].

قال سالم: سألت أهل الشام عنه، فقالوا: كان مجنوناً خرج من أذى الصبيان.

قلت: تعرفون من كلامه شيئاً قالوا نعم كلمة واحدة كان يغني بها إذا ضجر.

إذا بك لم أجن يا حبيبي فبمن أجن.

قال سالم: فقلت عمي والله عليكم.

ومنهم رضي الله عنهم والهٌ عارفٌ يُرمى بالجنون لغلب الحال عليه لقيه بجبل اللكام[٢]

أخبرنا بعض مشيختنا قال: بلغنا عن ذي النون المصري. قال: وصف لي رجل من أهل المعرفة في جبل اللكام فقصدته فلقيني جماعة من المتعبدين فسألتهم عنه.

فقالوا: يا ذا النون تسأل عن المجانين.

فقلت: ما الذي رأيتم من جنونه.

قالوا: نراه في أكثر أوقاته هائماً ساهياً يُكلّم فلا يجيب، ويتكلم فلا نفقه ما يقول وينوحُ في أكثر أوقاته على نفسه ويبكي.

---

(١) لم نترجمه بما يحكي عن (شيبان الراعي) غير الاسم فقط ولعله هو الذي أطلق عليه الجامي في **نفحات الأنس** (شيبان بن علي) ولكنهم في هامش النفحات حاولوا أن يجعلوه (شيبان الراعي) علماً بأنه لا يخفى على أحد، وكان له عنعنات [illegible].

انظر الجامي: **نفحات الأنس**، ٥٥٣، وانظر ترجمة شيبان الراعي للمقارنة في **النجوم الزاهرة**، لابن تغري بردي، ٢/ ٢٣٢، **الخطط التوفيقية**، ٥/ ٣٩، المناوي: **الكواكب الدرية**، ١/ ٢٢٥.

(٢) [illegible] علاقة بالأولياء في الشام.

فقلت في نفسي: ما أحسن أوصاف هذا المجنون.

ثم قلت لهم: دلّوني عليه؟

فقالوا: إنه في الوادي الفلاني.

فانطلقت إلى الوادي فأشرفت على وادٍ وعرٍ. فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، فإذا أنا بصوت محزون شبح من وجد قلب وهو يقول:

يَاذَا الَّذي أنِس الفُؤادُ بِذِكْرِهِ ... أنْتَ الَّذي مَا إن سِوَاه أُرِيدُ

تفنى اللَّيالي والزمان بأسره ... وهواك غضٌّ في الفؤاد جديدُ

قال ذو النون: فاتبعت الصوت، فإذا أنا بفتى حسن الوجه، حسن الصوت، وقد ذهبت تلك المحاسن، وبقيت رُسُومها تحيل قد اصفرّ واحترق، وهو شبيه بالواله الحيران.

فسلّمت عليه فردَّ السلام وبقي شاخصاً يقول:

أعْمَيْتَ عَيْني عَن الدُّنْيا وَزِينَتِها ... فَأَنْتَ والرُّوحُ شَيْءٌ غَيْر مُفْتَرِقِ

إذا ذَكَرتُك وافى مُقْلَتِيْ أرَقٌ ... مِنْ أوّلِ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ الفَلَقِ

وما تطابقتِ الأجْفَانُ عَن سِنَةٍ ... إلاّ رأيْتُكَ بَيْنَ الجَفْنِ والحَدَقِ

قلت: أو مجنون أنت؟!

قال: قد سُمّيت فيه.

فقلت: مسألة؟

فقال: سل.

قلت: أخبرني ما الذي حبّب إليك الانفراد، وقطعك عن المؤانسين، وهيّمكَ في الأودية؟

فقال: حُبّي له هيمني، وشوقي إليه هيّجني، ووجدي به أفردني.

ثم قال:

يا ليت شعري يا فتى إلى متى ... تتركني مُعَلَّقاً في محنتي

فقلت له: أخبرني أين محل الحُبّ منك، وأين مسكن الشوق فيك؟

فقال: مسكن الحُبّ سواد القلب.

قلت: فما الذي تجد في خلواتك.

قال: الحق سبحانه.

قلت: كيف تجده.

قال: بحيث لا حيث.

ثم قال يا ذا النون أأعجبك كلام المجانين.

قلت: أي والله وأشجاني، ثم قلت له: ما صدق وحدانيتك للحق تعالى.

فصرخ صرخة ارتجّ لها الجبل ثم قال: يا ذا النون هكذا موت الصادقين، ثم سقط إلى الأرض ميّتاً فتحيّرت في أمري لا أدري ما أصنع به، وإذا به قد غاب عني فلا أدري أين أُذْهِبَ به؟!

انظر. ما أحسن هذا الجواب على الوحدانية، فإن حقيقتها ذهاب الكون عند التَّجلي إليه من حيث هي.

فأجاب بالغناء الكُلّي جواب حالٍ ثم تمّم ذلك بمغيب الجسد عن ذي النون، فكان فناءً بالكلية.

ولقد أشرنا إلى هذه الحالة من جملة ما أشرنا إليه في قصيدة مكية تحوي على أسرار. فقلنا:

وإذا أردْتُ تمتُّعاً بوُجُودِهِ   قسَّمْتُ ما عِندي عَلَى الغُرَمَاءِ

وَعُدِمْتُ مِنْ عيْنِي فكَانَ وُجُودُهُ   فَظُهُورُهُ وَقْفٌ عَلَى إخْفَاءِ

إنّي أعْطيت كل جزء من الكون ما يناسبه مني فتحللت حتى ما بقي إلاّ السّرّ الرّباني. فدخل في حضرته فلم أكن أنا فظهر لنفسه بنفسه ولنا، إلى هذه الحالات إشارات كثيرة في عدّة مواضع من منطق منّا لو رآها مَنْ تَقَدَّم من أصحابنا لزاده معرفة بفضل الله وسعة جوده فاسألوا الله لي أن يجعل ما أعطاني من المعرفة به حجّة لي لا حُجّةً عليّ، فإني ضعيف أضعف الضعفاء بالأصالة ما لم يُقَوِّني، ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

ومنهم رضي الله عنهم زَهْراءُ الوالهة[1] في حب الله تعالى المهيمة فيه لقيها في جبل من جبال بيت المقدس

أخبرنا محمد بن إسماعيل أنبا عبد الرحمن بن علي أنبا أبو بكر بن حبيب أنبا ابن أبي صادق، أنبا ابن باكويه قال: سمعت الحسن بن أحمد الفارسي، ثنا أحمد بن عيسى الأنصاري، ثنا محمد بن مسلمة قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

(١) زهراء الوالهة، يقول عنها المناوي: كانت من عقلاء المجانين، وأكابر العارفين ثم ذكر دعاءها الذي قالته في لقائها بذي النون نقلاً عما قيل ولم يزد حرفاً
عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية، [illegible].

بينما أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتاً يقول: يا ذا الأيادي التي لا تحصى، ويا ذا الجود والبقا؛ متع بصر قلبي في الجولان في بساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذني من مسالك المتجبرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في الحالات خادماً وطالباً، وكن لي يا مُنوِّر قلبي وغاية طلبتي في الفضل صاحباً.

قال ذو النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لي، فإذا امرأة كأنها العود المحترق، وعليها درع من الصوف، وخمار من الشعر، أسود، قد أضناها الجهد وأفناها الكمد، وذوَّبها الحب، وقتلها الوجد.

فقلت لها: السلام عليك، فقالت: وعليك السلام يا ذا النون.

فقلت: لا إله إلا الله، كيف عرفت اسمي ولم تريني؟

قالت: كشف عن سرّي الحبيب فرفع لقلبي حجاب العمى فعرّفني اسمك.

فقلت: ارجعي إلى مناجاتك.

فقالت: أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة، ثم خرّت ميّتة، فبقيت متفكراً متحيراً، فأقبلت عجوز كالوالهة فنظرت إليها.

ثم قالت: الحمد لله الذي أكرمها، فقلت: من هذه؟

قالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة؟

هذه ابنتي توهّم الناس عشرين سنة أنها مجنونة، وإنما قتلها الشوق إلى ربها.

باب جامع ومنه خاتمة الكتاب خبر نبوي

قال ذو النون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا خرجتم في حج أو عمرة فتمتعوا لئلا تتكلوا، وأكرموا الخبز، فإن الله سخر له بركات السماء والأرض، فلا تسندوا القصعة بالخبز، فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع**»[1].

حكاية في حب الله تعالى

قال ذو النون: لقيت بعض السياحين، فقلت له: من أين أقبلت؟ فأنشد يقول:

مِن عند من علقَ الفُؤادُ بذكْرِه ... فَشكَا إليهِ بخاطرٍ مُشْتاقِ

يَبكي الوِصالَ بعبرةٍ مسفوحةٍ ... فيها الشّفاءُ لوامقٍ توّاقِ

ثم تركني ومضى.

دعوة عارف ممنون عليه

قال ذو النون: مررت بجبل اللكام على رجل ساجد وهو يقول في سجوده: إلهي بك عرفتك، فما هي حاجتي إلى غيرك.

سمعت شيخنا ابن الصّائغ[2] يقول: سمعت محمد بن رزق[3] يقول: مررت في سياحة

---

(١) حديث: (إذا خرجتم من حج أو عمرة...)، رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة رضي الله عنه بدون الشطر الأخير من الحديث. هكذا أورده السيوطي في جامع الأحاديث ٤٢٧/١، حديث رقم (٢٢١٥).

(٢) (ابن الصائغ) هو الحسن بن الصائغ وتقدمت ترجمته.

(٣) (محمد بن رزق) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد رزق البزار بن رزقويه، كان في عصره محدثاً ذا مكانة مرموقة وهو تلميذ الصفار، وأول شيوخ الخطيب البغدادي، توفي سنة ٤١٢هـ. انظر: سزكين، تاريخ التراث العربي، ٣٧٦/١.

برجل على جبل ساجد فدنوت منه أسمع ما يقول: اللهم كما صُنت وجهي عن السجود لغيرك فصُنْ يدي عن مدّها إلى غيرك.

كتاب اعتراف

كتب رجل إلى ذي النون يسأله عن حاله فكتب إليه:

ما لي حالة أرضاها، ولاحال لا أرضاها كيف أرضى حالي لنفسي وأنا لا أفي بما أراد مني إلّا ما أراد من الأحوال فلست أدري أيما أحسن. حسن حالي فمن حسن إحسانه إليّ، أم حسن حالي في سوء حالي إذْ كان هو المختار لي غير أني في عافية ما دمت في العافية التي أظن أنها عافية إلا أني أجد طعم ما عنده للذي تقدم من مراده القديم.

وما حاجة إلى أن أعلم ما هو إذ كان هو قد علم ما هو كائن وهو المكوّن للأشياء وهو الذي اختاره لي.

همّة شريفة

قال أبو الحارث الأوسي[1]:

قصدت ذا النون في مسائل أريد أن أسأله عنها، فلما وصلت قيل لي: إنه مات بالأمس فجئت القبر فصليت عليه، وقعدت عند قبره فغفوت، فرأيته في المنام، فسألته عن المسائل فأجابني عنها.

معرفة كشفية بطريق السعادة

قال ذو النون: علامة السعادة للعبد ثلاث:

* متى ما زيد في عمره، نقص من حرصه.
* متى ما زيد في ماله، زاد هو في سخائه وبذله.
* ومتى ما زيد في قدره، زاد في تواضعه.

---

(١) (أبو الحارث الأوسي)، (الأولاسي)، أورده ابن الجوزي في **صفة الصفوة**، باسم (أبو الحارث الأولاسي) وقال: اسمه فيض ابن الخضر. كان شاباً يغني في أول أمره وقال: بينا أنا في غفلتي رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق، فدنوت منه فقلت: هل تشتهي شيئاً؟ قال: نعم، رمّاناً. فجئته برمان فلما وضعته بين يديه رفع بصره وقال: تاب الله عليك فما أمسيت حتى تغير قلبي عمّا كنت عليه. توفي أبو الحارث بطرسوس سنة ٢٩٧هـ.

انظر ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٨٦١/٢؛ عبد الرحمن الجامي: **نفحات الأنس**، ١١١؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ١٧٠/٣.

عِلْمٌ عِرْفَانِيٌّ بطريق الشقاوة

قال ذو النون: وعلامة الشقاء للعبد ثلاث:

- متى ما زيد في عمره، زاد في حرصه.
- ومتى ما زيد في ماله، زيد في بخله.
- ومتى ما زيد في قدره، زيد في تجبّره، وتكبره.

أخبرنا بهذين الخبرين عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي الحلبي بجامع حلب قراءة عليه وأنا أسمع قال، ثنا أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الأنصاري ثم الجياني[١]، ثنا محمد بن الفضل بن أحمد بن صاعد الفراوي[٢]، ثنا شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني[٣] قال:

سمعت أبا عمرو الحيري[٤] يقول: سمعت أحمد بن محمد بن إبراهيم الشروطي يقول: سمعت أبا الحسن المهلّبي يقول:

قال ذو النون وذكر: تذكرة منظومة لذي النون

أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ وَقَلْبُكَ سَاهٍ ... ذَهَبَ العُمْرُ والذُّنُوبُ كَمَا هِي
جَمَّة حَصَلَت عَلَيْكَ جَمِيعاً ... فِي كِتَابٍ وَأَنْتَ عَنْ ذَاكَ لاَهِي
لَمْ تُبَادِر بِتَوْبَةٍ مِنْكَ حَتَّى ... صِرْتَ شَيْخاً فَجَعَلكَ اليَوم وَاهِي

---

(١) محمد بن علي بن ياسر الأنصاري ثم الجياني، الأندلسي (أبو بكر) محدّث، رحل إلى المشرق، وسافر إلى بغداد ونيسابور وأقام بالموصل وتوفي بحلب سنة ٥٦٣هـ. له مؤلفات منها: كتاب الأربعين من رواية المحمدين.
انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٤/١١، الزركلي: **الأعلام**، ٦٦٦/٧، بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، ٦٤٥/٣، الطبعة العربية بإشراف أ.د. محمود فهمي حجازي.

(٢) محمد بن الفضل بن أحمد بن صاعد الفراوي الصاعدي، الشافعي (أبو عبد الله) المحدّث الواعظ الفقيه المعروف، ولد سنة ٤٤١هـ، وتوفي سنة ٥٣٠هـ بنيسابور، له مؤلفات منها: المجالس من الوعظ والتذكير، أربعون حديثاً.
انظر ترجمته في: كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٢٧/١١، البغدادي: **هدية العارفين**، ٨٧/٢، بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، ٥٥٢/٣، الطبعة العربية بإشراف أ/د. محمود فهمي حجازي القاهرة.

(٣) أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني بن إبراهيم بن عامر النيسابوري الفقيه المحدث المفسر سمع بنيسابور وهراة، وسرخس وتنقل وترك مؤلفات منها ذم الكلام، الفاروق من الصفات، الفصول في الأصول، منازل السائرين وغيرها، توفي سنة ٤٤٩هـ لأربع ليال بقين من المحرم.
انظر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٧٥/٢، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٢٨٢/٣.

(٤) أبو عمرو الحيري محمد بن أحمد بن حمدان بن علي الحيري، المتوفى سنة ٢٧٨هـ، كان من أكابر الصوفية، سمع من أبي عثمان وغيره.
انظر سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٤٨٦/٢، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٨٧/٣.

فـاجْـتـهِـد فِـي فِـكَـاك نَـفْـسِـك واحْـذر   يـوم تَـبْـدو الـسِّـمَـاتُ فـوق الجِبَـاهِ

قال: حدثنا به الأستاذ إلى الصابوني قال: أنشدنا أبو القاسم بن حبيب المقسر قال: أنشدني أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم البلاذري الطوسي[1] قال: أنشدني بكر بن عبد الرحمن، لذي النون المصري، الأبيات المذكورة.

ضمان دلال وحسن ظن ينبى على صلاح بال

قال محمد بن زيد التميمي: كنت مع ذي النون فنظر إلى دار تبنى، شاهقة في الهواء، وإذا شاب في ظل فِنائها، يأمر وينهى، فقال له ذو النون:

أيها المغرور، بدار الغرور اللاهي عن دار البقاء والسرور، كيف لا تشتري من مولاك داراً من دار الأمان، لا يضيق فيها المكان، ولا ينزعج منها السكان، ولا يشعثها حوادث الزمان، ولا يحتاج إلى بناء وطيان.

وتجمع هذه الدار حدود أربعة: فالحد الأول: ينتهي إلى منازل الراجين، المحْزونين.

والحد الثاني: ينتهي إلى منازل الخائفين.

والحد الثالث: ينتهي إلى منازل المحبين.

والحد الرابع: ينتهي إلى منازل الفائزين.

ويشرع لهذه الدار، شارع إلى خيام مضروبة، وقباب منصوبة، على شاطىء أنهار الجنان، في ميادين قد أشرقت، وغرف قد رفعت منها سُرُرٌ، قد صفقت عليها فرش، قد نُضِّدت فيها أنهار، من ألبان علاه كثبان مسك وزعفران، قد عانقوا خيرات حسان.

قال الفتى: ومن لي بها؟

قال: أنا أضمنها لك، على الله ذلك، وأكتب لك ضماناً على نفسي، بشرط أن تخرج في سبيل البر، ما أعددته من المال للنفقة في هذه الدار.

فقال الفتى: اكتب.

فكتب ذو النون: هذا ما اشترى العبد المحبور من الملك الغفور، اشترى منه هذه الدار بالتنقل من ذل المعصية، إلى عز الطاعة، فما أدرك هذا المشتري فيما اشتراه من درك، فينقض العهود وحل العقود، والشرود عن المعبود، وتشهد على ذلك البيان، وما نطق به القرآن.

---

(١) أبو محمد أحمد بن إبراهيم البلاذري الطوسي، محدث حافظ، الواعظ، الذي استشهد بالطابران، وهي مرحلة من نيسابور، خرج صحيحاً على وضع كتاب مسلم، توفي سنة ٣٣٩هـ.
انظر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٦١/٢، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٠٠/٣، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٣٤٩/٢.

يقول الملك الديان:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾[1].

فلو نظرت إليها، وقد برزت من قصور الدر والمرجان، والزبرجد، والعقيان، وقد خطرت في رياض المسك والزعفران، وهي تنادي بصوت حسن رخيم، من يخطبني في الظلام، من الحي الذي لا ينام، نحن الناعمات، نحن الشكلات، نحن الذي لا نموت، وخاطبنا لا يموت، فيتلذذ بنا من لا يموت، في جوار من لا يموت، بقدرة من لا يموت، ثم تمشيا جميعاً في رياض الورد والريحان، والشقايق.

فيقول له: ألست كنت تحسن تقرأ القرآن، فيرفع صوته، فيقرأ على شاطئ أنهار الجنان، ﴿الرحمن علم القرآن﴾[2] إلى قوله: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾[3].

ثم يقول: يا من خطبنا في الظلام، من الحي الذي لا ينام، سألتك بالذي جمع بيني وبينك، في غبطة وسرور، هل نقص لك مولاك شيئاً مما ضمن لك؟.

فيقول: لا.

قال ذو النون: فإن المطيعون يظل طوبى، مع قرب سيدهم الأعلى.

أدب وعلم بمعرفة ذاتية وتسليم

قال ذو النون: بينا أسير في بعض سياحاتي، فإذا أنا بصوت حزين، كئيب، موجع القلب، أسمع الصوت، ولا أرى الشخص، وهو يقول:

سبحان مفني الدهور، سبحان مُخرب الدنيا، سبحان مميت القلوب، سبحان باعث من في القبور، فاتبعت الصوت، فإذا أنا بنقب، وإذا الصوت خارج من النقب وهو يقول: سبحان من لا يسع الخلق إلا ستره، سبحانك ما ألطفك بمن خالفك، وأدناك بعهدك، سبحانك ما أحلمك على من عصاك، وخالف أمرك.

ثم قال: سيدي بحلمك نطقت، وبفضلك تكلمت، وما أنا والكلام، إلا بين يديك بما لا

---

(1) سورة التوبة، الآية رقم (111).

(2) سورة الرحمن، الآيات رقم (1، 2).

(3) سورة الرحمن، الآية رقم (58).

يستأهله قدري، فيا إله من مضى قبلي، ويا إله من يكون بعدي، بالصالحين فألحقني، ولأعمالهم فوفقني.

ثم قال: أين الزهاد والعباد؟ أين الذي شدوا مطاياهم إلى منازل معروفة؟ وأعمال موصوفة، نزل بهم الزمان فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم.

فهل أنتظر إلاّ مثل الذي نزل بهم، ثم أقبل على ما كان فيه.

فقلت: رجل قد عَزَفَتْ نفسه عن كلام الناس، فانصرفت وتركته باكياً رضي الله عنه.

(معارضة حال ومقام)

قال ذو النون: بيْنا أسير في جبل أنطاكية، فإذا أنا بجارية كأنها مجنونة، وعليها جُبة من صوف، فسلمت عليها، فردّت السلام.

ثم قالت: ألست ذا النون المصري.

قلت: عافاك الله، كيف عرفتني؟

قالت: فتق الحبيب بيني وبين قلبك، فعرفتك باتصال معرفة الحبيب، ثم رفعت رأسها إلى السماء.

فقالت: يا من سبا قلوب أوليائه شوقاً إليه، فقلوبهم مربوطة بسلاسل الأنس ينظرون إليه بمعارف الألباب، ثم قالت: أسألك عن مسألة؟

قلت: سليني.

قالت: أي شيء السخاء.

قلت: البذل والعطاء.

قالت: هذا السخاء في الدُنيا، فما السخاء في الدين؟

قلت: المسارعة إلى طاعة المولى.

قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه جزاء؟

قلت: نعم للواحدة عشرة.

قالت: مُرْ يا بَطّال هذا في الدين قبيح، ولكن المسارعة إلى طاعة المولى، أن يطلع على قلبك، وأنت لا تريد منه شيئاً بشيء، ويحك يا ذا النون، إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنةً، فأستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر، ولكن عمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله، ثم مَرّت وتركتني.

حال من لم يتخذ من دون الله وكيلاً

قال ذو النون: ركبت البحر، ومعنا مجنون أسود ذاهب العقل، فلما توسطنا البحر، قال الملاح:

زنوا الكرا فوزنا، حتى بلغوا إلى الأسود.

فقال له: زن فأنشأ يقول:

أنسُ القلوب، بقُرب أُنس أنيسها فتحيّرت بين المحبّة والهوى

فقال له الملاح: زن

قال: قد بعثنا إلى الخازن ليزن لك.

قال: وفي البحر صيرفي خازن.

قال: فظننا أنه يستقرض منه.

قال: فبينما نحن كذلك، إذْ هاج موج عظيم، فخرجت سمكة الله أعلم بعظمها فاتحة فاها، مملوءة دنانير، فجاءت حتى وقفت بقرب الأسود، فقال الأسود: يا ملاح، خذها إليك، وإياك أن تُشرق فتهلك، فأخذ منها ديناراً، فلما خرجنا منها سألت عنه. فقيل: هذا مجنون لم يفطر منذ خمسين سنةً، لم يطعم في كل شهرٍ إلا مرةً.

(شكر عارف ملك أزمة المواقف)

قال ذو النون: بينما أنا أسير في بلاد الشام، إذ أدركني المطر، فإذا أنا بأسودٍ، فدنوت منه، فرفع رأسه إليّ.

فقال: يا ذا النون، اعرف قدر الله لك، يكن لك مؤيداً، وسمعاً، وبصراً.

ثم قال: إلهي وسيدي ومولاي، إن عرفتك فبمواهبك، وإن شكرتك فبعطيتك.

ثم قال: يا مأوى همة العارفين، رُدّ قلبي إلى الإقبال إليك، واجعل بدني فيمن ينصب بين يديك.

سؤال شاهد وحكمة عارف[1]

قال ذو النون: خرجت في سفر، فبينما أنا أسير في برية، وقد اعتكر الليل، وتغشت ظلمة

(١) هذا العنوان غير واضح وضوحاً كافياً في نسخة الكتاب المخطوطة شأنه شأن كثير من العناوين، فكنا نلجأ إلى داخل النص نقرأ عليه العنوان أو نلجأ إلى مصادر أخرى.

الأفق، وسكنت حركات البشر، إذا أنا بشخص مارٌ بين يدي، فلحقته، فإذا رجل كهل حسن الوجه، طيب الريح، فصيح اللسان، عذب الكلام، عليه بزّة مُخشّنة، فسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام فقلت: يا شيخ، ما الذي دعاك إلى الوحدة والانفراد في هذا المكان القليل الالاف البعيد من الناس؟

فقال: طلب الظفر بمن يملك رق البشر، وهو على كل شيء مقتدر.

قلت: فَعلام أنت مقيم يومك هذا؟

فقال: قد كادت عيني أن ترى أعلام المستأنسين وروحي أن تشرب بكؤوس المحبين، وقلبي أن يخامره قلق المشتاقين.

فقلت: ما الذي قطع بك عن الوصول إلى ما هناك؟

فقال: يا ذا النون هذا أنا دائم القلق، أتضرع إليه في الراحة، وأسأله بلوغ الأمنية. وهو العليم بما يصلح به النفوس.

قلت له: أفتجد على قلبك من الخلوة شدة؟

فقال: ما أظن أن أحداً عرف ربه عزّ وجلّ، يحتاج مع أنسه رؤية الأهلين، ولا من انقطع إليه يكله[1] إلى أحدٍ من المخلوقين.

قلت: هل من وصيةٍ وعظة؟

فقال: نعم.

قلت: وما هي رحمك الله؟

قال: مبادرتك إليه إذا دعاك، وترك التخلف عنه إذا ناداك، ودوام الإقبال عليه مع كثرة المبادرة إليه، تخلع الراحة من نفسك.

وحذف كل ما دعاك إلى ما يبعدك منه، ويحول بينك وبين الظفر بالمراد، حتى لا يفقدك من عند نفعك، ولا يجدك عند مضارك.

قلت: زدني.

قال: أراك أن تترك حالة لحالة، حتى تنفذ ما أنت عليه من مرادك، فإن للعدوّ ها هنا مجالاً.

---

(١) في المخطوط (تكله).

قلت: زدني.

قال: تعلم تمقله، فإن لتمقله[١] غداً فرحة، تستوعب جميع الأحزان، وتظفرهم بدار الكرامة والأمان.

قلت: زدني.

قال: حسبك يا ذا النون إن عملت بما أخبرتك ومضى.

اعتراف وتسليم وإنصاف

أملى عليّ الشيخ الفاضل، أبو غانم، محمد بن هبة الله، بن محملين، أبي جرادة بمنزلي، بحلب قال: حكي عن ذي النون المصري رحمة الله عليه قال: بينما أنا في بعض سياحتي إذ رمتني المرامي إلى أن دخلت وادياً قد جفت أشجاره، ونشفت أنهاره، وشردت أطياره كأنه في أثواب ثكلى، فبينما أنا متعجب من ذلك إذ حان مني التفاتة، فنظرت إلى صخرة عالية، ليس لها من الأرض مصعد ولا من السماء مهبط، وعليها رجل قائم عليه مدرعة من الشعر فأتيت إليه وسلمت عليه.

فقال: وعليك السلام يا ذا النون.

فقلت: حبيبي ومن الذي عرفك أني ذو النون.

فقال: يا بطّال، جالت روحي وروحك في الملكوت فعرّفَ بيننا الحي الذي لا يموت.

فقلت: يا حبيبي ما هذا المقام؟

فقال: يا ذا النون هذا مقام المهجورين.

ثم أنشد:

يا مَنْ يُمَثِّلُه قلبي فأحسَبُه	مني قريباً ولكن عزّ مَطْلَبُهُ
وإن كُنتَ تُنكِرُ ما ألقاهُ مِنْ كَلَفٍ	وَما تمكّن مِنْ قلبي معذّبه
فشرْ بِعُودٍ من الكبريت نحو فمي	وانظر إلى زفراتي كيفَ تُلْهِبُهُ

ثم صاح ذا اليمين وذات الشمال فاجتمع إليه من الوحوش أصناف شتى تناثرت شعورهم، وجفت جلودهم، وفقئت عيونهم، وتشوه خلقهم.

فقال: يا ذا النون، وهؤلاء أيضاً من المهجورين حلّ بهم ما ترى وأنشد:

---

(١) التمقّل: كثرة غسل مقل العيون، أي الدموع والبكاء، وربما أراد (تملّقه) بتقديم اللام على القاف. فالتملق قبيح إلاّ مع الله فهو ضروري. والذل والتملق رفعت أهله درجات لا يبلغها نفس حر.

أَهْلُ الغَرَامِ تَجَمَّعُوا اليَوْمَ يَوْمَ عِتَابِنَا ... قُومُوا بِنَا بِحَيَاتِكُم نَمْضِي إِلَى أَحْبَابِنَا
إِنَّ الَّذِينَ نُحِبُّهم قَدْ وُكِّلُوا بِعَذَابِنَا ... قَوْمٌ إِذَا ظَفِرُوا بِنَا جَادُوا بِعِتْقِ رِقَابِنَا
نَعَقَ الغُرَابُ بَيْنَنَا فَغُرَابُنَا أَغْرَى بِنَا ... فَتَفَرَّقَتْ أَرْوَاحُنَا فَكَفَاكَ مِنَّا مَا بِنَا

فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبني إذ صاحت حمامة على غصن فضرب بيده إلى الحمامة، فأخذها وأنشأ يقول:

وَهَاتِفَةٌ فِي البَانِ تَشْكُو غَرَامَهَا ... وَتَتْلُو عَلَيْنَا مِنْ صَبَابَتِهَا صُحُفَا
عَجِبْتُ لَهَا تَشْكُو الغَرَامَ جَهَالَةً ... وَقَدْ جَاوَبَتْ فِيمَا تُنَاجِي بِه أَلْفَا
فَلَوْ صَدَقَتْ فِيمَا تَقُولُ مِنَ الهَوَى ... لَمَا لَبِسَتْ طَوْقاً وَلاَ خَضَّبَتْ كَفَّا
تُذِيبُ قُلُوبَ العَاشِقِينَ بِنَوْحِهَا ... وَمَا فَهِمُوا مِمَّا تَغَنَّتْ بِهِ حَرْفَا

ثم قال: خذها يا ذا النون، فما رأيت مُدّعياً كذّاباً، يشبهك إلاّ هذه الحمامة، فأخذتها وانصرفت، وهذا أعجب ما رأيت في سياحتي، ولما أملى علينا هذه الحكاية.

وانتهى إلى قوله في الشعر:

فَبُثْ بِعُودِ مِنَ الكِبْرِيتِ نَحْوَ فَمِي ... وَانْظُرْ إِلَى زَفَرَاتِي كَيْفَ تُلْهِبُهُ

قال: حدثني الشيخ العابد هارون بسنْجار[1] قال: بينما أنا ذات ليلة في دكاني، وكانت ليلة باردة مطيرة، فلم أشعر إذا رجل في دكاني، كأنه الحبة في المقلى من القلق والاحتراق، فقال لي: يا هارون[2] قُمْ فأتني بِمَنْ ينشد شيئاً.

قال هارون: فتكاسلت، ثم قلت: والله لأقومن ولأخالفن نفسي، فقُمتُ، فجئت بجماعة من أصحابنا، وقوّال قال، وكان عندنا في الدكان رجل يقال له: «حُسيْسن» كان يرمى بالجنون.

فقال القوّال وطاب وقتنا، فقال لنا حُسيسن:

(١) (سنْجار) مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بقرب الموصل ونصيبين، في لحف جبل عالٍ، وهي طيبة جداً كثيرة المياه والبساتين والعمارات الحسنة، كأنها مختصر دمشق.
انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٩٣.

(٢) وهارون العابد هو: هارون بن رياب الأسيدي، أبو بكر ويقال: أبو الحسن العابد البصري، المخفي لزهده، الموفي لعهده، كان يسرد الصوم، ويلبس الصوف تحت ثيابه، وكان يقول: (أوحى الله إلى بعض أنبيائه أن أخبر قومك أنهم عمروا بنيانهم وخربوا قلوبهم، وسمنوا أنفسهم كما يسمّن الجزور ليوم نحره، فنظرتهم فقلوتهم فدعوني فلم أستجب لهم). روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وروى عنه أيوب السختياني، وحماد بن زيد، وغيرهم.
انظر المناوي: الكواكب الدرية، ١/٣١٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١/٥، المزي: تهذيب الكمال، ١٩/١٩١، ترجمة رقم (٧١٠٤).

أنشدوا لي ما أقول:

حرّج كتابك من العناية

ترك عنك الغنى عناية

وأبيات من هذا القبيل من قيله يخاطبُ بها نفسه، فما زال القوّال يردّدها حتى قال لنا وهو هائج:

- احترقت الجُبّة، احترقت الجُبّة.

ثم نزعها ورمى بها.

قال هارون فعندما ألقاها رأينا والله الدخان صاعداً منها.

فعندما حدَّثنا «أبو غانم» بهذه الحكاية تصديقاً للبيت تذكرت ما حدثنا به الثقة عندي؛ قال: كنت عند الشيخ العارف أبي إسحاق إبراهيم بن طريف[1] بالجزيرة الخضراء بالأندلس ليلة وواحدٌ مِنْ أصحابنا قد تقدم يصلي، فمرَّ بآية فما زال يرددها فهاج واحد من المصلين، وأخذه القلق والاحتراق فشعر به الشيخ فركض برجله الأرض وتلا: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[2]، فوقع مثل الخشبة فاجتمعنا حوله، فَزَفَرَ زَفْرةً شممنا منها رائحة الكبد المشوية بالنار.

قُرْبَةٌ مَشْهُودَةٌ بِحَق

بلغنا أن أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ ببغداد، سئل عن قولهم: ﴿قالوا بلى﴾.

قال رحمه الله: قالوا بلى ثم جحدوا. وفرعون قال بلى، ثم قال: ما قلت.

وذو النون قيل له: أين أنت من قوله: ﴿ألست بربكم﴾[3]. قال: كأنه الآن في أذني. تلك الحالة كانت حال اقتراب بالهيبة، وليس عليها عمل.

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف، شيخ العارف الكبير ابن عربي رضي الله عنهما. كان يقول: إن الله تعالى يعيد من بركات الحركات الظواهر على البواطن ما يكون سبباً في تنويرها وصلاحها، حتى إذا صفت السرائر وتخلصت من شوائب الكدورات عادت بالصلاح على أعمال الظواهر فزكت الأعمال وارتفعت الأحوال بطهارة أصولها وثبات أساسها. انظر: المناوي: الكواكب الدرية، ٦٤٢/١.

(٢) سورة ص، الآية رقم (٤٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية رقم (١٧٢). كل ما أنكره فرعون، وجحده الكفار، وآمن به المؤمنون مترتب على الاعتراف الأول في قول الجميع (بلى) يا رب أنت ربنا. ولكن أنكر من أنكر، وجحد من جحد، وآمن من آمن، ونص الآية كاملاً هو: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾.

وقد قيل في معنى (بلى) ما أشار إليه ذو النون وفرعون في قصيدة، فلنذكرها بكمالها. لأنها تحتوي على لطائف وإشارات ومعارف وتنبيهات، واستماعات.

وهي:

إنَّ فِي الأَمْرِ اتِّساعٌ عِنْدَ مَنْ لاَ يُسْتَطَاعُ
فَلْيُحَقِّق نَاظِرٌ قَوْلَه: لَوْلاَ دِفَاعُ
لَمْ يَكُن فِي كَوْنِهِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ نِزَاعُ
كَتَبَ الجُودَ عَلَى نَفْسِهِ إلاَّ ارتداعُ[1]
لاَ بِخَيْزٍ لاَ وَلاَ بِبَنَانٍ، وَيَرَاع
فَإذَا يَنْشِدُنِي فِي وُجودِي فِي السَّمَاع
وَإذَا يَبْسِطُنِي فَارْتِيَاحٌ، واتِّسَاع
وَإِذَا يَقْبِضُنِي فَانْكِمَاشٌ، وارْتِيَاع
أَنَا مِن هَذَا وَذَا، فَهِي وِهَادٍ وَتِلاَع
فَكَثِيف بَازِل، وَلَطِيف، فِي ارْتِفَاع
لَيْس بِالشِّبْرِ اخْتِصَاصٌ، كَمَا اخْتُصَّ بِبَاع
فَافْتَرَقْنَا هَا هُنَا، واجْتَمَعْنَا فِي الذِّرَاع
مَا لِشَمْسِ الكَوْنِ فِي حَضْرَةِ النُّورِ شَعَاع
إنَّمَا إشْرَاقُها حَيْثُ تَسْوَدُّ البِقَاع
لَيْسَ لِوَاهِبِ أَنْ حَصَلَ الوَهْبُ انْتِزَاع
هِبَةٌ مِنْهُ بَلَى عِنْدَ قَوْلٍ واسْتِمَاع
إنَّمَا قَالُوا: «بَلَى» لِحُصُولِ الانْتِفَاع
حَضْرَةُ الرَّبِّ لَهَا بِصَفَا الطَّبْعِ انْطِبَاع
فَلِذَا قَالُوا بَلَى لَمْ يَكُن لِلاخْتِرَاع
ثُمَّ لَمَّا خَرَجُوا لِتَرى كَتْبُ الطِّبَاع
أَظْهَرُوا مَا كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْ شِرْكٍ فَذَاع
وَمَشَى الأَمْرُ عَلَى مَا مَشَى فِيهِ، وَشَاع
خَسِرَ الحَقَّ امْرؤٌ، تَرَكَ الحَقَّ، وَضَاع

---

(١) غير واضحة في المخطوط.

رَبِحَ الحَقَّ امْرؤٌ اشْتَرَى الرُّشْدَ وَبَاع
لَمْ يَجِدْ شَيْئاً فَتَى مَالَهُ عَنْهُ انْخِلاَع
كَانْخِلاَعِ المُجْتَبِي المُصْطَفَى رَبِّ الصُّوَاع
مَا حَيَاةُ الجِسْمِ فِي رُوحِهِ إلاَّ مَتَاع
مُرْتَضَى كَانَ لَهُ فِي المَعَارِجِ انْدِفَاع
ثُمَّ بَعْدَ الخَلْعِ لاَ بُدَّ مِنْ حَالِ ارْتِجَاع
مَحَلٌّ لاَ يُرَى فِيهِ فِطْرٌ وارْتِجَاع

[-][1] قربة مُقدّس

قال ذو النون: حقائق القلوب نسيان حظ النفوس.

توحيد معاملة تجمع بين فضله ومفاضلة

قال ذو النون: من شغله في ظاهره أغفله عن خواطر باطنه.

روى هذين الخبرين عنهما بكران بن أحمد[2] عن يوسف بن الحسين عنه.

خرّجه «ابن باكويه» في جامعه لحكايات الزهّاد والعبّاد والعارفين[3].

تحليل عرفاني ونعت مقدس

قال محمد بن داوديه الشمْناني، ثنا عبد الله بن سهل الرازي[4]، عن يوسف بن الحسين عن ذي النون المصري قال:

إن الله تعالى خص أهل ولايته بالانقطاع ليعرفهم فضله وإحسانه، فانصرفت هموم الدنيا عن قلوبهم، وعظم شغل الآخرة في صدورهم، لما ركبها من هيبة ربهم فألزموا قلوبهم العبودية وطرحوا أنفسهم في شراع التوكل.

قال الله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[5] الآية. فالمتوكل على الله قد اكتفى

---

(١) ما بين المعقوفتين من العنوان غير واضح بالمخطوط.

(٢) (بكران بن أحمد)، الصحيح هو بكير بن محمد بن أحمد بن سهل الحداد، يقال: اسمه أحمد ولقبه بكير، سكن مكة شرفها الله تعالى وحدّث بها، ولم تعرف تاريخ وفاته.
انظر: تاريخ بغداد، ١١٢/٧، طبقات الصوفية: ١٥٦.

(٣) تذكر المصادر أن له كتاب (أخبار العارفين والزهاد والعباد)، بجانب كتابه (بداية حال الحلاّج ونهايته)، وهو مشهور.

(٤) (عبد الله بن سهل الرازي)، عبد الله بن سهل بن يوسف الرازي مقرئ مجوّد للقرآن، وله بعض التواليف في القراءات، توفي في سنة ٤٨٠هـ.
انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٦٢/٦.

(٥) سورة الطلاق، الآية رقم (٣).

بعلمه بالله عن الاشتغال بغيره حتى اتصل خوفه ورجائه بالله، فإنه لا مانع ولا معطٍ إلا الله، فلا ترغب عن الله بجهلك فتخضع لمن دونه عند تخويف الشيطان واعلم أن أخص المتوكلين عليه يحجب عنهم كل آفةٍ فهم ينظرون إلى الله تعالى ولا يؤمّلون غيره فقد حجب قلوبهم عمّن سواه بما يرجون من إحسانه، واستغنوا بذكره عن ذكر غيره.

واعلم أنك لا تكون متوكّلاً[1] حتى تصفو من كل ملك، ولا ترى إلا الله، ولا تقدر أن تفر من رزقك، كما لا تقدر أن تفر من الموت أمّا سمعت الله يقول: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[2].

فاقطع الاشتغال بذكر الأسباب من قِبَلَكَ واعلم أن الله تعالى يرزقك بسبب، وبغير سبب ألا ترى أنه وعدك أن يرزقك وغيّب عنك علمه ولو احتلت بكل حيلة. أن يأتيك قبل وقته أو بعد وقته ولم يقدر على ذلك فيما قسم لك لا يمنعك غيره، والتوكل يزيد وينقص مثل الإيمان.

مكاتبة عرفانية

قال محمد بن فارس الصوفي[3]: سمعت أبا القاسم عبيد الله بن عبد الله الرّقّي[4] قال: كنت عند أبي عبد الله بن الجلاء وكتب إلى ذي النون كتاباً يذكر فيه: دُلّني على أفْضل من بقي في الوقت، فكتب إليه ذو النون: هو الذي فنيت إرادته واحترقت جفونه فكتب إليه تعرف من هو أفضل من هذا، فكتب إليه هو من كانت له حال لا له ولا عليه فلا منه ولا إليه.

[ـ][5] الحكمة المعشوقة

قال عبد الوهاب بن عبد الباقي الباخينسي الأبهري[6] قال: سمعت الحسن بن نصر، محمد بن علي المقرئ بطرسوس قال: سمعت عمر بن الحمال[7] وقال لأبي عبد الله بن الجلاء وأنا حاضر: يا أبا عبد الله، كان ذو النون يعمل الكيمياء؟

---

(١) في نسخة الأصل المخطوط (متوكل).

(٢) سورة الروم، الآية رقم (٤٠).

(٣) (محمد بن فارس الصوفي) هو محمد بن محمد بن فارس بن سهل البغدادي. ولد سنة ٣٣٨هـ ورحل وجمع وصنف. حدّث عنه الماليني والبرقاني، وأملى في جامع الرصافة، توفي سنة ٤١٢هـ في شهر ذي القعدة.
انظر: السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ٤١٢، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ١٠٥٢/٣.

(٤) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي أبو وهب الرقّي، روى عن الأعمش، وأيوب وغيرهما، وروى عنه زكريا بن عدي، وبقية وغيرهما، قال عنه ابن سعد صدوق. مات بالرقة، سنة ١٨٠هـ.
انظر السيوطي. **طبقات الحفاظ**، ١٠٢، الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ٢٤١/١.

(٥) ما بين المعقوفتين غير واضح بالمخطوط فقد كتب في الأصل بحبر أحمر ولم يظهر التصوير بعض أجزائه هكذا.

(٦) عبد الوهاب بن عبد الباقي الباخينسي الأبهري، لم أقف عليه.

(٧) عمر بن الحمال لعله عمر أبو حفص الحداد.

فقال له أبو عبد الله: نعم. ولكنه كيميائي كيمياء صبيح الأسود.

فقال له عمر: ومن صبيح الأسود.

قال: إنسان صلى العتمة ببغداد، والغداة بمكة.

قال ابن باكويه إشاراتها كانت آيات.

جواب في التصوف

قال أبو علي ممشاد بن الحسن التبريزي:

سمعت يوسف بن الحسين يقول: سئل ذو النون عن اسم التصوف هل هو مشتق من معنى أو لقب على غير عمل فأجاب بأجوبة منها قال: قيل: كانوا في الأصل صُفيَّة مأخوذ من أهل الصُفَّة، وكان لِبْسُهم الصوف، لأنه داع إلى التقشف، وأشبه بلباس الصالحين، وكان التصوف سمة المجتهدين التاركين للتصرف في الاكتساب قال: وقيل إنه اسم لزمه على غير اشتقاق وإنما هو لمن تبتل منقطعاً إلى الله تعالى من العباد وأخلص له المجاهدة.

قال وقيل: إنه علم لا مشتق من نسبة ولا عمل، وهو يقع على من يكن من لنشر المقام واتصل بما يحمله من القوام.

قال: وقيل: إنه اسم لمن مُكِّن من الإيثار وجعل من قضية الاعتبار غائب بها عن موافقة الأكدار.

قال الحسين بن إسماعيل البلخي بجند نيسابور، ثنا العباس بن يوسف الشطي، ثنا أحمد بن موسى بن الحكم. قال: سمعت ذا النون يقول: قلب العارف أسرع إلى الله من الرياح والعواصف.

ذو النون سيد الحكماء

قال محمد بن عبد الله بن علي السمناني قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: وآخى أخوان على عهد ذي النون فقال أحدهما لصاحبه اطلب لنا أستاذاً نتأدب به فنقصده فقال له: عليك يا أخي بأحمد بن أبي الحواري[1] فإنه لقي أبا سليمان

---

(١) (أحمد بن أبي الحواري) كنيته أبو الحسن، وأبو الحواري اسمه: ميمون من أهل دمشق. صحب أبا سليمان الداراني وغيره من المشايخ مثل سفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية الفزاري وغيرهما، توفي رحمه الله سنة ٢٣٠هـ. له أخ يقال له محمد ابن أبي الحواري يجري مجراه في الزهد والورع، وأيضاً ابنه عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري من الزهاد، وأبوه كان من العارفين.

انظر: السلمي: طبقات الصوفية، ٩٨، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٥/١، ابن العماد: شذرات الذهب، ١١/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤٨/١٠؛ الرسالة القشيرية، ٢١.

الرازي[١] ونرجو أن نصل به إلى بعض ما نريد.

فقال له: لا عليك بالقصد إلى ذي النون المصري فإنه قد ساد الحُكماء في وقته.

فقال له: اقصد بنا إليه، فخرجا فلما كانا في بعض الطريق اعترضهم وادٍ فقال أحدهما لصاحبه: قف حتى أنزل فأعرف مقدار الماء فلما كان في وسطه غلب عليه الماء فأخذه.

فقال له الآخر من الشط البعيد: من نجا بغيره قال: فشال رأسه من وسط الماء. فقال: ليس كذا يا أخي لكني ظننت أني أنت.

قال: فنزع الآخر ثيابه ودخل الماء لينقذه فماتا جميعاً.

تحذير

قال عمر بن عبد الله الأصبهاني، ثنا الحسين بن أحمد الأصبهاني حدثني محمد بن عبد الله الأردبيلي عن ذي النون المصري أنه قال:

من مال إلى الجنايات وقعت به المباعدات.

نصيحة ووصية

وبالإسناد قال ذو النون:

اصحب الدنيا بما يضرك تلقى في القيامة ما يسرك.

نعت المحب الصادق

قال بكران أحمد بن الجيلي، ثنا يوسف بن الحسين الرازي قال سمعت ذا النون المصري يقول: اعلموا أن المحب لله لا يعظم عنده الإيثار لله لأنه ليس شيء أعظم عنده من الله، فينبغي له أن يرى عليه أثر ذلك من رفض الدنيا لأنه من المحال أن يجتمع في القلب محب الدنيا وحب الله لأنه من أحب الله لم ينظر إلى غيره.

عرفان

وبالإسناد قال ذو النون: صلاح القلب ساعة أفضل من عبادة الثقلين.

---

(١) (أبو سليمان الرازي) يقصد أبا سليمان الداراني وهو: عبد الرحمن بن عطية وهو من أهل (داريا) قرية من قرى دمشق. مات أبو سليمان الداراني رحمه الله سنة ٢١٥هـ. وأسند الحديث ولقي مجموعة كبيرة من العلماء والزهاد.
انظر ترجمته في: السلمي: **طبقات الصوفية** للسلمي، ٧٥؛ أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢٥٤/٩؛ القشيري: **الرسالة**، ١٩؛ ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٢٥٥/١٠.

[ـ](1) كلمة الحضرة

وبالإسناد عن أبي الحسين قال: سئل ذو النون وأنا حاضر عن قول الله عزّ وجل: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾(2).

ترى كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحتشم زيداً إذا رآه.

فقال ذو النون: أترى كان يزيد احتشم النبي صلى الله عليه وسلم، إذا قيم لالتماس شيء، كانت العاقبة قد حكمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عاجلاً، وإنما كانت عارية عند زيد.

قوله في تَعَوُّد البلاء

قال أبو الحسين الحنظلي: ثنا عبد الله بن سهل الرازي، ثنا سليم الحراني قال: قال ذو النون: قلوب أهل الهوى سُجون البلاء، فإذا أرادَ الله أن يعذب البلاء، حبسه في قلوب أهل الأهواء، فيصيح إلى الله بالاستغاثة والخروج من قلوب أهل الهوى.

وقال ذو النون: في الحال التي استعيد بها العارف.

قال بكران بن أحمد الجيلي: يوسف بن الحسين الرازي يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: وسئل ما أغلب الأحوال، التي استعيد بها العارف قال: رؤية كل شيء منه ورجوعه في كل شيء إليه وسؤاله إياه كل شيء.

(تقاسم المعرفة)

وبالإسناد سئل ذا النون عن المعرفة فقال:

المعرفة على ثلاثة أوجه:

- معرفة بالوحدانية من طريق الخبر على لسان الحُجّة بطريق الكتاب والسنة.
- ومعرفة بالفراداتية من طريق العقل على لسان التوحيد بدليل الوحد.
- ومعرفة بالقدرة من طريق الاجتهاد على سياط الصفاء في ميزان الإحسان والنعم.

(طبقات الموحدين)

وبالإسناد قال ذو النون:

طبقات الموحدين أربعة:

- طبقة نظرت في الطوارق.

---

(1) ما بين المعقوفتين جزء من عنوان غير واضح تماماً بالمخطوط.

(2) سورة الأحزاب، الآية رقم (37).

- وطبقة نظرت في العواقب.
- وطبقة نظرت في السوابق.
- وطبقة نظرت في الحقائق.

(دليل محبة)

قال أحمد بن عيسى:

ثنا أحمد بن عبد العزيز، ثنا أبو الفضل الخراساني، ثنا سعيد بن عثمان سمعت ذا النون يقول: من علامة المحب للّه ترك ما شغل عن الله حتى يكون الشغل كله به وله.

(شعار أهل المعرفة)

قال أبو الحسن الحنظلي: سمعت عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون المصري يقول في شعار أهل المعرفة خصال ثلاثة:

- نشر آلاء الله في مجالس الذاكرين.
- وتفريج كُرَب التوابين.
- والدلالة على الله بلسان التوحيد لجميع العالمين.

(تفصيل وتبيان)

قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

العطايا مواهب، والطاعات مكاسب، والناس رجلان: دارج، وواصل، فالدارج سائر على طريق الإيمان، والواصل طائر بقوة المعرفة.

ولكل دليل، فدليل الإيمان العلم، ودليل المعرفة الله عزّ وجل، فمتى يلحق السائر الطائر. وللعارف ثلاث لحظات:

- لحظ إلى ربه فافتخر.
- ولحظ إلى نفسه فاحتقر.
- ولحظ إلى عمله فافتقر.

(ذكر العارفين وخدمتهم للمعرفة)

قال محمد بن أحمد بن ميمون: ثنا عبد الله بن ميمون قال: قال ذو النون: ما ذكر الله العارفون، إلا بالغفلة ولا خدموه إلاّ في الفترة.

(حكمة بالغة)

وبه قال قال بكران بن أحمد الجيلي: ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: من راقب العواقب سلم.

قال: وسمعته يقول: من تهاون بالمفاجأة عاقبه الله تعالى بالعمد.

(في الحياء)

وبالإسناد قال: قال ذو النون بن إبراهيم المصري رحمه الله: استحِ من الله أن تسأله ما تحب وتأتي ما يكره.

(منتهى المعرفة وكمالها)

قال محمد بن أحمد بن ميمون: قال ذو النون: أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه.

قال: وسئل عن كمال المعرفة بالنفس، فقال: سوء الظن بها.

(أدب وتحذير)

قال بكران بن أحمد الجيلي: يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

إن سرورك بالمعصية إذا ظفرت بها أشد من المعصية.

(اطلاع شريف)

قال عبد الواحد بن بكر: ثنا أبو بكر السائح، سمعت يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول:

من اطّلع على الأسرار التي هي في المكنون فقد استشرف على بعض ما في الغيوب.

(شوق واشتياق)

قال إبراهيم بن محمد المالكي: ثنا أحمد بن يوسف قال: سئل ذو النون عن استحقاق الاشتياق فقال: إذا استحق الاشتياق، قرب من باب الخلاّق، وشرب من كأس المذاق، فتاق واشتاق.

(حفظ إلهي بمعتنى هو في الوقت على حال لا ترتضى)

قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير، واقفاً، فنظرنا، فإذا بضفدع خرج من الغدير، فركبه عقرب، وجعل الضفدع يسبح حتى عبره، فقال ذو النون:

إن لهذا العقرب لشأناً، فامض بنا، فجعلنا نقفو على أثره، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حيّة

قد جاءت، فصعدت من ناحية سرته إلى صدره، وهي تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها، فانقلبت، فانفخست، ونزل العقرب، فرجع إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبت وعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه فقال:

يا فتى انظر مما نجّاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحيّة التي أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يَـا غَـافِـلاً وَ الجَلِيـلُ يَـحْـرِسُـه ... مِـنْ كُـلِّ سُـوءٍ يَـدُبُّ فِـي الـظُّـلَـم
كَـيْـفَ تَـنَـامُ الـعُـيُـونُ عَـنْ مَـلِـكٍ ... يَـأْتِـيـهِ مِـنْـهُ فَـوَائِـدُ الـنِّـعَـم

فرفع الشاب رأسه ونهض وقال: إلٰهي هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك! ثم ولّى.

فقلت: إلى أين؟

فقال: إلى العالية، والله لا عُدْتُ إلى المدن أبداً.

[همّة عالية]

حدثنا الثقة الإمام عبد الرحمن بن علوان، ثنا ابن ياسر الجياني، ثنا محمد بن الفضل الفراوي، ثنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، ثنا أبو سعد، ثنا أبو عبد الله محمد ابن أحمد الوشا بمصر، ثنا الحسن بن رشيق، ثنا أحمد بن جعفر السمسار.

قال سمعت ذا النون يقول: دخلت إخميم الصعيد، فدخلت في بعض البراري، فسمعت صوتاً، ولم أر شخصاً وهو يقول: يا أبا الفيض أقبل عليَّ، فاتبعت الصوت فإذا أنا بوجه قد خرج من موضعه، فقال لي: أنت ذو النون المصري؟

قلت: نعم.

فقال لي: أنت زاهد أهل زمانك.

قلت: يا عبد الله كذا يقال.

فقال لي: يا أبا الفيض، أليس يقولون: إن الدنيا ليس تسوى عند الله جناح بعوضة، فازهدوا في الآخرة خير لكم.

فقلت له: وكيف نزهد في الآخرة؟

قال: تزهدون في جنتها ونارها، وترغبون إلى الله في النظر جلت عظمته، ثم أمسك عني ورجعت.

(ظرف وأدب)

وبالإسناد عن الصابوني قال:

سمعت أبا يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن ممشاد العدل يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: كان لي عكازة مكتوب عليها:

سِرْ فِي بِلادِ اللهِ سَيَّاحاً ... وابْكِ عَلَى نَفْسِكَ نَوَّاحاً

وامْشِ بِنُورِ اللهِ ارضِهِ ... كَفَى بِنُورِ اللهِ مِصْبَاحاً

قال: وكان لي عصاً مكتوب عليها:

عَبَرَاتٌ كُتِبْنَ فِي الخَدِّ سَطْراً ... قَدْ قَرَاهُ مَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ يَقْرَا

إِنَّ مَوْتَ المُحِبِّ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ ... وَخَوْفِ الفِرَاقِ يُورِثُ عُذْرَا

صَابَرَ الصَّبْرَ فَاسْتَغَاثَ بِهِ الصَّبْرُ ... فَصَاحَ المُحِبُّ بِالحُبِّ صَبْرَا

قال: وكان له مخلاة مكتوب عليها.

لاَ رَبُّكَ يَنْسَاكَ وَلاَ رِزْقُكَ يَعْدُوكَا

وَمَنْ يَرْغَبْ إِلَى النَّاسِ يَكُنْ لِلنَّاسِ مَمْلُوكَا

لِيَكُنْ شُغْلُكَ لِلَّهِ فَإِنَّ اللهَ يَكْفِيكَا

وقال ذو النون:

مُنَافَسَةُ الفَتَى فِيمَا يَزُولُ ... عَلَى نُقْصَانِ هِمَّتِهِ دَلِيلُ

وَمُخْتَارُ القَلِيلِ أَقَلُّ مِنْهُ ... وَكُلُّ فَوَائِدِ الدُّنْيَا قَلِيلُ

(تنبيه وإيقاظ)

حدثنا محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن عن ابن حبيب، عن أبي صادق، عن ابن باكويه، قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: يسكنك حب الله في صدرك، أما علمت أنه من قال: لولا لكان فقد ولا الأمر غير الله عزّ وجلّ.

(وصية ونصيحة)

وبه قال: قال أبو القسم الساوي: سمعت أحمد بن عبد الله الساوي يقول: سمعت يوسف ابن الحسين، سمعت ذا النون يقول: سل ما بدا لك من أمره ونهيه، تلقى ذلك بالتسليم والرضا

والخضوع. ولا تتعب بعقلك، عما قد أخفى عنك من أسراره، مثل القدر وغيره، فإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

(ذوق وعرفان)

وبه قال: قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: إسكانك حب الله في صدرك يطلع ينابيع الحكمة من قلبك.

(دلائل محبة ورجاء)

وبه قال: قال محمد بن أحمد، ثنا يوسف بن الحسين الرازي: سمعت ذا النون يقول: لم يحب الله من لم يرضَ بقدره، ولم يرجُ الله من لم يتق بنفسه.

(متى يجاب الدعاء)

وبه قال: قال محمد بن رزك يسران لابن باكويه، سمعت علي بن أحمد الترمذي قال: سمعت أبا العباس العباسي، وكان قد أتى عليه مائة وسبعة وعشرين سنة.

يقول: وذكر حكاية السن الذي ردّه ذو النون في فم الرجل، كما تقدم في باب كراماته.

قال العباسي: فلما تفرق الناس عنه، ومشى غير بعيد تعلقت به، وقلت: أرى معك اسم الله الأعظم.

فقال لي: يا هذا تنح عني.

فقلت: لا أفارقك أو تعلّمينه فأقبل عليّ وقال لي يا هذا: إذا رق قلبك فادع بما شئت فذاك اسم الله.

وقد أخبرني:

بعض أصحابنا عن شيخ صاحب كرامات من أهل بلادنا ممن نعرفه، ولقيته يقال له: أحمد ابن سيدبون من وادي اشت من شرق الأندلس قال لي: جلت بين يديه.

وقلت له: ما هو اسم الله الأعظم، فأخذ حصاةً من الأرض فرماني بها وأطرق، ففهمت منه أن العبد إذا صدق وكمل، فهو ذاك.

وقد حكي مثل هذا عن أبي يزيد البسطامي فقال: أرونا الأصغر حتى أريكم الأعظم، ثم وبّخهم. وقال: أسماء الله كلها عظيمة، ولكن اصدق وخذ أي اسم شئت. وقد أشار إلى هذا

النحو أبو العباس بن العريف الصنهاجي[١]، وأبو مدين، وعبد العزيز المهدوي، والجماعة كلها على هذا النحو، جماعة المحققين خاصة.

(مواطن القلوب)

وبه قال: قال عبد العزيز بن الفضل: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: قلوب أهل المحبة محترقة بنار المحبة وقلوب أهل المعرفة نازلة إلى ميدان المنّة، وقلوب أهل الولاية تنظر إلى صاحب الولاية ثم أنشأ يقول:

الخَوْفُ أَمْرَضَنــي، وَالـشَّـوْق أَحْـزَنَـنـي   والحُبُ أَيــقَــظَــنـــي، والحُبَ يُــحْــيــيني

وبه قال: وقال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: إذا كان استغفارنا كلاماً، فطاعتنا مناماً وهذا شرط محقق.

ذوق وشوق

والذوق عند القوم أول مبادئ التجلي، كذا حكي عنهم دون زيادة.

والذي أقول به:

أن الذوق أول مبادئ تجلي الاتصال من مقام الأنس والجمال وهو الذي يورث الاشتياق، فإن التجليات على ضروب مختلفة، قد ذكرنا في كتاب (التجليات)[٢] منها: نحو (مائة تجلي) وعشرة، متميزة بعضها من بعض.

وبه قال: قال إبراهيم بن محمد المالكي: ثنا أحمد بن يوسف البغدادي، سمعت ذا النون وسئل عن الذوق، وما معنى الشوق، فقال:

شوّق فاشتاق، وذوّق فطاب له المذاق، فهو إلى توقه توّاق، وإلى حلاوة الاشتياق تواق.

(حكمة)

قال محمد بن أحمد السيراجاني بأرجان: سمعت قسيم غلام الزقاق[٣] يقول: سمعت

---

(١) أبو العباس بن العريف الصنهاجي. هو: أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء بن الصنهاجي الأندلسي المري، المعروف بابن العريف (أبو العباس) الصوفي، صاحب القراءات وله عناية بها. ولد في ٢٠ من شهر جمادى الأولى سنة ٤٨١هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٣٦هـ. له مؤلفات منها **مجالس المجالس، ومطالع الأنوار ومنابع الأسرار**، وغيرها.
انظر: ابن خلكان، ٦٧/١، ابن العماد، **شذرات الذهب**، ١١٢/٤، كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٦٤/٢.

(٢) كتاب التجليات، طبع عدة طبعات وهو كتاب هام وضروري، ومن مؤلفات ابن عربي الذي له شهرة واسعة.

(٣) (الزقاق) هو: أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير، كان من أقران الجنيد، من أكابر مصر. سمعت محمد بن الحسين السلمي، رحمه الله يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت الكتاني يقول: لما مات الزقّاق انقطعت حجة الفقراء في دخولهم مصر. أورد المناوي في **الكواكب الدرية**، اسمه (أبو علي الزقاق) هكذا فقط.
انظر: الإمام القشيري: **الرسالة ٢٣**، المناوي: **الكواكب الدرية**، ١/٣٠د.

فضيل بن عبيد يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

الرفق والحيلة إلى كل نجاح وسيلة.

(نعت عارف مع الله واقف)

وبه قال: قال وسمعته يقول: إن العارف استغنى بربه، فمن أغنى منه وورثه ذكره وأناخه بفنائه، فاستأنس به وفي مقابلته.

وبه قال: قال وسمعته يقول: من استأنس بشيء من الدنيا لم يجد صافي لذة ذكر مولاه.

وقال: من عرف قدر الدنيا كلها لم يكن للدنيا عنده قدر أنس الوحيد بربه.

وبه قال:

عن محمد بن البوار يحيى، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن البغدادي قال سمعت أبا جعفر المغربي[1]، سمعت ذا النون يقول:

رأيت فتى من المتعبدين على شط النيل واقفاً يصلي في موضع مسبع، فتقدمت وجلست إليه، فلما انفتل من صلاته، قلت له:

يا أخي هل خرجت من هذا المكان قط؟

قال: نعم، ليلة كانت كثيرة الرعد والبرق، ففزعت قليلاً، فناداني هاتف يقول:

عبدي لا تفزع من غيري فإني أنا مؤنس كل وحيد.

(كرامات الخَوَاص)

وبالإسناد قال ذو النون:

إذا أكرم الله عبداً أَلْهَمَهُ ذِكْره، وأَلْزَمَهُ بابه، وآنسه به، يصرف إليه بالبر والفوائد، ويمده من عنده بالزوائد، ويصرف عنه إشغال الدنيا والبلايا، فيصير من خواص الله، وأحبائه، فطوبى له حياً وميتاً.

لو علم أبناء الدنيا بحَظِّ المقربين، وتلذذ الذاكرين وسرور المحبين لماتوا كمداً.

---

(١) (أبو جعفر المغربي) محمد بن إسماعيل المغربي، عمدة الصوفية، وأستاذ إبراهيم الخواص. انتهت إليه رياسة الصوفية وتربية المريدين، وبعث بكمال الزهد. وكان يقول: أفضل الأعمال عمارة الأوقات في الموافقات. توفي رحمه الله سنة ٢٩٩هـ، عن نحو مائة وعشرين سنة، على جبل طور سيناء.

انظر ترجمته في المناوي: **الكواكب الدرية**، ٤٨٥/١، الشعراني: **الطبقات**، ٧٩/١، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ١١/ ١١٧.

(صفة المحزون)

وبه قال:

قال أحمد بن الحسين: سمعت الحسن بن بشر بن سعيد[1] قال: قلت لذي النون المصري: صف لي ذوي الأحزان فقال:

لو رأيت ذا الحزن، رأيت ذا روح قلقة وعين أرقة، وقلب قريح، وطريف جريح، وجسم نحيل، وداء دخيل، لا يطيق الرقاد، ولا يعرف غير السُّهاد، قد سامه طرفه، ودنا منه حتفه، فروحه محتبس، ولبه مختلس، كثير الهموم، جم الغموم، مستوحش من ذكر المخلوقين، آنس بذكر رب العالمين، ثم بكى حتى غشي عليه.

(صفات المختصين)

وبه قال:

قال عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا محمد بن أحمد الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي سمعت ذا النون يقول:

إن لله عباداً، جعلوا القرآن درساً لأحزانهم، والحزن نوح أشجانهم، وجعلوا المواعظ مراهم جراحاتهم، والموت نصب أعينهم، وقيام الليل روح أسرارهم، وجعلوا الصيام غذاء أبدانهم، وجعلوا الصدق لفظ ألسنتهم.

(شرح أعلام الفتح)

وبه قال:

قال وسمعت ذا النون يقول:

- من أرسى على ساحل الأحزان ورث دلائل الإقبال.
- ومن شرب من عين الظمأ سلم من عثرات العمل.
- ومن استعمل معول الفهم قوي على حفر معادن الكمد.
- ومن ركب مراكب الخوف مرَّ في حملة البستان.

---

(١) الحسن بن بشر بن سعيد الجوهري، صوفي فضائله كثيرة، وله كرامات متعددة منها: أتاه رجل ملهوف فقال له: أنا كاتب وضاع مني دفتر الحساب وأنا عند أمير جائر وقد دلّوني عليك. فقال له: اذهب اشتر بدرهم حلاوة والتي به فمضى واشترى الحلاوة فإذا هي في دفتره. فقال له من أين لك هذا؟ قال البقال: اشتريته الساعة، فأخذه منه وأتى به إلى الشيخ فقال له: كُلْ حلاوتك فلا حاجة لنا بها. مات رحمه الله أواخر القرن الخامس ودفن بالقرافة عند أبيه.

انظر المناوي: الكواكب الدرية، ٦٢٦/١، النبهاني: جامع كرامات الأولياء، ٣٩٠/١.

• ومن قطع شكوى الهمة سار في بحر اللطف.

(وصية ونصيحة)

قال بكران بن أحمد الجيلي:

سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول وقد سألته عند مفارقتي إياه مَنْ أُحادِثُ من الناس، وإلى من أسكن؟

فقال: عليك بمحادثة من لا تكتمه ما يعلمه الله منك، واجعل للناس ظاهرك ولله باطنك، وعاشرهم بالتي هي أحسن.

(ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل)

وبه قال: قال أحمد بن عطا[1]: أخبرني هبة الله بن صالح قال: قال يوسف بن الحسين الرازي: تذكرنا عند ذي النون أشياء فنسيناها، فقال لنا ذو النون: دعوها فلا علينا ما ذهب منا إذا بقي لنا رَبنا.

قيل له: وما علامة من بقي له ربه؟

قال: أن يبقى لربه.

قيل له: وما علامة من يبقى لربه.

قال: يذهب ذل حسناته ويبقى مع ذل سيئاته.

(عناية وأدب)

قال علي بن عبد الله؛ ثنا أحمد بن علي القرشي القزويني قال: سمعت ذا النون يقول:

ذكر أبي عن بعض أهل الأحزان شيئاً يتعجب منه، فبينما أنا أسير، فإذا أنا بفتى حسن الوجه، طيب الرائحة، سمين البدن، يرى صدق الأحزان في سره ودبيب البكاء في باطنه.

فقلت له: إني أرى فيك عجباً!

فقال لي: وما ذاك؟

قلت: لك باطن بخلاف ظاهرك.

---

(١) أحمد بن عطاء الروذباري، ثم الصوري العالم الظريف، والناسك الشريف النظيف، له اللسان المبسوط والبيان الذي بالحق مربوط. كان يقول: «الذوق أول المواجيد، وأهل الغيبة عن الله إذا شربوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا»، توفي سنة ٣٦٩هـ وقيل غير ذلك.

انظر: المناوي: **الكواكب الدرية**، ٥٢٣/١، **الرسالة القشيرية ٣٩**، السلمي: **الطبقات**، ٤٩٧، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٢٩٦/١١، ابن العماد: **شذرات الذهب**، ٦٨/٣.

فتبسم وقال لي: إني سترت أحزان قلبي من نفسي صوناً لها، فأسلمت روحي إلى البلاء والحزن وبقيت جسمي للغذاء والسمن، فجسمي ليس يعلم ما ألقى.

فقلت: وهل يمكن هذا.

فقال: ولِمَ لا يمكن، ألم تسمع قول الأول:

وَقَائِلَةٌ مَا بَالُ جِسْمِكَ سَالِمٌ وَعَهْدِي بِأَجْسَامِ المُحِبِّينَ تَسْقَمُ

فَقُلْتُ لَهَا قَلْبِي بِحُبِّي لَمْ يُبِحْ لِجِسْمِي فَجِسْمِي بِالهَوَى لَيْسَ يَعْلَمُ

ثم قال: أما علمت أن من صان شيئاً أخفاه كما قال الأول:

وَلَهَا سَرَائِرُ فِي الضَّمِيرِ طَوَيْتُهَا كَتْمَ الضَّمِيرِ بِأَنَّهَا فِي بَاطِنِهِ

وإلى هذا أشار الآخر بقوله:

أَحَبَّ قَلْبِي وَمَا دَرَى بَدَنِي وَلَوْ دَرَى مَا أَقَامَ فِي السِّمَنِ

نعت أولياء الرحمن:

﴿الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[1].

وبالإسناد قال عمرو بن يحيى الأردبيلي[2] ثنا العباس بن يوسف الشكلي، ثنا سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

إن أولياء الرحمن نظروا إلى حسن صنيعة ربهم، فوردوا على بحر محبته، فاغترفوا منه ري الشراب، فسهّل عليهم كل عارض عرض دون لقاء ربهم، فألفت القلوب بترك الراحة، فهم المحزونون المغمومون والمكروبون المهمومون، فعجنوا بماء اليقظة فهطلت عليهم سحاب الأشجان، فكان مطالبهم قد ظفر بهم لا تفارقهم العبادة ولا يفارقونها، أول أنفاسهم سموم وآخرها روح، وأول كلامهم حزن وآخره رجاء، قد سكنت منهم النفوس فرضوا بالفقر وبالبؤس قد تطاولت عليهم الأحزان فخشعوا لهيبته فطوبى لهم.

(نعت المستهام)

وبالإسناد قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم (٦٣).

(٢) عمرو بن يحيى الأردبيلي، هو الحافظ، المفيد، الرحّال أبو القاسم حفص بن عمر سمع أبا حاتم ومنه ابن لال وصنف مع الثقة والفهم، مات رحمه الله سنة ٣٣٩هـ.

انظر: طبقات الحفاظ، ٣٥٢، للسيوطي.

إن لله عباداً ذابت قلوبهم كما يذوب الآنك[1] لأنه ذوبها، فذهب بها ولكن غَضْرم فيها جمرة الهوى فتغضرمت فهي متغضرمة بالاشتغال.

إن الجمرة التي توقد تذهب فتطفى فتضمحل وجمرة الهوى لا انطفاء لها ولا انقضاء في كل وقت بالشوق والحب مشتعلة، اشتعل الجوى فانحط على الضمير، فغضرم المكنون، فهو اختفاء خفي للاختفاء في الكمين بين الجوى والضمير حتى جذب جمرة الهوى، فأفاق فأوقدها، فلما استوقدت رماها بسهمه فقدحها، فاشتعل الجوى بالاشتعال واشتعل الضمير فتغضرمت الجمرة باتقادها، فحمي سطوة الصفاء عليها فوقع الجمرة على الجوى والضمير، فهما جميعاً إلى الفوران والغليان أقرب إلى السكون والهدوء، وأي راحة يكون لقلب قد تغضرم فيه جمرة الهوى.

يا أهل الهوى اشتغلتم وإلى القليل تقربتم.

وبقربه نزلتم اتعبوا فغداً الراحة كُدُّوا فغدا تتنعّمون

ابكوا إن شئتم واكثروا فغداً بقرب الجليل تفرحون

إذا قيل لكم: ارتقوا، وبقرب عرش فانزلوا، وإلى وجهي فانظروا، هنالك تفرحوا وتمنوا، أنكم قد ازددتم تعباً. ثم بكى وقال: طوبى لهم، طوبى لهم.

أيها الأديب المنتقد الواقف مع وزن الألفاظ، وتناسب الحروف، ليس هذا عشك، هذا كلام الحال وعليه سلطان الوجد والمقام، المعاني موزونة إن كنت ذا فكر صحيح، وفطرة سليمة، وإيمان نوراني، وعقل ملكوتي، ولولا التطويل لأوضحنا لك حسن ما أتى به في هذه الألفاظ الوعرة، وهذا التخبيط الظاهر هو نسج يناسب بيته ومنواله، لا نفس كل نسخ بمنوالك يا ظاهري، فتتعجب وتتعب، سلم تسلم، والزم التواضع تغنم، والسلام.

كلام حال مرتضى فيما يتعلق بالمحبة والرضا

بالإسناد قال: قال إبراهيم بن محمد المالكي: ثنا أحمد بن يوسف البغدادي قال: سمعت ذا النون، وسئل عن المحبة والرضا، فتنفس الصُّعَدَاء، زعزع قلوب المحبين تزعزع الرضا، فجرح القلوب حتى قرحته، ثم ألقى بها الحزن فأكمدها، فجعل مع الكمد داءً دفيناً داخلاً، فأكمد كمد الكمد جلباب الحزن، فأذهب بالهموم حتى أفرجها، ووقع فيها معمعة الرضا مع معمعة المحبة، فطارت بينهما طيراناً أشد خفقاناً من خفقان أجنحة الطير، فشكى الجوى إلى الضمير وشكى الضمير إلى المكنون، فبكى، وشكى وتشكى تشكياً إلى المشتكى، فأظهر الشكوى،

---

(١) أي: الرصاص المغلي.

فألبسه الجليل موضع الشكوى، فرحاً وترحاً، فاهتز القلب بين المحبة والرضا اهتزازاً، وطفقت النفس متململة تهش إلى القلب ليكبحه فوقع وثاق القلب في لجام النفس، فكبحها وطردها، فاستنار القلب بنور العز، فاعتز بالرضا والمحبة، فطرد استحواذ الشيطان عنه طرداً، وطرد النفس مع الهوى. ثم أراد أن يهدي للقلب هدية، كلا كيف يهدي إلى قلب قد استنار بنور العِزّ، ولهُ وفي كل يوم، من عند الجليل تحفه فيستبشر بما أتحف، فأميط عنه الظلام وأتاه فأخرج ثماره منه، فصفا ورقّ وزال عنه الكدر وصار مسروراً بالرضا والمحبة، فهذا هذا لا كغيره.

تسامت الأرواح في عالم الانفتاح

وبالإسناد قال: قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: خرجت إلى بيت الله الحرام، فلقيت في الطريق شاباً، فقلت: السلام عليك يا حبيبي.

فقال: وعليك السلام يا ذا النون.

قلت: ومن أين عرفتني؟

قلت: عرفت نفسي نفسك.

قلت: من أين وقعت بينهما المعرفة؟

قال: وقعت بينهما المعرفة يوم ورودهما على شاطئ نهر القلق، فسقيت النفوس بكأس الومق، فلا تعرف الأرواح إلا الشوق والأرق، فغمست حبه قلوبهم في لجج الاشتياق، وأمزجت نفوسهم في رياض الاحتراق، فعند ذلك النفوس عارفة بأرواح العارفين، وتأنس إلى أخواتها لما وقع بينهما المعرفة في ساحة المفاوضة، والركض في ميادين المحبة.

فقلت: حبيبي متى ينال العبد الإخلاص.

قال: إذا خشي الحساب والقصاص، يوم يؤخذ باللحى والنواصي.

قلت: فما علامة الوجد والقلق؟

قال: أن تكون ليلك ساهراً باكياً، فإنه من كان على ما ذكرت لم يتهنّ بنوم، ولم يأكل ولم يشرب، لاحتراق قلبه، فإن الأعين لا تنام لما في صدورها من نيران الصبابة، وتركني ومضى.

(حكمة ومعرفة)

وبه قال وسمعه يقول: كنت جالساً عند ذي النون، فسأله سائل، يـ أبا الفيض، مَن أذل خلق الله؟

فقال: الفقير الطمع، والمحب لمحبوبه، والضيف في بيت اللئيم.

يقول: دخلت بإذنٍ وخرجت بإذنٍ، ولعمري هذا في غاية الذل، في لسان الظرف، فأنا في لسان الجد.

فقال: من أذل ممن هو أوله نطفة وآخره جيفة، وقد أُلزِمَ الحجة، وعري من القدرة، ومن يأكله في حياته أذل من الذباب، وهو القمل، وفي مماته أضعف من الدواب، وهو الدود من يدري أين ولد، ولا يدري أين يموت.

(تذكرة مشاهد)

وبه قال: قال أحمد المهلبي[1] الفارسي: ثنا علي بن محمد المروزي[2]، حدثنا أبو الحسن ابن محمد الزاهد[3] قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

الدنيا دنيّة وحُبُّها خطية، والدنو منها بلية، الدنيا يكفي صفتها من وصفها، وإنما يعتبر بها من عرفها، من طلب الدنيا سبقته، ومن هرب منها لحقته، ومن عصى الدنيا أطاعته، ومن أطاعها عصته، الدنيا فاعلة بك ما فعلت بأبيك وزائلة عنك، كما زالت عن أخيك.

(مكاتبة ناصح مشفق)

وبه قال: أبو الربيع الصفار البلخي[4] سمعت أبا بكر بن أبي عبيد اللّؤلؤي[5] يقول: كتب ذو النون المصري إلى أخ له:

---

(١) (أحمد المهلبي الفارسي)، أورده صاحب معجم المؤلفين باسم حسين بن أحمد المهلبي. المتوفى سنة ٣٨٠هـ له كتاب المسالك والممالك المشهور بالعزيزي ألفه للعزيز بالله. انظر: كحالة: **معجم المؤلفين**، ٣١٣/٣

(٢) (علي بن محمد المروزي) هو عبد الرحيم بن سليمان الكناني، أبو علي المروزي الأشل روى عن عاصم الأحول وهشام ابن عروة وطبقتهما، وروى عنه أبو بكر بن أبي شيبة وغيره.
انظر: السيوطي: **طبقات الحفاظ**، ١٢١.

(٣) أبو الحسن بن محمد الزاهد، (كان يقول رضي الله عنه: كما عصيت الله سراً تطيعه سراً، حتى يدخل إلى قلبك لطائف البر). وكانت له كرامات ظاهرة، توفي رحمه الله سنة ٣١٣هـ في شهر ربيع الأول.
انظر ابن الجوزي: **صفة الصفوة**، ٤٥٨/١.

(٤) (أبو الربيع الصفّار البلخي)، هو: سليمان بن موسى الكلاعي، وستأتي له ترجمة بعد صفحات قليلة انظرها.

(٥) أبو بكر بن أبي عبيد اللؤلؤي، هو: أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي القيرواني النحوي، اللغوي، أقبل على الحديث في أواخر عمره، من تصانيفه: كتاب في **الظاء والضاد**، توفي رحمه الله سنة ٣١٨هـ انظر كحالة: **معجم المؤلفين**، ١٣٩/١.

يا أخي أوصيك بتقوى العظيم والمراقبة له، حيث لا يراك أحد إلا الله، والاستعداد لما ليس لأخيك فيه خجلة، فاحسر رأسك عن قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموت وشمّر للسباق، فإن الدنيا ميدان السابقين، ولا تغتر بمن أظهر النسك، وتشاغل بالوصف عن العمل، فإن لي ولك مقاماً بين يدي الله، يسألنا فيه عن الدقيق والخفي والجليل الخافي، ولا تأمن يا أخي، فإنه يسألني ويسألك عن وساوس الصدور ولحظة العيون، وإصغاء الأسماع.

(يقين صادق)

وبالإسناد قال: حدثنا أبو الربيع قال: حدثنا بكران بن أحمد الجيلي، سمعت يوسف بن الحسين الرازي، قال ذو النون:

من المحال أن تذكره ثم لا يوجدك ذكره، ومن المحال أن تحب طعم ذكره، ثم لا يشغلك به عما دونه.

(علم العاقل)

وبالإسناد قال: حدثنا علي بن أحمد التميمي، ثنا موسى بن أحمد بن عمران[1]، سمعت أبي يقول: سئل ذو النون متى يصح للعاقل حقيقة اسم العلم فقال:

إذا فقه قلبه، وخبرت جوارحه بالعمل، ووافق باطنه ظاهره، عند ذلك يستحق اسم العلم.

(علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل)[2]

رُوي هذا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وسمعت عبد العزيز المهدوي بتونس عام تسعين وخمس مائة يقول: علماء هذه الأمة أنبياء، سائر الأمم، وبالإسناد قال: حدثنا أحمد بن محمد الوراق، حدثني إبراهيم بن شيبان[3]، سمعت أبا عبد الله المغربي، سمعت ذا النون المصري يقول:

---

(١) موسى بن أحمد بن عمران، تقدمت له ترجمة.

(٢) حديث: (**علماء هذه الأمة أنبياء بني أسرائيل**). قال السيوطي في الدرر لا أصل له، وقال في المقاصد قال شيخنا يعني ابن حجر: لا أصل له . وقبله الدميري والزركشي وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر، وفي حديث: «**أكرموا حملة القرآن كاد حمله القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنهم لا يوحى إليهم**»، ولأبي نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه: «**أقرب الناس من درجة النبوة، أهل العلم والاجتهاد**»، وأنكره أيضاً الشيخ إبراهيم الناجي وألّف في ذلك جزءاً، وقال النجم: ومما نقله جازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي، وموفق الدين بن قدامة، والأسنوي، والبارزي، واليافعي، وأشار إلى الأخذ بمعناه التفتازاني، وفتح الشهيد، وأبو بكر الموصلي، والسيوطي في الخصائص وله شواهد. انظر العجلوني: **كشف الخفاء**، ٢/٦٤، حديث رقم (١٧٤٤).

(٣) (إبراهيم بن شيبان) سبقت له ترجمة.

في هذه الأمة في كل مائة سنة فترة يموت العلماء والحكماء، ثم يبعث الله على عدد الأنبياء حكماء، فيردون الخلق إلى الله وهم بمثابة أنبياء الزمان، وقد اجتمعت الجماعة من أصحاب القلوب والكشف والاطلاع، والمحدثين وبعض علماء الرسوم على أنه لا بد من قائم بالحق في رأس كل مائة سنة.

(مناجاة نفسية)

وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، عبد الله بن محمد بن ميمون، سمعت ذا النون يقول في مناجاته:

سيدي زمان نكيد، وبلاء عتيد، وجهد جهيد، وأمل بعيد، وشيطان مريد، وعيش كدود، وعدو حسود، وخلف موجود، ووفاء مفقود، فكيف النجاة إلاّ بعصمتك أيها المعبود.

(ظرف وتذكر)

وبالإسناد قال: حدثني بكران بن أحمد الجيلي، وأحمد بن محمد البرزعي. قال الجيلي يوسف بن الحسين الرازي: سمعت ذا النون يقول:

كان لي منديل عليه مكتوب:

مَدَامِعي فِيكَ قَرِيحَاتٌ ... وَفِي الحَشَا مِنْكَ شَرِيرَاتٌ

طُوبَى لِمَنْ بَاتَ وَأَجْفَانُه ... مِنَ المَعَاصِي مُسْتَرِيحَاتٌ

وقال البرذعي: حدثنا ابن الحسين الرازي قال: قرأت على عكاز ذي النون المصري:

وأَشْفِقُ حَتَى لاَ يُرى فِي ثِيَابِهِ ... سِوى الجِلْدِ قَدْ رُبِطَتْ بِعِظَامِ

تَرُوحُه الأَحْزَانُ حَتّى كَأَنَّمَا ... شَقِي خَنْظَلاً فَازْدَادَ طُولَ سِقَامِ

(سؤال الصادق مؤثر)

وبالإسناد قال: سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا العباس الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول: سمعت ذا النون يقول:

إذا سألني السائل، وكان مستحقاً للجواب استفدت نصف الجواب من مسألته.

(أنا وصدق المريد)

قال: حدثنا بكران بن أحمد الجيلي، ثنا ميسرة بن علي الإمام[1] سمعت يوسف بن

---

(١) (ميسرة بن علي الإمام)، لم أقف له على ترجمة.

الحسين، سمعت ذا النون يقول:

إن المريد إذا صدق سعيه بينه وبين الله حلاه في صدور المؤمنين، وحلا ذكره في أفواه المريدين، شغلهم به شغل يغلب على جميع الأشغال، وحبهم له يحول بين الأهل والمال.

تناسب النفوس

وبالإسناد قال: حدثنا أحمد بن محمد بن علي، أخبرني عثمان بن نصر القرشي[1]، ثنا علي بن الموفق الزاهد[2] قال: سمعت ذا النون يقول:

إذا نفذ حكمك في نفسك حرّك أنفس العامة إلى عدلك، هذا يدل على أنهم المنظور إليهم بين الخلق وهم عين الجمع والوجود. يؤيد هذا ما روي عن بعض الرعاة في خلافة عمر بن عبد العزيز[3] رضي الله عنه، أن ذئباً تعدى على شاةٍ من غنمه، فصرخ الراعي وقال:

مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فأتى البلد، فوجد نعي أمير المؤمنين فقيل له في ذلك فقال: سرى عدله في نفوس السّباع فلم يتعدّ سبع منهم على غنم، فلما رأيت السبع تعدى، علمت أن أمير المؤمنين مات رحمه الله.

حال المحبة للّه

وبالإسناد قال يوسف بن عمر، ثنا محمد بن أحمد بن سهل، ثنا سعيد بن عثمان، ثنا سمعت ذا النون يقول:

إن المحب للّه لا يعظم عنده الإيثار للّه، لأنه ليس شيء عنده أعظم من الله، فينبغي أن المحب للّه أن يرى عليه أثر ذلك من رفض الدنيا، لأنه من المحال أن يجتمع في القلب حب الله مع حب الدنيا.

---

(١) (عثمان بن نصر القرشي)، أورده المناوي (ابن مرزوق) العالم العابد الزاهد، من مشاهير مشايخ مصر، انتهت إليه الرياسة في الطريق الصوفي، وقصد لكشف المنازلات، توفي رحمه الله سنة ٥٦٤هـ عن سبعين عاماً ودفن بالقرافة.
انظر المناوي: **الكواكب الدرية**، ٦٨٥/١.

(٢) (علي بن الموفق الزاهد) من قدماء مشايخ العراق، وكان سياحاً رأى ذا النون المصري، حج رضي الله عنه أربعاً وستين حجة، وبعد الحج تأسف وقال: أذهب إلى الحج وأرجع وما لي قلب ولا وقت. توفي رحمه الله سنة ٢٦٥هـ.
انظر: الجامي: **نفحات الأنس**، ٣٦١، أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣١٢/١٠، ابن كثير: **البداية والنهاية**، ٣٨/١١.

(٣) (عمر بن عبد العزيز) هو: أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، القرشي، خليفة أموي، ويلقب بخامس الخلفاء الراشدين لعدله، وورعه. تولى الخلافة لإمارة المسلمين بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ، وكانت مدة خلافته ثلاث سنوات. توفي سنة ١٠١هـ. روى الأحاديث، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ والسير.
انظر ترجمته في: أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٢٥٣/٥، ابن الجوزي: **سيرة عمر بن عبد العزيز**؛ابن قنفذ القسنطيني: **كتاب الوفيات**، ١٠٣، الذهبي: **الكاشف**، ٣١٧/٢، ترجمة رقم ٤١٥١، ابن قتيبة: **المعارف**، ٣٦٢، المزي: **تهذيب الكمال**، ١١٥/١٤، ترجمة رقم (٤٨٦١)، محمود خطاب السبكي: **مختصر أعذب المسالك المحمودية**، تحقيقنا، هامش ١١٤.

وقال: حدثني يوسف بن عمر، أبو الفضل الخراساني، سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون يقول:

ويحك لو أدخل الله المحب له النار ثم عذبه بأشد العذاب، ما نقص في قلبه من حبه شيئاً، بل يزداد في حب الله تعالى.

وصية ونصيحة

وبه قال: حدثنا محمد بن الوراق، ثنا الحسين بن إسماعيل، ثنا إسماعيل بن عيسى، عن سليمان بن موسى[1] قال: قال ذو النون:

إن حقوق الله أثقل من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا تُوابين، وأمسوا تَوَّابين.

جواب عارف بما ثم [-][2]

قال: حدثنا عبد الواحد بن بكر، سمعت محمد بن عبد الله الجوال[3] يقول:

سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول:

سئل ذو النون عن قول النبي (صلى الله عليه وسلم) **«أشد الناس بلاءً الأنبياء»**[4].

قال: لأن منهم يوجد ابتلاؤهم أهل الصفاء والبلاء للاستصفاء، فإذا استوفته أحوال الشهود لقيام الواجب، اعرضوا عن النفوس وجعلت النعم بلاءً.

---

(١) (سليمان بن موسى) لعله: سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان الحميري الكلاعي، البلنسي، أبو الربيع، المحدّث الحافظ، المتوفى سنة ٦٣٤هـ، وله مؤلفات في السيرة النبوية، وكتاب في معرفة الصحابة والتابعين وغير ذلك. انظر كحالة: **معجم المؤلفين**، ٢٧٧/٤، بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**: ٦٤٨/٣، الطبعة العربية، بإشراف أ. د/محمود فهمي حجازي، القاهرة.

(٢) غير واضحة بالمخطوط.

(٣) (محمد بن عبد الله الجَوَّال)، تقدمت ترجمته وهو المحدّث السمناني المعروف كما ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ، وتقدم.

(٤) حديث «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم **الأمثل فالأمثل**» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجة وابن حبان، والحاكم عن سعد بن أبي وقاص. قال: قلت يا رسول الله «أي الناس أشد بلاءً»، قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». ورواه النسائي، وابن ماجة، والدارمي، وأحمد، وابن منيع، وأبو يعلى من حديث عاصم، ومالك وآخرين...

انظر تفاصيل ذلك في العجلوني: **كشف الخفاء**، ١٣٠/١، حديث رقم (٣٧٢).

موافقة المألوف

وبالإسناد عن عبد الواحد بن بكر، أخبرني منصور بن أحمد الهروي[1]، ثنا أبو الحسين الخوارزمي قال: قال ذو النون المصري:

بينما أطوف بالبيت إذا أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة، وهو يبكي وينتحب فدنوت منه فقلت: ما يبكيك، فقال: إليك عني يا ذا النون أحداق باكيات، ودموع ساكبات، وأجفان قريحات، وأقدام مُتَوَرِّمات، وعقول طائشات وقلوب مطهرات. أما علمت أن لله عباداً عرفوه فألفوه فأنفوا أن يخالفوه.

(نعت أهل الوقت وعدول ظريف)

وبالإسناد عن عبد الواحد، أبو بكر الجوّال أخبرني الحسين بن محمد قال:

دخلت على ذي النون فقلت له: أوصني فقال: نعم.

ثلاث موجودة، وثلاث مفقودة، العلم موجود والعمل في العلم مفقود، والعمل موجود والإخلاص في العمل مفقود، والحب موجود، والصدق في الحب مفقود وأنشأ يقول:

أَمَّا النَّهارُ فَأَنْتَ رَوحُ قُلُوبِهِم ... وَاللَّيلِ تَسْمَعُ فيهِ مَنْ يَتَخَشَّعُ

جَزِعَتْ إِلَيكَ هُمُومُهِم فَقُلُوبُهُم ... مَرْفُوعَةٌ مِنْهُم إِلَيكَ تَطَلَّعُ

وَعِصَابَةٌ مِثْلَ القِداحِ تَلَبَّسُوا ... ثَوباً مِنَ الضَّرَّاءِ ما يَتَقَطَّعُ

أَبْلَيتَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ حُسْنُ البَلا ... وَخَصَصْتَ بِالبَلْوَى رِجالاً خُشَّعُ

أَحْبَبْتَ نَجْوَاهُم وطُولُ حَدِيثُهِم ... وأَطَلْتَ بَلْوَاهُم لِكَي يَتَضَرَّعُوا

عافَيْتُهُم مِنْ بَعْدِمَا أَبْلَيْتُهُم ... فَهُم سُرُورٌ فِي المَجَالِسِ تَرْتَعُ

(تجريد كلي ومعرفة أديب)

وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن أحمد الزاهد بنوقان[2]، ثنا يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول:

أقسمت بفعلك المحمود وعقلك المفقود لا أتخذ دونك خليلاً إلا أن لا أجد إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) منصور بن أحمد الهروي، انظر ما أورده الذهبي في: **تذكرة الحفاظ**، ١٤٣٣/٤.

(٢) أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن عبد الله بن سنان الزاهد، الحيري، النيسابوري. ولد حوالي سنة ٢٨٠هـ واشتهر بمحدّث نيسابور، وكان عالماً بالنحو والقراءات، كما اشتهر كعالم الحديث، توفي سنة ٣٧٨هـ. انظر: سزكين: **تاريخ التراث العربي**، ٣٣٣/١، الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ٤٦/٢، الذهبي: **ميزان الاعتدال**، ١٦/٣، السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، ١٠٧/٢.

وصية ونصيحة وتذكير

وبالإسناد قال: حدثنا إبراهيم بن الفقيه بعُكْبُر، يوسف بن أحمد البغدادي، سمعت ذا النون يقول وهو يودع الناس، ويريد الخروج من المُعسكر فتبعته فقال:

أيها الناس، أديموا الأنس، واتركوا الوحشة واجعلوه نصب عيونكم، وعاملوه واحذروا الخطرة يلذذكم ويكرمكم بالنوال، يا أيها الناس احذروا عثرة زلة القلوب، فإنها إذا عثرت سقطت وانجمدت. يا أيها الناس إن طلع على قلوبكم وهي تعثر في الظلم، وقد وقع عليها من حالك السواد فاظلمها حتى تتقحّم في الظلم، فلا تعرف الضياء أبداً.

أيها الناس، إذا قفل قلوبكم بقفل الظلمة عسر فتحها، ومكثت مقفلة إلى أن يقبضها، أيها الناس، ميلوا إلى قُربه، ودعوا الميل إلى غيره، إنه إن أمالكم إلى قربه، أزال عن قلوبكم قفل العمى، وفتحها إلى نوره فأقامها بالنور حتى لا يلحقها شظية من الظلمة، أيها الناس، لقد لذذ أقواماً بلذات أنسه، فلم يستوحشوا حتى قبضوا، ثم قال:

اللهم أدِمْ لأوليائك فَرَحَ رَوْحِ رَاحَتِكَ اللهم أطف عن قلوبهم ما يجدون وسكّن موجودهم فأنت مالكهم.

يا أيها الناس استودع الله قلوبكم وأبدانكم ونفوسكم فإنه إن أودعها عنده، وكانت في ودائعه، تروحت بروح معرفته، ثم ولم يتكلم بعدها.

حال الخائفين الله ونعتهم

وبالإسناد قال: حدثنا إبراهيم بن محمد المالكي، يوسف بن أحمد البغدادي، سمعت ذا النون بن إبراهيم المصري يقول:

إن لله عباداً قطعهم الخوف أن يعرفوا ما في الدنيا من جلالها، ويعرفوا موضع الأقوات لأنهم لم يبالوا بالقرب بعد وسعهم من شدة الخوف، كانوا إذا جنهم الليل وإذا اشتد الظلام خافوا أن يغشاهم الرهق، فرهقهم رهق الإرهاق، فقاموا إلى سيدهم، والخوف محيط بهم، تزلزلت جوارحهم حين قاموا واصطكت حركات نظمها، فتزعزعت اضطراراً، فاضمحل عليهم اضمحلال إرهاق الخوف، فقدح قلوبهم فكاد أن يقصمها، ثم رهقت أفئدتهم خوف النار، لولا إرهاق الروحانيين الفؤاد والقلب إذاً لانقصمت الجوارح جارحة جارحة ولكن أتاهم الرجاء صبياً، فسكن موجود وجودهم، فأتاهم بعد الموجود ثمرة اليقين، فسكن ما كان يجدون من إرهاق خوفهم، فلم يزالوا كئيبين خائفين من إرهاق خوفهم، خاضعين، إلى أن زال الظلام، ورهقهم الضياء، وانكشف عنهم ما كانوا يجدون وأشرق لهم النهار، ورهقهم الفكر والأذكار

وخافوا أن لا يقبلهم الجبار، فالنهار مأتم فكرهم والليل عرسهم، وإن كانوا خائفين فهم في العرس وهم لا يريدون، لأنهم إذا رهقهم الرجاء أتاهم العرس، أما لو حسوا بالعرس لسكن خوفهم ولكن يتركوا على حالتهم، لذلك خلقوا فسبحان من يفعل ما يشاء ويحكم فيهم ما يريد.

(ومن باب نعت أولياء الرحمن)

وبالإسناد قال: حدثنا عبد العزيز بن أحمد[1]، ثنا العباس بن يوسف، سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون ونعت أولياء الرحمن فقال:

قد تطاولت عليهم الأحزان، وأذعنت لهم الجوارح في المبارزة في الأعمال، وليس يخرجون من طاعة ولا ينزلون من درجة إلى درجة، مشغولون بالبيت لمواصلة الحبيب، قد تردّوا بالأسف، واستشعروا الكآبة، وتجلّلوا الفكر، وسلّموا للرضاء عن الدنيا، وأقرّوا بالعبودية للملك الديّان، فخشعوا لهيبته، واستوطنوا خشيته، فلم يستعذبوا الفتور، ولم يصحبوا الغفلة، فإذا خلوا فإخوان البكاء، وإذا عجل عليهم فعلماء، وإذا سئلوا فسمحاء، وإذا كلموا فحكماء، وإن جالسوا حذراً حذروا معه في حذره، وإن رأوا مشفقاً بكوا من حرّ شفقته، وإذا رأيتهم قلت:

عمار قصور في الخيام، من حسن تلك الوجوه والنضرة، وإذا كشفت كشفت عن قلوب منكسرة وبالذكر للمحبوب عامرة، قلوب لا تدنسها المطالع، طاهرة بيضاء نقية، قد أودع باطنها نور الحكمة، فهي تلوح للناظرين وقمر للسائرين.

فهذه صفة طائفة من المؤمنين، قد تقصر الألسنة عن وصفهم، وتذهل العقول عن مبلغ علمهم.

فلا يعرفهم حق المعرفة، إلا الرسل عليهم السلام، ولو صرخ بقلوبهم صاروخ، لبلغوا حيث لا مبلغ، ولاستوطنوا حيث لا مستوطن، فهم في الحجب مشهورون فطوبى لهم.

(نورٌ إلهي مفهم)

وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن أحمد البواريحي، ثنا محمد بن أحمد بن الحسين، ثنا محمد بن الحسين بن علي البلخي[2]، ثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو الفيض ذو النون قال:

---

(١) (عبد العزيز بن أحمد الأرجي)، تقدمت ترجمته.

(٢) محمد بن الحسين بن علي البلخي الحافظ، رحّال، روى عن محمد بن المعافى الصيداوي، ونحوه وحدّث عنه الحافظ محمد بن أحمد الجارودي. وهو من طبقة ابن السقّاء الذي توفي سنة ٣٧٢هـ.

انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣/١٠٠٣.

خرجت حَاجاً إلى بيت الله الحرام فلما إن دخلت البادية، إذا أنا بصوت حزين من قلب قريح مشجون:

يَا مَاجِداً تحيا القُلُوبُ بِذِكْرِه — والنّاس كُلُّهم عَلَيْه عُكُوفُ
مُتَحَيّرِين كَأَنَّهم قَدْ أُوقِفُوا — يَوْمَ القِيَامَةِ وَالعِبَادُ صُفُوفُ
ضَلَّ الطَّرِيقَ فَلَيْسَ إلاّ مُذْنبٌ — أو واثِقٌ بِحُبّهِ مَشْغُوفُ

قال: فنظرت، فإذا بغلام أسود عليه مرقعة صوف، مكتوب عليه من ورائه الأنس بالله، نور ساطع، والأنس بالمخلوقين همّ واقع، وبيده عكاز مكتوب عليها:

سَأَصْبِرُ لِلْبَلاءِ وأَموتُ صَبْراً — وَأَصْبِرُ لِلْبَلاءِ كَمَا بَلِيتُ
فَلَوْ صُبَّ البَلاَءُ عَلَيَّ صَبّاً — لَصَاحَ الصَّبْرُ إنّي قَدْ عَيِيتُ

قال: فسلمت عليه فردّ عليَّ السلام.

فقلت له: أين عزمت يا غلام؟

قال: إلى بيت الله الحرام.

فقلت له: بلا زاد ولا ماء.

فقال لي: بلا زادٍ ولا ماءٍ يا بَطّال، هل تحسن القرآن؟

قلت: بلى.

قال: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص﴾[1].

قال: يا بطّال إذا كان معي كاف من كافي وهو كافٍ بخلقه، وهاء من هادٍ وهو هادي لخلقه، والياء يد الله فوق أيديهم، وهو عاطف على عباده بالرزق، وعين من عالم بخلقه، وصاد من صادق، وهو صادق وعده، فما أصنع بزاد ومزود ثم ولّى عني وأنشد يقول:

فَتَى كَاس فَلَمْ يَأسَ عَلَى مَا عَطَفَ النّاسْ
فَتَى أَخْلَصَ في الصِّدق فَلَم يَخدم النّاسْ
فَتَى أَلْبَسَهُ اللّه الغِنَى والزّهد والبَاسْ
فَمَا يَغلقُ حَانُوتاً وَمَا يَختم اليَاسْ
وَقَوْم جَمَعُوا فَصَارَ القَوْمُ حُرّاسْ

(١) سورة مريم، الآية رقم (١).

وَقَـومٍ تَـرَكُـوا الـدُّنْـيـا فـكَـان الـقَـوم أكـيـاسْ
تَـراه فـي غَـد الـعُـرْسِ قَـدْ زَافَـقَ الـيـاس

ما لا يضر المحب الصادق استعماله إذا رقّت حواشيه ولطف معناه ولطيفة العقل

وبالإسناد قال: حدثنا بكران بن أحمد الجيلي، ثنا يوسف بن الحسين، ثنا ذو النون المصري قال: سمعت أستاذي يقول:

إن المحبّ إذا تناهت به حاله، تجفو عليه الأشياء، فلا يقدر أن يعاشر جافياً، ولا يتناول الجافي من الطعام إلا طيباً، ولا يلبس إلا ناعماً ولا يضرّه أن يكون له شيء من الدنيا، فإنه لا ينقص من حاله إذا بلغ هذا المبلغ، هذه حالة تسلم لصاحبها، ومقام الاختصاص غير مكنون عندنا.

وقد قال: ﴿هذا عطاؤنا، فامنن أو أمسك بغير حساب﴾[1] ولكن مقام الحكيم أعلى من هذا هو مقام محمد (صلى الله عليه وسلم)، أكمل إنسان، وألطفه معنى، وأصفاه سراً، وأرقه قلباً، وأكمله حالاً، وأعلاه مقاماً، وكان يأكل الجافي، ويحتمل الجافي لقوة حاله، ورقة لطافته واتساعه والسليماني له مقام معلوم، ورزق مقسوم، فهذه حالة تسليم رضي الله عن صاحبها، وسلك بنا عنها إلى المقام اللطيف، الورث المحمدي الشريف.

قال وسمعته يقول: لما خلق الله العقل، جعل فيه لطيفة، فتلك اللطيفة تميلهم إلى كل جميل، وإلى كل مستحسن في الشاهد.

صدق والله هذا الشيخ فيما قاله، غير أنّ لهذا الاستحسان، والميل ميزاناً دقيقاً، روحانياً لطيفاً، وإلهياً إن لم يكن صاحب هذه الحالة. عالماً قوياً في ذلك الميزان، وإلاّ هلك بملائمة الطبع، ومناسبة الغرض في الجمال العرضي الذي لا تعرف النفوس العامية غيره، فاحذر أيها الإنسان الصوفي من كلام هذا الشيخ، فإنه سم مهلك لمن لم يعرف غوره، ولا حيث ذهب به وما أصعب، ينجو بها غيرك وتهلك بها أنت.

وذلك أنه راجع إلى فهمك، فالله يعصمنا وإياكم ولولا ما وقع أكثر أهل زماننا في هذه الورطة ما نبهنا عليها وذلك لقلة الفهم وغلبة الطبع.

وبالإسناد قال: وسمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام الصفاء: رقة القلب، وسرعة الدمع، والانتفاع بالموعظة.

---

(١) سورة ص، الآية رقم (٣٩).

ولية عارفة مُحبة

وبالإسناد قال: حدثنا أبو سعيد الحسن بن محمد البيلقاني[1]، ثنا محمد بن إسماعيل قال: سمعت يوسف بن عبد الله المذكر قال: سمعت ذا النون بن إبراهيم يقول:

كنت ماراً في رستاق الفرما، فأدركني الليل وجلست على شط نهر بقرب قرية، فإذا أنا بامرأة هو ذي تجيء بعد العتمة بساعة ومعها قربة فأسبغت الوضوء، ورفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: يا من ينبه من أراده كم تنومني؟! لا حاجة لي في النوم، هل يكون محباً من يعلم أن أحبيته لا ينام ولا يأخذه النوم؟ ثم ملأت القربة لتذهب.

فقلت: السلام عليك.

فقالت: وعليك السلام، ما أحمقك! ما أجهلك! يا ذا النون، تعترض على النساء وظننت أني لا أراك. لقد شمّ قلبي قلبك ولكن اشتغلت بمن هو خير لي منك.

فقلت: أنا ضيفك.

فقالت: قم، فحملتني إلى قصر عظيم فقرعت الباب، فلم تجاب.

فقالت: يا رب أنمت القوم، فسمعت خشخشة القفل من داخل، وانفتح الباب ودخلت.

وقالت لي: ادخل، وإذا ببيت في الدهليز فأجلستني، وقالت: اعلم أن لي سبعة من الأولاد، وهم أمراء هذه الضياع، وأنا لا آكل لهم شيئاً، ولكن آكل من كسب يدي فقلت: ليس تعملين؟!

قالت: أغزل الصوف وأبيعهُ من الجمعة إلى الجمعة وأغزل رأس المال وهو درهم، وأتقوت بالباقي فحملت قرص شعير وكف عدس، وكف حمص، فأكلت وكان أطيب شيء.

ثم قالت لي: يا ذا النون أنت الذي تتصدر في المجالس وتتكلم على الناس، ولو قدرت لأخذت لك سوطاً.

فقلت: استسلمت.

فقالت: كذبت قم واخرج ولا تشغلني عن وردي. وأعطتني أقراصاً تزودتها.

قلت: وصية.

---

(١) أبو سعيد الحسن بن محمد البيلقاني، والبيلقان مدينة بإيران كبيرة مشهورة حصينة ذات سور عال بناها قباذ الملك، ينسب إليها عدد كبير من العلماء منهم أبو سعيد.

انظر: القزويني: آثار البلاد، ٥١٣.

قالت: تجعله نصب عينيك والسلام.

وبالإسناد قال: حدثنا عبد الله بن سعد السلماسي، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

خرجت إلى مقابر الإسكندرية، فلما صرت في بعض الطريق، إذا أنا بجارية سوداء عليها مدرعة من الشعر، وخمار من الصوف، وفي عنقها سبحة، وهي تمشي وتتبختر وتتدلل في مشيتها على ربها، فقلت: يا سودة من أين أقبلت؟

قالت: من عند اللطيف الخبير كنت أناجيه.

فقلت لها: وأين تريدين.

قالت: إلى عند اللطيف الخبير ثم مضت وأنشأت تقول:

سَلِ اللَّيالي عمَّن باتَ ذَا سَهَرِ ... القاعدين بلا لَهْوٍ وَلاَ سَمَرِ

الوَاضِعِين عَلى الأَكْبادِ أيديهم ... شَدُّوا الرَّحِيلَ وهَيَّأُوا لَهُ السَّفَرِ

وبالإسناد قال: ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد النسفي بسيراف، حدثني محمد بن موسى بمكة، قال: سمعت ثوبان بن إبراهيم وهو ذو النون، قال: بينما أنا في سياحة إذْ رأيت امرأة قد خرجت مزاحمة، فقالت: كيف أنت يا ذا النون.

فقلت: كيف عرفتني وما رأيتني قط؟

قالت: أما تعلم أن أرواح المؤمنين تشام[1] كما تشام الخيل وأنشأت تقول:

مُحِبُّ اللّه في الدُّنيا عَلِيلٌ ... تطاوَلَ سُقْمُه فَدَواهُ دَاهُ

سَقَاهُ مِنْ مَحَبَّتِه بِكَأسٍ ... فَأرْوَاهُ المُهَيمن إذْ سَقَاهُ

فَهَامَ بِحُبِّهِ وَسَمَا إلَيْهِ ... فَلَيْسَ يُرِيدُ مَحْبُوباً سِوَاهُ

كَذَاكَ مَنِ ادَّعى للّه حُبّاً ... يَهِيمُ بِحُبِّهِ حَتَّى يَرَاهُ

وبالإسناد قال: حدثنا عمر بن يحيى الأرديبلي، ثنا محمد بن هارون الصوفي، ثنا محمد ابن الحسين المصري، قال: قال ذو النون: بينما أنا أسير بمصر على شاطئ النيل فإذا أنا بجارية تمشي بلا خمار فناديت يا جارية أين خمارك؟ ما لك قد أسفرت عن وجهك؟

فقالت: ما يصنع بالخمار وجه قد علاه الصفار.

فقلت: ومما علاه الصفار؟

---

(١) أي يشمّ بعضها بعضاً.

فقالت: لما بي من الخمار.

فقلت: فهل تناولت شيئاً من الشراب.

قالت: أي والله سقاني الجبار طول ليلتي بكأس محبته فَبتُّ مسرورة، وأصْبَحْتُ من حُبِّه مَخْمورة، ثم أقبلت على البكاء والشهيق.

فقلت: ولم تبكين فأنشأت تقول:

لَسْتُ أبْكي فِراقُ عَيْني لِعَيْنِي ... إنَّما خشيتي لأَن لا أراكا

(فصل وهو في الحقيقة وصل)

فإن الفصل ليس من مذهبنا بل طريقتنا طريقة الجمعية والوجود، وهو طريق الرحمة الربانية لأهل الشهود.

قال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مختلفين إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ فَلا خلاف عندهم ﴿ولذلك خلقهم﴾[1].

أي: للرحمة خلقهم فسبقت لهم العناية قبل وجودهم كما أن للطائفة المخالفة شرباً. في قوله:

﴿ولذلك خلقهم﴾ لما سئلت الرحمة عنهم جعلنا الله من الطائفة المحمودة والعصابة فهو على الحقيقة هذا الفصل.

مقالة وتتميم وتكملة نعيم

قال أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري رحمه الله إذا رأيت الله يُنْطق العبد بالحكمة، ويخذله في العمل فاعلم أنه يريده للنار.

وقد أجمعت الطائفة على أن الله تعالى، إذا أراد بعبده سوءاً رزقه ثلاثاً، وحرمه ثلاثاً، رزقه: العلم وحرمه العمل، ورزقه العمل وحرمه الإخلاص، ورزقه صحبة الصالحين وحرمه احترامهم.

وقال ذو النون:

نطقت ألسن المدعين بالدعوى وكلّت ألسن المحققين عن الدعوى، وأن يكون الرجل واحداً لمنازل الإشراق من الأبرار بهمته ويشير في كلامه إلى أدنى منازل المبتدئين أبر له وأبقى من إشارته في ظاهره إلى أعلى منازل الصديقين مع تخلفه من معاملته لربه.

وقال: وقد قيل له: بم وصلت إلى ما وصلت؟

(١) سورة هود، الآية رقم (١١٩).

قال: بقطع العلائق، وبذل المجهود، وإسقاط الجاه. إذا طلب العارف المعاش فهو لاش.

وقال: أول الطريق إلى الله المحبة وعلامة المحبة للّه إعطاء القياد ببذل الأرواح، والتلذذ بالتلّف في محابه وموافقته.

قال: من لم يذق مرارة الكفر لم يجد طعم الإيمان وحلاوته ومن لم يذق طعم ذل المعاصي لم يجد حلاوة الصيانة.

وقال: من علامة المغترين اعتمادهم على رحمة الله ومغفرته.

وقال: مكاشفات القلوب بالاتصال ومكاشفات النفوس بالإبعاد.

وقال: لو علم منك التحقيق لوسع عليك الطريق ولو أشرت إليه في أول المصائب لأبدى لك من لطفه العجائب.

وقال: يهيج عليهم البلاء ليضجوا له بالدعاء فيرجعوا عن الحق إلى الخلق فيحجبون عن الحق والخلق.

وقال: ينبغي للعبد أن لا يشرك في همه أحداً.

وقال العارف: يتقلب في ليله ونهاره في أربع روضات أنس الوحدة، وسرور المعرفة، وحلاوة الخدمة، وخوف الفرقة.

وقال: إن الله لعبده في أوان معاصيه وإعراضه عنه أشد نظراً أو حُباً له من العبد في أوان تبليغ نَعَمه وجماله.

ثم قال: وهل يليق به إلاّ ذلك.

وقال: علامة القلب المريض أربعة أشياء:

* لا يجد للطاعة حلاوة.
* ولا يخاف من الله.
* ولا ينظر إلى الأشياء بالعبرة.
* ولا ينال من العلم ما يتأدب به.

وقال: من نظر إلى الدنيا بغير عين العبرة، انطمس قلبه بمقدار تلك الغفلة.

وقال: وزن ذرة من الاشتياق أثقل على الجوارح من قنطار من الخوف، لأن الشوق يخرج من الأبدان خفي الراحات.

وقال: إذا استيقنت أنك لا تنجو منه إلاّ به يورثك نعيماً، يعلم أنك لا تصل إليه إلاّ به، فإذا

كنت كذلك استرحت عن طلب الحالات وافتقرت إلى المقامات.

وقال: المجنون في الدنيا على أربع طبقات:

* منهم إذا ذكر حبيبه أنَّ
* ومنهم إذا ذكر حبيبه حَنَّ
* ومنهم إذا ذكر حبيبه رَنَّ
* ومنهم إذا ذكر حبيبه جُنَّ.

وقال: إذا طلبت الله من نفسك بنفسك، فإنك منه بعيد، وطلبه عليك عسير، وإذا طلبته به كان وصولك، ووجودك في طلبك، وطلبك همتك، وكل من تقرب إلى الله بغير الله فذلك الذي به انقطع عن الله.

وقال: إذا أحب الله عبداً استعمله بالصُّحْبَة وائتمنه عليه، وإذا ائتمنه عليه ارتضى أنيته، وإذا ارتضى أنيته آثره على سره، وإذا آثره على سرّه حكم عن الله في غيبه، وإذا حكم عن الله في غيبه ناب في خلقه.

وقال:

* لا يجد السبيل إلى الله من لم يتأدب بنور المراقبة.
* ولم يستحق الولاية من لم تكشفه الكفاية.
* ولم يرتع في رياض أنسه من لم يعبر بحار عظمته.
* ولم يلج قباب الوصول من لم يَسرْ إليه على أقدام الهيبة.

وقال:

* إنك إن أطعته أفادك حبه وأدناك إلى قربه.
* وإذا أدناك إلى قربه أسبل عليك حجاب هيبته ثم لذذك بمناجاته وآنسك بذكره.

فإذا آنسك بذكره أقعدك على موائد سره، ثم روَّحك وفضَّلك وحكمك وأيدك، ثم أوصلك بوصاله إلى موصله، فاتصلت بلا وصل، ووصلت بلا فصل، وهذا المقام العالي والمرتبة العظمى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقال:

* من لا يعلم علم التوحيد لا يفهم التشبيه من التعطيل.
* ومن لم يعلم علم الظاهر لا يفهم الحلال من الحرام.

:: ومن لم يعلم علم الباطن لا يصفو له العمل ولا يقدر على الإخلاص والتوحيد.

:: أن يعلم النفع والضر، والعطاء والمنع، والعز والذل بيد الله.

وقال: فساد القلب فساد النية، وإذا فسدت النيّة وقعت البليّة.

وقال: لو لزمنا الحياء من الله ما ذكرنا المحبة، وقد شربنا من كأس الدنيا.

وقال: من أحبَّ الله استقل كل عمل يعمله.

وقال: يحشر الله من هذه الأمة طائفة من بين التنور والكنيف، لقولهم: إيش آكل بالغداة إيش آكل بالعشي، وهذا يدل على قلة معرفتهم بالله عزّ وجل.

وقال: عليك بمحادثة من لا تحتاج أن تكتمه ما يعلمه الله منك، وإلا فاجعل للناس ظاهرك، ولله عزّ وجل باطنك، وعاشرهم بالتي هي أحسن.

وقال: الراضي بالمقسوم أقهر الناس لنفسه.

وقال: المعرفة خطرات، واليقين وطنات.

قال يوسف بن الحسين: كنت جالساً عند ذي النون المصري إذ دخل إنسان ومعه جام خبيص، فترك بين يديه وأخذ يأكل فدخل بعض المريدين ورآه فقال: أيها الشيخ تأمر بأكل خبز الشعير والملح وتأكل أنت الخبيص، إيش علم هذا.

فقال له: خذ القصعة إلى أقصى البيت.

ثم قال ذو النون: أيتها القصعة إليّ فجاءت القصعة إليه.

فقال: يا بني إذا وصلت إلى هذا المقام فكل الخبيص فإنه لا يضرك وأخبرنا رضي الله عنه فقد أدّى ما عليه ونفع وتركها سنة وحجة على كل متشيخ مدع، يشير إلى الحقيقة وهو عارٍ عنها مع أنها ما عمله ولا طلبه، وإنما كان قد فتح به عليه ولو أمر به لكان برهانه عليه أقوى من هذا مما يناسب حالة الأمر.

دخل ذو النون على مريض يعوده فرآه يئن، فقال: ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على ضربه، فأجاب المريض ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه.

فقال ذو النون: ولا صدق في حبه من رأى حبه لربه.

قال ذو النون: عليك بصحبة من تسلم منه في ظاهر الغيب كسلامتك منه في المشاهدة.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، أخبرنا علي بن أبي صادق، أبو عبد الله محمد بن باكويه الشيرازي، أبو الفضل،

النقاش، يوسف بن الحسين قال سمعت ذا النون يقول: كنت بالعلافيه فإذا ثلاثة عليهم العباءات القطوانيات وبيد كل واحدٍ منهم ركوة وعكازة فلما رأوني قال بعضهم لبعضٍ اعدلوا إلى أبي الفيض ذي النون فعدلوا إلي وبدروني بالسلام.

فقلت لهم: من أين القوم؟

فقال أحدهم: من زهرة رياض الأنس.

قلت: بمن؟

قال الآخر: بالله ذي المواهب.

قلت: فما صنعتم في تلك الزهرة وما ساعدكم على شربكم؟

فقال الثالث: زفرات وعبرات فحسر عنا بشر بنا ظلام العقلات، وفتق لنا شربنا رتق غواشي العمى.

ثم قال بعضهم لبعض: هذا ذو النون المتكلم في المحبة والمدعي في الله قربه فهم في هذا الكلام حتى هبّت ريح عظيمة. وإذا أنا بمائدة عليها من كل لونٍ كأنها زُيّنتْ فلما رأيت ذلك، قلت: سبحان الله مكرم أوليائه.

فقالوا: يا ذا النون أنت لله ولي.

فقلت: أُحقّر نفسي أن أكون ولياً له، فنظروا إليّ كالمفترسين فيّ.

فقلت: توصوني بوصية وتخصوني بدعوة. فإذا بفتيان قد انحدروا من جبل العلافية فسلموا.

ثم قالوا: يا إخواننا ما بال البطّال ذي النون لا يجيب جواباً ولا يفي به، ثم جلسوا إلى تلك المائدة فأكلوا ولم يدعوني إليها.

فقالوا لي الفتيان: يا ذا النون إنك ضيعت اليقين، لم تحظ في مواطن أهل الحق، فأكلوا وانصرفوا، وبقيت كالمتحير.

روينا عن ذي النون: أنه قال: أوقفني المتوكل بين يديه فقال لي: إنك مليح العباد، وظريف الزهاد أخبرني أحسن ما سمعت به وأعجب ما رأيت.

فقلت: يا أمير المؤمنين إني كنت جايزاً في بعض سياحاتي في أرض الشام إذ مررت بنهر يقال له نهر الذهب فمررت بقربه وفي طرف القرية صومعة راهب فناديته يا راهب أجبني فلم يجبني فناديته الثانية يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثالثة يا رباني فاطلع فرآني.

فقال: ما حاجتك وما الذي تريد.

فقلت: عظة أنتفع بها.

فقال لي: أو تركت الدنيا.

قلت: نعم.

قال لي: كل القوت، والزم السكوت، وعلل النفس بأنها تموت، وذكّرها الوقوف بين يدي الحي الذي لا يموت، ثم أنشأ يقول:

وَلَوْ قَنِعْنَا لَكَفَانَا مِنْكِ يَا دَارُ الْيَسِيرَ	أَنْتِ نُعْمَاكِ قَلِيلٌ وَبَلايَاكِ كَثِيرٌ
وَقُبُورٌ تَتَلاشَى حَيْثُ لاَ تُمْشِي الْقُبور	يَا مُبَهْرَجَ لا تُبَهْرِجَ إِنَّمَا النَّاقِدُ بَصِير

قال: فتركته ثم بت ليلتي فلما أصبح عدت إليه وناديته يا راهب زدني من تلك الحكمة.

فقال لي: كل مما كسبته يمينك وعرق فيه جبينك فإن ضعف نفسك بيقينك فاسأل ربك أن يعينك.

ثم أنشأ يقول:

إذا اقتربت ساعة يا لها	زلزلت الأرض زلزالها
فلا بدّ من سائل قائل	من الناس يومئذٍ ما لها
تحدث أخبارها ربها	وربك لا شك أوحى لها
وتنفطر الأرض عن ساعة	تشيب الكهول وأطفالها
ترى الناس سكرى بلا قهوة	ولكن ترى العين ما هالها
ترى النفس ما قدمت محضراً	ولو ذرة كان مثقالها
ذنوبي بلائي فما حيلتي	إذا كنت في الحشر حمالها
يحاسبها ملك قادر	فإمّا عليها، وأمّا لها

قال: فتركته وبتُّ ليلتي فلما أصبح عدت إليه وناديته يا راهب زدني من تلك الحكمة.

فقال لي: كل الغرض، واذكر العرض ولا تطلب من أحدٍ صلة ولا قرض. ثم أنشأ يقول:

مَتى تَهْجُر الدُّنيا وَتَنْوي لَها بُغْضاً	وَتَرْكُكَ لِلْعِصْيانِ حَتّى مَتى يُقْضى
مَتى يا صَفيقَ الوَجْه تَنْوي بِتَوْبَة	وَعُمْرُكَ لِلدُّنيا يُساقُ بِها رَكْضا
فَلا بُدّ بَعْدَ المَوْتِ أَنْ تَسْكُنَ البِلَى	وَيَرضُكَ ثُقْلَ اللَّبن تَحْتَ الثَّرى رَضّا
وَتُعْطى كِتاباً فيه كُل فَضيحَةٍ	وَتَشْهَد أَهْوالَ القِيامَة والعَرْضا
فَقُمْ في دَياجي اللَّيْلَ لِلّه طائِعاً	لَعلَّ الذي أَسْخَطْتَهُ لَعَسى يَرْضى

قال: فتركته وبت ليلتي فلما أصبح عدت إليه، وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة.

رسائل ابن عربي

الكوكب الدرّي في

مناقب ذي النون المصري

هذا الكتاب هو المرجع الكامل عن حياة وأعمال وأقوال ذي النون المصري، وليس بين أيدينا في تراث الصوفية مرجع مثله عن ذي النون المصري، إذ تناثرت الأخبار عنه في عدد من الكتب مثل حلية الأولياء.

من دواعي تأليف هذا الكتاب ـ كما يقول مؤلفه ابن عربي ـ أنه عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة،

«إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنّك بمواطن اجتماعهم على ربهم، ويوم قدومهم عليه، بالخروج من هذه الدار، وهو يوم وفاتهم فزيارتهم فيه تهنئة لهم، وتعرُّض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم فهي إذاً مستحبة، إن سَلِمَتْ من محرّم ومكروه بيّن في أصل الشرع».



